مصطفى جحا

سلسلة نافذة على المعرفة - ٢

قاموس
حرب علي ومعاوية
وسباعية طلال سلمان

رد على مقالات الأستاذ طلال سلمان في جريدة "السفير"
(٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠ حزيران ١-٢ تموز ١٩٨٥) "دعوة الى الانقاذ... بالحوار"

١٩٨٥

"إن أربع جرائد معادية تستطيع أن تأتي بأضرار، تفوق أضرار جيش مؤلف من مائة ألف جندي"

نابليون

الكتاب الاول

"إن أربع جرائد معادية تستطيع أن تأتي بأضرار، تفوق أضرار جيش مؤلف من مائة ألف جندي"

نابوليون

المحتوى

صفحة

كُتب للمؤلّف

* المخالب	فصول في الحرب اللبنانية
* صدى ونغم	قصائد وُلدت في الحرب
* اية عروبة اية قضية	
* رسائل من خلف المتراس	الجزء الاول
* رسائل من خلف المتراس	الجزء الثاني
* الى امرأة واحدة	
* لبنان في ظلال البعث	
* يوميات تائه	
* في سبيل وطن وقضية	
* الخميني يقتال زرادشت	الطبعة الاولى ١٩٨٠
	الطبعة الثانية ١٩٨٣
* محنة العقل في الاسلام	الطبعة الاولى ١٩٨١
	الطبعة الثانية ١٩٨٢
* أبعد من زحلة وصور	(حرب الوفاق الشرق الاوسطي)
* جزيرة الكلمات	الجزء الاول
* حبيبتي مـا زالت تغالب الفجر	رواية
* شاهدُ الثعلب ذَنَبَه	
* رسالتي الى المسيحيين	
* قاموس حرب علي ومعاوية وسباعية طلال سلمان	

الاهداء

الى وطني النهائي: لبنان
والى العاملين لاجله.

مصطفى

المقدّمة

درجتُ ، منذ حوالي ست سنوات ، على قراءة مقالات الأستاذ طلال سلمان في « السفير » . ومرةً تلوَ مرة كان يزداد إعجابي بهذا الأديب الذي لم يدعْ ، يوماً ، الصحافيَّ يتغلبُ عليـــه . فالكلمة عنده دائماً ذات روح ، والفكرة متحركة ، ولكل حدَثٍ منه مقالة وأحياناً سلسلة مقالات ، فهو يكتب كما يفكر ، أو يفكر كما يكتب ، وقلما سبقت فكرتُه كلمتَه أو بالعكس .

جريء طلال سلمان . وجريء حتى « الجنون » في تعامله مع الحدَث .

كلما قرأتُ له يتراءى لي بين « جلاديه » ، وقد أوقعوا به العذاب حتى صار طعامه وشرابه .

ولكن طلالاً أصيب ، يا للأسف ، بما هو أفظع من « الجَلْد » بكثير .

ففي الثالثة فجر يوم السبت ، الرابع عشر من تموز ١٩٨٤ ، وبينما كان طلال يترجّل من سيارته متجهاً إلى منزله في بناية « البريستول » — قرب « فندق » « البريستول » — جار « السفير » — أي في شارع مدام كوري ، في رأس بيروت — فُتحت النار عليه من الجهة الشرقية للمبنى ، فأُصيب بطلقتين من الحرْدُق السميك (من سلاح بندقية نوع بوب أكشن) دَخَلَتا من الخد الأيسر وتناثرتا في الداخل وأحدثتا نزيفاً في الحَلْق ، وكسرين في الجهة اليسرى من الفك الأعلى ، وتمزقاً في مجرى الغدّة اللعابية من الجهة اليسرى ، وجرحاً في اللسان ، كما أصابته طلقةٌ ثالثةٌ في مقدمة الرأس وأحدثت جرحاً في الجهة اليسرى ، كما تبين أنه مصاب بنزيف في الخد الأيمن مع تورُّم ،على ما جاء في تقرير الطبيب الشرعي آنذاك »[١] (*١) .

لستُ أدري أي عاصفة قد اجتاحتني عندما سمعتُ بهذا النبأ . وأوشكتُ أن أبكي لولا « صرخة » من طفلي الصغير « مصطفى » ، الذي حسبتُه يبكي عني وعن الجسم الصحافي

(١) الطبيب الشرعي هو الدكتور احمد الحاراتي . (انظر « السفير » ١٩٨٤/٧/١٥) .

(*١) تمت المعالجة في مستشفى الجامعية الاميركية ، حيث أشرف على العلاج الدكتور جورج زيتون ، وعاين الرأس الدكتور فؤاد حداد .

اللبناني ، كما عن كل صاحب قلم كَدَّ[٢] هذا الزعيم أو ذاك .

ذكّرني طلال ، حفظه الله ، بالمغفور لهم : كمال يوسف الحاج ورياض طه وسليم اللوزي . ولما بلغ مني الوجعَ مبلَغَه — كان ذلك صبيحة اليوم التالي — الأحد — كتبتُ تحت عنوان « طلال سلمان ... والرصاصة » فقلت :

« أمس ، تناكث[٣] طلال سلمان والرصاصة

من الذي بدأ بالاعتداء ؟

لا شك أن طلالاً هو « المعتدي » ، مثله مثل سائر الأقلام المتمردة .

عندما نسي طلال أن التمرّد، في هذا العصر ، ممنوع ، و « تأديب » الصحافة ممنوع ، و « تهذيب » السياسة ممنوع ، و « الحكي » أو « الثرثرة » ، سواء فوق بحيرة « ليمان » — « اللوزانية » أو على رصيف مقهى في «شارع الحمراء »البيروتي ممنوع ، أخذت الرصاصةُ « تفكر » في نقض « العهد » الذي بينهما .

(٢) كدّ : اتعب .

(٣) نكث العهد او البيع : نقضه ونبذه . تناكث القوم عهودَهم : تناقضوها .

كم أنذرتْه هذه الرصاصة !

إذن « الحق » على طلال ؟ !

بيروت و « النوّارة » (الضاحية الجنوبية) و « السفير » وزنابق الحرية ، ثقلّتْ على الأسمر اللبناني — العربي ، فمدّ عنقه ينظر إلى كل شيء بعيد . عندئذ أحسّت الرصاصة بـ « الذلّ » و « الضعف » ، فما كان منها إلاّ أنْ قطعت الدربَ عليه لتنسيه الفجر الموعود .

ما زال طلال في خطر (. . .) إذ إن الرصاصة الحاقدة لم تنفذ ، والحمد لله ، إلى المنطقة « البَرْدة » .

العار ، كل العار ، أن لا نقف مع طلال في هذا الصراع « الأسطوري » الهادف إلى شل كل عقل حارّ وقلب كبير »[٤]

أبواب « السفير »

لما تمت المعالجة غادر طلال بيروت إلى دمشق ، في « رحلة استجمام » امتدت إلى أوروبا ، وربما إلى العاصمة الليبية .

(٤) أعطيت هذه الرسالة : على الهاتف : الى غرفة طلال في المستشفى ، ونشرت في اليوم الثاني ١٩٨٤/٧/١٦ ، في « السفير » في صفحة « زاروا رئيس التحرير » .

حتى « استقر » ، على ما قيل لي ، في مسقط رأسه ، شمسطار — قضاء بعلبك .

وبما أن إعجابي بمقالات طلال ليس وحده الذي يشدني إلى « السفير » يومياً ، بقيتُ أتابع قراءة هذه الجريدة الفذّة ، وبخاصة ما تحمله صفحتها الحادية عشرة ، كل صباح ، والصفحة الثالثة ، كل اثنين من كل أسبوع . فالأولى تنشر ما يكتبه أو يترجمه بعض محرري « السفير » وأصدقاؤها ، وغالباً ما تأتينا هذه الصفحة بالمفيد والمثير ، على صعيد الفكر والثقافة العامـــة ، وفي القضايا اللبنانية والعربية والعالمية . فمن الأمس القريب نذكر ، مثلاً لا حصراً : « الأحزاب الشيوعية والقضية القومية العربية »[٥] بقلم سلامة كيلة ، « سفير بريطاني سابق في سوريا ولبنان : أخطاء الغرب وسبل تسوية الأزمة »[٦] رسالة كتبها مصطفى كركوتي من لندن ، « التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية »[٧] بقلم السيد أحمد زكي تفاحة الحسيني ، « من الحجاب إلى تتماته : مغادرة الزمان . . . هل تعوّض بالاستقرار في شيء من المكان ؟ »[٨]

(٥) السفير : ١٩٨٥/٦/١٣ .
(٦) السفير : ١٩٨٥/٦/١٧ .
(٧) السفير : ١٩٨٥/٦/٢١ رقمها ، هذه المرة ، ١٣ (ص ١٣) .
(٨) السفير : ١٩٨٥/٦/٢٣ .

بقلم مي محفوظ (؟) ، « سِفْر التجلّيات » –[٩] رسالة مصطفى الحسيني من الولايات المتحدة ، « رسالة إلى المستر ريغان » [١٠] بقلم المحامي والنائب السابق عبد الله غطيمي ، « المسلمون في بلغاريا : موقف رسمي » [١١] ، « الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة كقوتين متضادتين في الشرق الأوسط » [١٢] ، بقلم ف . قسطنطينوف ، « غورباتشيف : القبضة القوية » [١٣] بقلم كوستا كريستشين – من مجلة « Le Point » الفرنسية (٩٨٥/٧/٨) ، « شبح الحرب الأهلية في إسرائيل » [١٤] للمعلّق السياسي الإسرائيلي زئيف شيف ، ترجمة حسان حيدر عن :

« The Middle East Journal, V. 39 No 9 (1985) » .

---

(٩) السفير : ١٩٨٥/٦/٢٤ .
(١٠) السفير ١٩٨٥/٦/٢٩ .
(١١) السفير : ١٩٨٥/٦/١١ ، وهي رسالة من الحكومة البلغارية توضح موقفها الرسمي من حقيقة وضع المسلمين في بلغاريا ، الذين كانوا موضع حملة تركية اتهمت سلطات صوفيا بقمعهم واجبارهم على تغيير هويتهم واسمائهم الاسلامية . والرسالة تأتي بمناسبة بعض المقالات التي نشرت في « السفير » حول الموضوع .
(١٢) السفير : ١٩٨٥/٧/٨ .
(١٣) السفير : ١٩٨٥/٧/١٢ .
(١٤) السفير : ١٩٨٥/٧/٢٠ .

على أن لمقالة السيدة أمل حوّا : « ملاحظات حول « ثقافة » الشعارات الجاهزة » [١٥]، ومقالة الدكتور نقولا المتني : « فرويد : الرمز الخالد لعلم النفس » [١٦] أثراً طيباً وعميقاً في نفسي ، قد ردّ كلٌ من حوّا والمتني على الدكتورة منى فياض كوثراني في مقالتها : « فرويد : الساحر اليهودي » [١٧]، بما يفرض عليها أن تتراجع عما « ادّعتْه » غير آسفة ، اللهم إذا كانت السيدة كوثراني تؤمن بأن للعلم على الباحث ضرورات لا يمكن التسامح بها .

وفي الصفحة الحادية عشرة كثيراً أيضاً ما يكتب الأساتذة : حازم صاغيّة ووائل الحلو وساطع نور الدين وجوزف سماحة (ترك الجريدة ؟) وجرج ناصيف وجهاد الزين وسعد محيو (ترك الجريدة أيضاً ؟) وعصام الجردي مقالات وأبحاثاً تلفت النظر .

وأما الصفحة الثالثة ، التي يكتبها ، كل اثنين من كل أسبوع ، الصحافي مرفق مدني ، فهي بصورة عامة ناضجة وغنيّة بالمعلومات الدقيقة والمهمة ، ما يؤكد أن الأستاذ مدني يطارد « مادته » بصبر وجلَد ، مع ما يتمتع به من الحس

---

(١٥) السفير : ١٩٨٥/٥/١٨ .
(١٦) السفير : ١٩٨٥/٥/٢٥ .
(١٧) السفير : ١٩٨٥/٥/١٣،١٢ .

المرهف والاطلاع الحسن ، كما عنده « قماشة » أدبية قوية النسيج .

وفي « السفير » تقرأ أحياناً كثيرة لمحمد مشموشي (يمين الصفحة الأولى) وباسم السبع (عمود ٨ ص ٣) ، فيمدّك الأول بالتحليل الصحافي الذي قلّما يخلو من النقد اللاذع والملاحظة العميقة والساخرة عندما تدعو الحاجة، فيما يضع الثاني أمامك صورة لمشكلة اجتماعية أو سياسية ، ولشدة الإتقان في التصوير والتأليف يسودك الاعتقاد بأنك أنت المشاهد وأنت المصوِّر .

فعندما كان الملوك والرؤساء العرب يتنادون إلى قمة الدار البيضاء الأخيرة ، كتب الأستاذ محمد مشموشي تحت عنوان « على هامش القمة » (١٨) يقول :

« إن انتصار القضايا العربية ووحدة الأمة والتاريخ والدم والمصير الخ . . . ليست شعارات فقط تُكتب على الجدران وتتصدّر البيانات الملكية أو الوزارية أو البلاغات العسكرية ، لكنها أولاً وقبل كل شيء ممارسة يومية حتى إذا كانت هذه الممارسة من نوع « المناورة » التي يحتاج إليها السياسي في لحظة من اللحظات » .

---

(١٨) محمد مشموشي : السفير ١٩٨٥/٧/٢٧ .

أضاف :

« وأي « انتصار » هذا الذي يربح فيه أحدٌ من العرب العالم — هذا إذا ربح — ويخسر نفسه ، على حدّ القول المأثور ؟

بل أين تكون وحدة الأمة والشعب والدم ، إذا كان العرب يلاحقون بعضهم بعضاً بالمؤامرات والعبوات الناسفة والمسدّسات الكاتمة للصوت في عواصم أوروبا وفي كل مكان آخر ؟ ولماذا ؟ لأنّ كلا منهم يريد انتصار القضايا العربية ووحدة الأمة — ولكن على طريقته » .

وإذ انعقدت هذه القمة كَتَبَ الأستاذ مشموشي أيضاً تحت عنوان « رحم الله قمة الخرطوم » (١٩) ومما قاله :

« لم تخرج قمة الدار البيضاء الطارئة ، وهذا ما كان متوقعاً منذ الدعوة إليها ، عن المسار العام للقمة العربية التي باتت منذ مؤتمر بغداد العام ١٩٧٨ مجرد ورقة لإخفاء العورات خوفاً من الفضيحة ، كما لم تخرج ، وهذا ما كان متوقّعاً أيضاً ، عن الخط العام للدول المسمّاة في الغرب بـ « المعتدلة » : خط تقديم التنازل تلو التنازل لإسرائيل ولكن تحت شعار أن ما يجري هو مجرد تفاوض مع واشنطن وفي ظل صياغات

---

(١٩) محمد مشموشي : السفير ١٩٨٥/٨/١٠ .

مبهَمة ومعماة تتحدث عن تحرير الأرض العربية كلها بينما تعمل للتضحية ببعض الأرض — من دون تحديد — في مقابل سلام تحتاج إليه إسرائيل وتحدّد هي سقفَه ومحتواه » .

كذلك كتب مشموشي ، إثر انتهاء المؤتمر — القمة ، تحت عنوان : « أي فلسطين ؟ ! » فقال :

« عن أي فلسطين تتحدثون ؟ !

إذا كان أحد يستطيع أن يجيب على هذا السؤال ، يستطيع إذن أن يعرف عن أي قمة نتحدث !

فعندما اختارت إحدى الصحف الفرنسية عبارة « قمة المقاعد الفارغة » لوصف الميني — قمة التي عُقدت أخيراً في الدار البيضاء ، فإنها كانت تلتقط فعلاً الموضوع . والموضوع هو وزن وفعالية الدول الخمس التي قاطعت القمة . وبخاصة وزنها وفعاليتها في ما يتعلق بقضية القمة الوحيدة — على تعدّد القضايا التي تضمنّتها جدول الأعمال — وهي القضية الفلسطينية بعد « اتفاق عمان » وفي ظله » .

وقال أيضاً :

« وإذا كان شبَحُ هذه الدول ، وفي مقدمتها سوريا ، لم يغب عن جلسات القمة ولا عن توصيتها بدليل الموقف

المبهم الذي اتخذه من الموضوع الفلسطيني واتفاق عمان ، فإن ما تردّد أمس عن موقف وزير خارجية الكويت ورئيس وفدها إلى المؤتمر فضلاً عن النقاش الحادّ بين رئيس الوفد السعودي الأمير عبد الله وياسر عرفات يكفي للتدليل على أن القمة لم تكن « قمة المقاعد الفارغة » فقط بل تعدّت ذلك لتصبح قمة المقاعد الممزقة والمحطمة أيضاً » [20] (*٢) .

وأما الأستاذ باسم السبْع فقد كتب في الحلقة الأولى من ثلاثيته : « الفظائع » [21] يقول :

---

(٢٠) محمد مشموشي : السفير ١٩٨٥/٨/١١ .

(*٢) ذكر أن تلاسنا حادا جرى بين ياسر عرفات وولي العهد السعودي الامير عبدالله بن عبد العزيز ، وذكر أيضا أن الملك الاردني حسين تمسك بأن يشمل البيان الختامي موافقة صريحة على الاتفاق الاردني — الفلسطيني ، الا ان معظم المشاركين فضلوا تجنب ذكره خشية ازدياد تفاقم الخلافات العربية .
وقالت المصادر ان منظمة التحرير لم تصر على ان يقر العرب اتفاقها مع الاردن بينما يسعى الاردن جهده الى كسب تأييد كامل للاتفاق .
أما وزير خارجية الكويت الشيخ صباح الاحمد الصباح ، فقد نقل عنه أنه دعا القمة علنا لرفض « اتفاق عمان » باعتباره يتناقض مع مقررات فاس .

(٢١) باسم السبع : السفير ١٩٨٥/٦/٢١ ص ٣ .

« عشية الأول من رمضان ، كانت الأمور في حدودها المعقولة ، وأنباء الخلاف تنحصر بين « أمل » وتنظيم فلسطيني ، ثمَّ انهارَ كل شيء وبدت بيروت والضاحية والمخيمات حقولاً من الألغام تتفجّر من مختلف الجهات ، فصارت المعركة حرباً بين « أمل » والتنظيمات العرفاتية ، ثم حرباً بين « أمل » والتنظيمات الفلسطينية مجتمعة ، ثم حرباً بين « أمل » والفلسطينيين ، ثم حرباً بين الشيعة والسنّة . . . وهكذا دراليك ، دارت الدوائر بنا تحط رحالها فوق وحول المذاهب ، وتكاثر اللغط حول تسريب السلاح والمسلّحين والخطف على الهوية والاعتقالات العرقية ، واختراقات الأجهزة لهذا الحزب أو ذاك ، «كدنا نغرق في الوحل ، ونحن نراقب وقائع التشنّج بين « الحلفاء » تأخذ أبعاداً خطيرة على الأرض — يمكن أن تودي بالبقية الباقية من عناصر وجودنا الوطني واستقرارنا الذاتي » .

وتابع يقول :

« أفلمْ نضع أيدينا على القلوب مئات المرات عندما كنا نستمع إلى أنباء اشتباك بين « أمل » والحزب التقدمي الاشتراكي أفلمْ يصبّنا الغيظ ونحن نتلقى شائعات توقيف « درزي » على حاجز خلدة أو «شيعي »على حاجز الجيّة؟أفلم يداهمنا الذعر عندما تلاعبت ألسِنَةُ السوء بغرائز الناس وتحدثت عن نزع

أسماء الصدّيق (أبو بكر) وعمر وعُثمان من مدخل مسجد الإمام علي في الطريق الجديدة ؟ أفلم تقشعر أبداننا للشتائم التي رموا بها العرب بالمطلق ، فشتموا عِرْقهم وعروبتهم وتاريخهم وتراثهم ؟ أفلمْ تحترق عيوننا بالحزن وهي تطالع الاتهامات اليومية لأبناء الجنوب وأبطال المقاومة الوطنية ، فتضعهم على قدم المساواة مع شارون وتصفهم بأقسى أوصاف الخيانة والتعامل مع إسرائيل » ؟ .

وقال أيضاً :

« كل هذه الفظائع ،أنتجتها حرب المخيمات والضاحية . حرب بدأت بمسدّس وانتهت براجمة ، بدأت بين تنظيمين وانتهت بين مقاومتين : المقاومة الفلسطينية والمقاومة اللبنانية ، وهنا بيت القصيد ، أن تأكل المقاومات بعضها ليبقى الخارجون عليها واللاهثون خلف عواصم القرار . . . »

كذلك في « السفير » الصفحة العاشرة وهي لـ « الثقافة » حيث « يمترس » الشعراء والنقاد والروائيون : الياس الخوري وفيصل سلطان ومحمد علي فرحات وعبيدو باشا ومحمد سويد وحسن داود وعباس بيضون . وهم ، على « كثرتهم » ، يفسحون في المجال للأصدقاء ، من الكتّاب والشعراء والأدباء ، من أي جهة كانوا ، و « يدوزنون » الصفحة حسبما تقتضي « الظروف » ، ولربما سدّوا حتى عمود « أخبار ثقافية »

أمام أكثر من أديب ومفكر وشاعر وناقد وفنان ، عملاً
بـ « توجيهات » معينة (؟) ، إذ لمستُ ذلك بنفسي غير مرة ،
ولما سألتُ عن « السبب » قيل لي : « اسألْ نفسك ! ألا تعرف
ما أنت فاعل ؟ » فكان ردي آنذاك : « ألا تؤمنون بحرية
القول والفكر ؟ ليس للثقافة « عائلة » ولا « قبيلة » ولا « دين »
ولا « حزب » فأجاب أحدهم (...) مقطباً : « هذه
سياستنا ... » . ثم سكتَ .

ومهما يكن ، فإن هذا لم يجعلني « أقفز » فوق الصفحة
العاشرة ، ولا مرة ، بل ما زلت أقرأها باهتمام ، كما لن
يجعلني هذا « الانغلاق » أتجاهل أهميتها بالنسبة إلى صفحات
« الثقافة » في جرائدنا ومجلاتنا . وهي ، بدون ريب ، تقدم
للأدب والثقافة خدمة وسيعة ، وتعمل لهما مخلصة لـ « سياستها »
الأدبية ، وحسبما تقتضي « الظروف » الوطنية والقومية
والدينية والشخصية — الاجتماعية .

سأبقى أتذكر أن « السفير » (الصفحة العاشرة) سمحتْ
للأستاذ محمد علي فرحات بأن ينقل عن مجلة « روز اليوسف »
المصرية قسماً من مقالة كتبها الروائي المصري المعروف
فتحي غانم ، حيث يقول :

« هناك من رفض الحاضر بكل مشاكله وزعم لنفسه أن
العلاج في الدعوة إلى استرجاع أيام السلَف الصالح ، والعودة

إلى مجتمع الخلفاء الراشدين . ولست أدري ما صلة الدين بهذه
الدعوة ؟

إنها أولاً دعوة مستحيلة فالماضي لا يعود ، وإعادة أيام
السلَف الصالح ضَرْبٌ من الوهم وحنين رومنتيكي ساذج
إلى ذكريات مهما كانت روعتها وأمجادها ، إلاّ أنها ستظل
مجرد ذكريات ، وإذا كان المطلوب هو أن تعود القيَم التي
تعامل بها السلف الصالح (؟) ، واتّباع قواعد سلوكهم (؟) ،
فالمطلوب أيضاً عودة نفس النماذج البشرية المثالية التي عرفتها
مجتمعات ذلك الزمان الذي انقضى ، ومن يستطيع أن يسترجع
إنساناً كأبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب أو علي بن أبي
طالب أو عثمان بن عفان ؟ »

وتابع فتحي غانم يقول :

« وحتى لو استعدنا أو استرجعنا هذا المجتمع بشخصياته ،
وهذا لا يدخل في باب الدين أو الإيمان ، بل يدخل في باب
استحضار الأرواح ، فإننا لا نستطيع أن نستعيد أيام أبي بكر
دون أن نستعيد حركات الردّة ومسيلمة الكذاب ... (؟)
ولا نستطيع أن نسترجع أيام عمر دون أن نسترجع قاتله والذين
عارضوه وكرهوا أيامه ، ومن بينهم مجتمعات إسلامية توارثت
هذه الكراهية حتى يومنا هذا . فمن يستطيع أن ينطق باسم
عمر في البصرة بالعراق أو يسمي ابنه عمر في إيران ؟ »

ويقول أيضاً :

« وهكذا الذين يحلمون باستعادة أيام علي ، لن يهربوا من عودة الخوارج والأمويين والذين سفكوا دماء علي وولديه الحسن والحسين وذبحوا أهله وعشيرته .

ولا نستطيع أن نستعيد أيام عثمان بن عفان دون أن نستعيد الفتنة والنزاع الدموي على توزيع الثروات ، ومن هو أحق بأموال المسلمين .

إن حديث استعادة الماضي ليس حديثاً في الدين ، وهو وهْم ومستحيل ، وأيضاً وهْم خادع ومضلل ، يروح ضحيته آلاف من المسلمين تضيع أيامهم في انتظار الوهم الذي لن يتحقق وتتبدّد جهودهم وهم في حالة الانتظار . . . الذين ينادون باستعادة الماضي يزيّفون التاريخ ويتجاهلون الأحداث التي جرت ، والتناقضات والصراعات التي نشبت والتي واجهها الرسول عليه السلام وهو يؤدي رسالته » [٢٣] .

سأبقى أتذكر هذه الكلمات البسيطة والعفوية لأنني أنا القائل في « محنة العقل في الإسلام » ما يلي :

---

(٢٢) السفير ١٩٨٥/٧/٩ ص ١٠ عن فتحي غانم : « روز اليوسف » العدد الاخير (لم يذكر فرحات تاريخه) .

« من جهتي لن يسوءني أبداً ، وأنا المعجب بالأديب العربي المبتدع علي بن أبي طالب ، لو ثبت لي بالدرس والتحليل فضل معاوية على خصمه السياسي صاحب أبي موسى الأشعري. ولا شيء عندي يدعو إلى الخوف والقلق ما دام معاوية وعلي قد صارا من التاريخ والتراث . المهم أن الواقعية (Realism) في السياسة وإدارة البلاد هي أفضل بكثير وأولى من الطوباوية (Utopia) أو المُثُل العليا السياسية والاجتماعية التي يتعذر تحقيقها لعدم بنائها على الواقع ، أ لبعدها عن طبيعة الإنسان وشروط حياته » [٢٣] .

ولأنني القائل أيضاً :

« كما ولن يسوءني لو انني استيقظتُ يوماً لأجد أننا قد غدَوْنــا بلا تراث ديني ، فذلك من عمل الذين سبقونا . أولئك جاهدوا وناضلوا وعملوا فخلقوا وأبدعوا ، فلماذا لا نفكر نحن في ما يجب خلقه وإبداعه ؟

التراث الديني متحكم في عقولنا : كتاب مبين ، ونبي « به الأنبياء قد اختتموا » . إلى متى سنبقى هكذا ؟ لنحسبْ أن القرآن هو كتاب مبين فعلاً ، فهل هذا يبرر تحجّرنا ، وتعبّدنا للماضي الذي لم يستطع الصمود أمام الحاضر والمستقبل؟

---

(٢٣) كتابنا « محنة العقل في الاسلام » الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ص ٤٤ .

أما أن نسلّم بأن محمداً هو خاتم الأنبياء فخرافة آن لنا أن نستغني عنها ، إذ إن النبي ، كما يراه فريدريك نيتشه ، هو « كل من يسعى من أجل إقامة مجتمع صحيح مرتكز على نظرة فلسفية في الكون والوجود والإنسان » ، والنظرة الفلسفية عملية إبداعية تصدر عن « نفس تذوب شوقاً وحنيناً إلى ولوج الحقيقة المظلمة ، وتعتصر ألماً لإغفال بني جنسها التفكير في وجودهم وواقعهم المرير » (على قول نيتشه نفسه) »(٢٤) .

إن « السفير » — بمجملها — هي جريدة فذّة ، تبعث على الثقة والاحترام ، فلا أتصور أنها تستغني عن أي من الأقلام العاملة معها . فعندما لم يكتب طلال سلمان أو محمد مشموشي ، فإن الصفحة الأولى لا يكون لها إلاّ « طعمة » عادية . كذلك بالنسبة إلى الصفحة الثالثة . يوم الاثنين من كل أسبوع ، إذا ما غاب عنها موفق مدني . ويستطيع من يثابر على قراءة « السفير » أن يلحظ غياب حازم صاغية أو جهاد الزين أو جورج ناصيف أو ساطع نور الدين ، عن الصفحة الحادية عشرة ، كما لحظنا « استقالة » جوزف سماحة ، إذا ما طال هذا الغياب . وقل مثل هذا في الصفحة العاشرة إن غاب أو بعُد الياس الحوري أو محمد علي فرحات ومن سواهما ممن ذكرنا .

---

(٢٤) المصدر نفسه ص ٤٨/٤٧ .

عودة « الفارس »

لقد طالت ، نوعاً ما ، « غيبة » طلال سلمان . كنت أسأل عنه محمد علي فرحات أو غيره ، من « رجـال « السفير » ، وبقيت أسأل . . . وأسأل . . . حتى قرأتُ له المقالة الأولى بعد عودته من « الرحلة » — لا أذكر عنوانها ولا تاريخها — فغمرتني يومذاك فرحة كبرى ، وقلت لنفسي : رجع « الفارس » إلى ساحته .

ولكن « الفارس »العائد كان لا يزال بحاجة إلى « استجمام » و « رياضة نفسية » . ولعله اقتنع بذلك ، أو أن أحداً من أصدقائه أو « مستشاريه » (. . .) نصحه أن يكتب قليلاً ويقرأ كثيراً . إذ الحقيقة أن طلالاً قلّل الكتابة حتى السادس والعشرين من حزيران الماضي . في هذا اليوم أطل علينا بـ « ثرثرة » جديدة ، في سبع حلقات متتالية آخرها في الثاني من الشهر الذي تلاه ، أي تموز ، ومن شمسطار ، هذه المرة ، لا من لوزان .

وغمرتني ثانية فرحة كبرى ، بل أكبر من سابقتها ، لاعتقادي بأن « الثرثرة » ، بالنسبة إلى الأديب ، هي دليل على « صحته » الأدبية . فكل أديب لا يستطيع الكتابة حتى درجة « الثرثرة » فهو « مريض » أو « عاجز » وإن بدا لك صافي الوجه وقرير العين ومبالغاً في الضحك .

« دعوة إلى الإنقاذ . . . بالحوار » .

هذا هو العنوان الرئيس للسباعية الفضفاضة « الكثيرة اللحم والطويلة الجسم » . ولكن أي لحم رأي جسم ؟

ورحت أقرأ الحلقةَ تلو الحلقة ، وصولاً إلى السابعة والأخيرة منها .

ماذا يريد طلال ؟

هو يقول ، في الورقة الأولى ، ما يلي :

« . . . فإن هذه الكلمات ليست لمجرد الاعتذار عن قصور أو تقصير في الأيام ، أو الأسابيع القليلة الماضية ، بل هي دعوة لإنعاش الحوار الديموقراطي ، وإعادة الاعتبار إلى الكلمة والرأي والحجة ، ومحـاولة تحريض أو استدراج للساكتين والمستنكفين من أجل أن يرفعوا أصواتهم ، بالاعتراض أو بالتأييد لا فرق ، وإلى أن يقول الكلّ علناً وعلى رؤوس الأشهاد ما يهمسون به في الغرف المغلقة ، أو ما يهمهمون به في سماعات الهاتف ، أو ما يفكرون فيه بصمت اليائس لوحدهم لعلّ ذلك كله يحدّ من الآثار المدمّرة للبطالة السياسية السائدة والتي تخلي الجو لنمط وحيد وقاتل من « الحوار » هو : الحوار بالسلاح ! » .

وتتبّعتُ تفاصيل هذه « الدعوة » . ولم يكن في نيتي « الاستجابة » لأنني طالما رفعتُ صوتي ، . إذا به يكرر فيقول في الورقة السادسة :

« هل قلنا كل شيء ؟

ليس هذا ما نقصده ، فمهمتنا إثارة الحوار وتوسيع دائرته والعمل على إحيائه ، بوصفه طريقاً للإنقاذ ، ولغيرنا أن يقول ما عنده ، بل ان واجبه أن يرفع الصوت ، بالاعتراض أو بالتأييد لا فرق » .

ظننتُ أن هذه « الدعوة » هي « سوقية » ، وأنا ريفي من طبعي الإلحاح إذا ما دعوتُ ، بل الإصرار والعناد ، وقد أشعر بـ « الاستهانة » لو أن دعوتي ذهبت أدراج الرياح ولم تلقَ المبالاة .

ولما أتيتُ على الورقة السابعة وأنفدْتُها وبلغتُ آخرها رأيتُ طلالاً الشمسطاري — البعلبكي — اللبناني — السوري العربي يقول :

« . . . والآن يجيء دورُ غيرنا في الإسهام في هـذه الدعوة إلى الإنقاذ بالحوار » .

« ونحن في انتظار المساهمين والمساهمات ،

«أي إننا في انتظار كل من يريد أن يحمي حقه بالديموقراطية وسائر الحريات بقول رأيه وإعلان موقفه ، وليس بالصمت انتظاراً لما سيكون » .

إذ ذاك تأكد لي أن « الدعوة » ليست « سوقية » كما حسبت ، بل « ريفية » « بعلبكية » (بلدية) ، ومن الطبيعي أن أتذكر ، في هذه الساعة ، شهامة أهل تلك البلاد (بعلبك) وكرَمَهم وعنفوانهم ووفاءهم للصديق والجار وصبْرَهم على المصاعب والأحزان ،فاتجهت النية ، عندئذ ، لا لـ « الإسهام » في « الدعوة إلى الإنقاذ بالحوار » ، وإنما للكشف عما يكفنا ويمنعنا عن أسمى أهدافنا وغاياتنا لا سيما منهـا : الحوار والديموقراطية والوحدة والحرية والعدالة والمساواةوالمعاصَرة . وبرغم التباين في الأفكار والآراء التي قدّمها طلال ، والتي عزمتُ طرحها ، بقي أملي ، ولا أقول حقي ، في نشر ما قد أكتبه ، في « السفير » ، كبيراً وكبيراً جداً . وهل يُخَيَّب من إذا دُعي إلى الخير قال : نعم ؟ !

مقالة لم تبصر النّور

قبل أن تسكن « العاصفة » وتهدأ ، كتبتَ مقالة واحدة ، في سبع وعشرين صفحة من القياس الوسط ، تحت عنوان : « قاموس حرب علي ومعاوية وسباعية طلال سلمان » .

وأرسلتُها مع ولدي حسين (١٦ سنة) ، في السادس من تموز الماضي ، إلى نائب رئيس تحرير « السفير » الأستاذ محمد مشموشي ، بعد الاتصال به وأخذ « الموافقة » منه .

قالت زوجتي إيمان : لن ينشروا هذا الرد .

قلت : ولكن طلال سلمان « في انتظار كل من يريد أن يحمي حقه ويقول رأيه يعلن موقفه » .

قالت : إذا نُشرت مقالتك يا مصطفى ، فإن هذا معناه أن الحرية عندنا ما زالت موجودة وقوية .

قلت : لا بد أن ينشروها .

قالت : لا أعتقد .

في المساء ، سألتُ محمداً : هل وصلتْك المقالة ؟

قال : نعم. قرأتُها بسرعة . يلزمني أن أقرأها مرة ثانية.

قلت : لا بأس . وهل ستُنشر عندكم ؟

قال : لا أظن أننا نستطيع إلى ذلك سبيلاً .

قلت : كيف ؟

قال : هناك دولة « محسوبة » على الجريدة ، والجريدة « محسوبة » عليها .

قلت : إذا كنت تقصد العقيد القذافي ، فإن النصوص التي عالجتُها قيلت ونُشرت ، في مختلف وسائل الإعلام ، حتى عرفها القاصي والداني !

قال : والمسلمون هل تحسبهم يتفهمون أن « حرب علي ومعاوية » هي أصل مشاكلنا كما تقول ؟

قلت : هذا رأيي . . . ومن له أن يعترض فهو حر . . . ألم تدعوا إلى الحوار والمناقشة ؟

قال : أنا معك . . . ولكن الظروف لن تسمح بإعلان هذا الرأي . لو كتبتَ هذا البحث قبل « حرب المخيمات » لكان أفضل . وعلى كل «بنحكي » يوم الاثنين .

قلت : خير . . .

وأقفل محمد السماعة تاركاً مصير المقالة معلّقاً .

سمِعَتْ إيمان الكلام الذي دار بين محمد وبيني ، فقالت:

— ألمْ أقل لكَ إنها لن تُنشر ؟

— بعد غد نعرف .

— ولكنني عرفتُ من كلامه أن المقالة لن تبصر النور في « السفير » .

— تكون غلطتهم هم وليست غلطتي .

بعد ظهر اليوم الثاني ، الأحد ، طلبتُ المدير المسؤول الأستاذ باسم السبع ، وبعد حديث قصير قلت له :

— هنالك مقالة كتبتُها رداً على الأستاذ طلال ، هي الآن مع الأستاذ مشموشي . ولكن يبدو لي أن محمداً لا يميل إلى نشرها .

— (متعجباً) لماذا ؟

— محمد عرض أسباباً لا يجوز لجريدة راقية مثل « السفير » أن تتذرع بها .

— معك حق . نحن يجب أن ننشر كل ما قد يردنا من ردود على طلال .

— إذن أرجو أن تقرأ المقالة .

— (مقاطعاً) : سأقرأها حتماً . . وسأعمل على نشرها مهما تكن عنيفة وقاسية .

— أرجو ذلك .

— إن هذا هو واجبنا الصحافي .

— جيد ، دعني أنتظرك .

— وأنا أنتظرك أيضاً .

زوجتي إيمان معها السماعة الثانية . بعدما أقفلنا باسم وأنا الخط ، قالت :

— ما زلتُ عند رأيي . مقالتك يا مصطفى لن ترى النّور في « السفير » .

— هنالك المدير العام المساعد الأستاذ ياسر نعمة .

— الذي زرناه في مكتبه عام ١٩٨٣ ؟

— أجل !

— وماذا يمكنه أن يفعل ؟

— هو ابن صور . وكلانا يعرف الآخر منذ الخمسينات . سأتصل به ، وعسى أن يذلل بعض « العقبات » .

— جرّبْ !

— ليس قبل جواب محمد .

مساء الاثنين ، طلبتُ محمداً. قال عامل الهاتف : « اطلبْه بعد ساعة » . كانت الساعة آنذاك حوالى السادسة والربع مساء . الساعة الثامنة عاودت الاتصال . عامل الهاتف قال : « اطلبْه بعد نصف ساعة » . عند التاسعة سألت عنه . قال « السنترَاليست » : « لحظة » . وطالت هذه « اللحظة » ثم طالت ، ثم طالت . ثم محمد على الخط .

— مساء الخير يا عزيزي

— أهلاً وسهلاً . بخصوص المقالة سنرسلها إلى طلال . . .

— أين طلال ؟

— في شمسطار . يجب أن يقرأها طلال . فإذا ما قرّر هو نشرها فأنا لن أمانع .

— طلال مشهور بجرأته . . .

— (مقاطعاً) : « بنحكي الأربعا » .

— لا بأس

وسكت الهاتف عن الكلام . . . وعن الحوار . . . وعن . .

وكما في كل مرة ، قالت إيمان :

— عبثاً تحاول يا مصطفى . قلْ لهم أن يعيدوا المقالة !

— عندي لها صورة . دعي الوقت يأخذ مجراه . لست مستعجلاً .

— كما تريد .

تذكرتُ الأستاذ حازم صاغية، فاتصلتُ به في منزله . بعدما سألتُه رأيه في كتابي « رسالتي إلى المسيحيين » (قال : قرأت حتى الآن حوالى النصف منه أو أكثر قليلاً . أنا حتى

الآن معك . المسيحية هكذا تكون . المسيحية يجب أن تبقى في الشرق . . . ويجب على الشرق أن يحافظ على المسيحية)
أخبرتُه بمقالة « قاموس حرب علي ومعاوية » وما جرى لها ، فقال حازم :

— تعرفُ أنني مع « السفير » من الخارج وليس من الداخل . أنا أكتب موضوعي وأقدمه للنشر . هذا كل شيء. لو كنتُ من الداخل لضغطتُ من أجل نشر ردك . الحرية هكذا تقتضي .

وتابع حازم يقول :

— الصفحة ١١ مسؤول عنها جهاد الزين . اطلبْه غداً عند الظهر . هو يعرف إن كان ردّكَ سيُنشر أم لا .

— شكراً .

— ليتني أستطيع التدخل .

انتهت المكالمة بين حازم وبيني ، على أمل أن يكمل قراءة « رسالتي إلى المسيحيين » ويقول لي رأيه كاملاً .

لسْنا أحراراً

ظهر اليوم الثاني ، كنتُ على الهاتف مع الأستاذ جهاد

الزين نفسه . صوتُه العالي يشجع على الأخذ والرد . سألته عن المقالة فأجاب :

— أعطاني إياها الأستاذ محمد مشموشي .

— قرأتها ؟

— طبعاً .

— ما رأيك ؟

— معك حق . أنا معك الكثير مما قلته . ولكن . . .

— ولكن ماذا ؟

— لن نقدر على نشرها .

— والدعوة إلى الحوار ؟

— أي حوار ؟

— إلى الديموقراطية ؟

— أية ديموقراطية ؟

— وإلى الحرية وإعلان الرأي والموقف ؟

— نحن يا أستاذ لسنا أحراراً . لسنا ديموقراطيين . نحن هنا في بيروت . . .

— ولكن الأستاذ طلال قال في الرئيس الجميل والكتائب

و « القوات » وغيرهم (. . .) ما شاء له أن يقول . . .

— معك حق . معك حق . إلاّ أننـا لا نستطيع نشر مقالتك . البلد كلها مهرهرة .

— هرّوا معها إذاً !

وارتفعتْ حدةُ النقاش بيننا . . . وتابع جهاد يقول :

— إذا نشرنا مقالتك سينسفون الجريدة على رؤوسنا .

— ولكنني لم أشتم أحداً ! ممن خائفون ؟ من « أمل » ؟ من السنّة ؟ من الدروز ؟ لا أنا شتمت طلالاً ، ولا الأسد ، ولا القذافي ، ولا شمس الدين ، ولا حسن خالد ، ولا عبد الأمير قبلان ، ولا علياً .

— ليتك شتمتَ علياً . مشكلتنا ليست مع جماعة علي . المهم أن لا تشتم معاوية . علاقتنا هي مع جماعة معاوية في بيروت . . . وغير بيروت .

— يبدو أنك لم تفهم المقالة جيداً . أنا مع معاوية . . . ولست مع علي .

معاوية رجل دولة من الطراز الأول . معاوية سياسي بارع وحكيم وعظيم . إنّا بحاجة إلى معاوية .

— معك حق . معك حق . إلاّ أن مقالتك لن تُنشر في « السفير » . لن تُنشر .

— بئس الديموقراطية التي تدّعون . بئس الحرية التي تحسبون أنكم تناضلون في سبيلها .

وأقفل جهاد السماعة وهو يقول بصوت عالٍ كاد يقطع الشريط :

— نحن لسنا أحراراً . لسنا ديموقراطيين . معك حق . معك حق .

إيمان تضحك وتضحك وتضحك . إيمان مشمئزة . سألتها :

— ما بكِ ؟ !

— معه « حق » جهاد . كيف سينشرون ردكَ وهم ليسوا أحراراً ولا ديموقراطيين مثلما قال ؟ لقد سمحوا لأنفسهم بتعرية الناس . . . ولم يسمحوا بتصويب آرائهم ونقدها وتفنيدها ! !

— بقي ياسر . . .

— لا تحاولْ ! المكتوب يُقرأ من عنوانه كما يقال .

القرار

برغم ذلك طلبتُ ياسر . ولئلاّ « ينقز » قلت للسكرتيرة

حينما سألتني « مين بده ياه ؟ » : أنا « محمد عبد الله » .
سألتني أيضاً « من وين ؟ » قلت : من الجنوب . ثم سألتني
« شو بتريد منو ؟ » . أجبتُها : لي معه حديث . بعدها قالت
السكرتيرة « معك الأستاذ ياسر » وفوراً قلت له :

— صباح الخير

— صباح الخير . مين ؟

— أنا مصطفى جحا . أنا لست « محمد عبد الله » كما
قالت لك السكرتيرة . سامحني يا صديقي . لقد خشيتُ أن
يقولوا لي إنك لست موجوداً ، فاتخذتُ لنفسي هذا الاسم ،
لكي أصل إلى قلبك وأذنك الطيبين .

— أهلاً وسهلاً . كيف حالك ؟ وصلني كتاباك (يقصد:
« شاهد الثعلب ذَنَبَه » و« رسالتي إلى المسيحيين ») .ماذا
عندك ؟ أية خدمة ؟

— عفواً ! يا صديقي ، هنـاك قضية صغيرة ...
صغيرة جداً .

— خير ؟

— مقالة كتبتُها رداً على الأستاذ طلال

— ما بها ؟

— الأستاذ جهاد الزين قال : لن ننشرها .

— (مستغرباً) لماذا ؟

— لأنهم ليسوا أحراراً كما قال .

— ما المطلوب مني ، وأنا حسبما تعلم لا علاقـة لي
بالتحرير ؟ أنا للادارة .

— محمد وعدني بأنه سيرسلها إلى طلال في شمسطار .
أرجو منك ...

— (مقاطعاً) فهمت . فهمت . سأطلبها من محمد لأقرأها.
اتصلْ بي بعد يوم أو يومين .

— شكراً . سلمْ !

— وأنت سلمْ أيضاً !

بعد الظهر سألتُ عن باسم . قيل لي : في الشام . سألتُ
عنه في اليوم الثاني ، فقيل لي : في الشام .

يوم الأربعاء لم أتصل بمحمد . يوم الخميس طلبتُ باسم .
أيضاً باسم في الشام . طلبتُ محمد. قال « السنترالست » :
« اتصلْ به بعد ساعة ! » . وعملاً بما أراد صاحب الهاتف ،
عدت إلى الاتصال بمحمد . قال لي الهاتف أو صاحبه ، مثل

بعضها : ترك . كرّرت اتصالي بمحمد يوم الجمعة .وكالعادة : بعد ساعة . بعد نصف ساعة . لحظة . ترك .

قلت لعامل الهاتف: ألن يعود ؟

قال : سأعطيك السيد محمد بنجلك

قلت : حسناً .

قال بنجلك (جنوبي من قرية الشعيتية قضاء صور) : مين؟

قلت : مصطفى جحا .

قال : أهلاً . الأستاذ ترك . هل تريد منه شيئاً ؟

قلت : لا . لا . هو يعرف .

قال : كما تشاء .

ردّت إيمان ، وكأنها تعبتَ عني : قل له أن يُرجعوا لك المقالة .

قلت للسيد بنجلك : أخبرْ الأستاذ أنني أريد المقالة .

قال : طيب . طيب .

قلت : شكراً .

قال : مع السلامة .

ظهرَ السبت طلبتُ باسم . أيضاً وأيضاً باسم في الشام ؟ !

طلبتُ جهاد الزين . قيل لي : ترك . طلبتُ ياسر . ردّ ياسر قائلاً :

— سألت محمداً عن المقالة ، فوعدني بأن « يمرّقها » لي . لم يعطني إياها بعد . ولكني سوف أطلبها لأسحب عنها صورة . بالنسبة إلى نشرها ، حالياً ، فإنه أمر غير ممكن . ظروف البلد كما تعرف . وظروف « السفير » أيضاً كما تعرف . مقالتك من « الكتابات الصعبة » حسبما فهمتُ من محمد .

— إذن تصبح دعوة طلال في غير محلها !

— لقد نعى طلال الديموقراطية والصحافة والحرية في الحلقة الأولى .

— ومع هذا كسّر « جماجم الناس » و « عظامهم » ؟ !

— معك حق . كان على طلال أن يتريّث .

— بل كان عليه ، عندما دعا إلى الرد وإعلان الرأي والموقف ، أن يستثني مصطفى جحا .

— الغريب أن أحداً لم يكتب إلينا حتى الآن [٢٥] . لقد بتنا نشعر بأننا تورطنا .

---

(٢٥) لكن نائب الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين « أبـو علي مصطفى » رد على طـلال ونشر رده في « السفير » :٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ / ٧ / ١٩٨٥ .

— ربما أزعجتُك يا صديقي . سامحْني !

— أبداً . ان حظنا معك كما يبدو ليس كما كنا نشتهي .

— ما دام الأمر كذلك ، فإني أرجو منك أن تدع محمداً يرجع لي المقالة .

— طيب . طيب . وداعاً .

في المساء طلبتُ محمداً . هو معي على الخط . بادرني قائلاً :

— لم يوافق طلال على نشرها .

— صحيح ؟

— نعم .

— إذن ما معنى دعوته إلى الحوار ؟

— مقالتك لا تخدم الدعوة إلى الحوار .

— هذا رأيي وقد كتبْتُه من أجل الحوار . . . وليس كما تظن .

— لو تسحب منها الكلام على معاوية وعلي . . . والكلام على القذافي ، ننشرها .

— هكذا ؟ لقد بات على طلال أن يسحب هو دعوته . أو على الأقل أن يتنازل عما قاله في خاتمة حلقته الأخيرة .

(وقرأتها على محمد) .

— أنت توسّعت كثيراً في الموضوع . أنت ذهبت بعيداً .. بعيداً كثيراً .

— آه من حرب المسجديّن !

— معك حق .

— أين الحرية ؟

— لسنا أحراراً .

— والديموقراطية ؟

— ظروف يا استاذ . ظروف .

— إذن يجب أن تكفّوا عن « تخوين » الناس و « رجّم » الناس .

— معك حق . هل تريد المقالة ؟

— طبعاً .

— هي موجودة ، منذ الآن ، على « المدخل » . أرسل وراءها !

— غداً .

— طيب .

— سلّمْ على طلال وقل له أن يلغي دعرته . يعني :
يشطبها . فهي ليست للحوار ، بل لتعرية الرئيس الجميل
والكتائب و « القوات » . ومن كان بيته من زجاج كيف له
أن يرشق منازل الآخرين بالحجارة والحديد ؟ الذي يسوّغ
لنفسه تجريح الناس و « تخوينهم » كما يحلو له ، بل كما
يأمر سيده (. . .) ، يجب أن يفتح صدره وعقله لما يقوله
غيره ، وإنْ لا فليصمتْ ، ولربما في الصمت فضيلة . أنا لست
« محامياً » لاحد . انه رأي حرصْتُ على إعلانه ، تماماً كما
تحرصُ أنت وطلال وجهاد وجورج ناصيف وحازم صاغية
وسائر إخوانكم في « المكنة » (Machine) والذين
لا يرون إلاّ رأيكم ، على قول ونشر ما ترونه مناسباً مع
سياستكم ومصلحتكم وهدفكم . هذه الحملة المسعورة على
الرئيس الجميّل ، يجب أن يكون لها آخر .

— (بصوت عال) أنسيتَ موقف المسلمين من كتابك
« محنة العقل في الإسلام ؟ » .

— ليتهم قالوا : أين الخطأ في هذا الكتاب !

— مهما يكن ، لا يمكننا نشر مقالتك. لـن « نفوّر »
المسلمين علينا .

— أما المسيحيون فيجب أن « يُلْقَوْا في البحر » .أليس

كذلك ؟ أين هو المنطق القومي ؟ أراكم تجهلون قيمة الحرية
في لبنان .

— الحكم اليوم للغرائز وليس للمنطق .

— إن الجريدة التي « تجرؤ » على الحكم والكتائب
و « القوات » والمارونية السياسية ، وعلى أميركا وإسرائيل
وعرفات والحسين والسادات ومبارك ، كيف لا تجرؤ على
نشر مقالة لم تُكتب للدفاع عن أي من هؤلاء وأرلئك ، وإنما
كُتبت لنبش جذور حربنا التي أصبحت مجموعة حروب ؟

— إنها الظروف يا أستاذ . لا تؤاخذْني . هناك من يطرق
بابي . حكيْنا كثيراً . مع السلامة .

وأقفل محمد السماعة كما أقفل أبواب « السفير » أمام
« قاموس حرب علي ومعاوية وسباعية طلال سلمان » ! !

وفي اليوم التالي استعنتُ بأحد الأصدقاء (. . .)فردّ إليّ
المقالة وعليها من اثر أصابع محمد وجهاد وباسم وربما طلال
وياسر أيضاً .

قالت إيمان : يجب أن لا تبقى المقالة في الدرْج .

قلت : لن تبقى كذلك.

لماذا توسّعَتْ

كنت أقرأ مقالتي هذه ، في منزل شاعر صديق ، كان معنا بعض الأدباء والشعراء ، ولما انتهيت ، ردّ صاحب المنزل قائلاً :

— إنني أقترح نشرها في كتيِّب على أن تُنشر معها سباعية طلال .

قال الجميع بصوت واحد :

— الحق مع الأستاذ ...

سألت محامياً كان موجوداً (جاء ضيفاً على الشاعر) :

— هل من مسؤولية قضائية فيما لو نشرتُ مقالات الأستاذ طلال في الكتيِّب الذي اقترحه صديقنا الأستاذ ؟

قال المحامي :

— أبداً . أبداً . ستذكر أنكَ نقلتَها عن « السفير » ؟

— طبعاً .

— هذا يكفي . ليس هناك من مسؤولية قضائية إطلاقاً .
نزلتْ عليّ هذه الفكرةُ مثلما الزلزال . وإذ لحظ الحاضرون شُرودي وانشغالي عنهم ، قال أحدهم :

— بماذا تفكر ؟

— اقتراحكم عزيز عليّ وغالٍ جداً جداً .

— ماذا تقصد ؟

— إن المقالة التي قرأتُها ، الآن ، هي في الحقيقة « مشروع » رد . سباعية طلال تستحق أكثر من هذه المقالة . تستحق أن يُرَدّ عليها بكتاب .

— ليكن !

— أجل . وإلاّ فلن أكتفي بما كتبتُ .

— حسناً . حسناً .

وقال الجميع بصوت واحد أيضاً :

— دعنا ننتظر هذا الكتاب . القضايا الجيدة ينبغي لنا أن نناضل من أجلها .

— أرجو أن أحقق ثقتكم . . . وثقة الكثيرين من أهل الرأي والكلمة والحق في العيش الحر الكريم .

وأخذتُ في توسيع المقالة، التي لم تبصر النُور في « السفير »، يوماً بعد يوم ، مع الخوف والرعب ، بسبب القصف وحرب « خطوط التماس » ، ومع البحث والتنقيب ، والتحقيق

والمراجعة ، حتى بدت لي وكأن ثمرها قد أدرك وطاب وحان قطافها ، فدفعتُها إلى المطبعة ، معها مقالات طلال — تماماً كما جاءت في « السفير » — حتى العناوين الصحافية حرصتُ عليها حرصي على المقالات نفسها — على أن يكون الكتاب ، المجلّد الواحد ، قسمين : الأول هو الردّ أو « قاموس حرب علي ومعاوية وسباعية طلال سلمان » بحرف (١٦ مونوتيب) ، والثاني هو السباعية أو « دعوى إلى الإنقاذ.. بالحوار » ، بحرف (١٢ انترتيب) ، وعسى أن يثق طلال بحسن نيتي وإخلاصي لكلمته وكلمتي ، وبالأمانة ، وقد التزمتُها فأوجبتُها على نفسي إيجاباً لحقّه .

في المنهج

كان نابوليون يقدّر أهمية الدعاية حق قدرها فقال :

« إن أربع جرائد معادية تستطيع أن تأتي بأضرار ، تفوق أضرار جيش مؤلف من مائة ألف جندي »[٢٦] .

و « السفير » ، في الحقيقة ، ليست معادية للرئيس الجميل

(٢٦) ذكره ساطع الحصري (ابو خلدون) في كتابه « صفحات من الماضي » .. طبعة مركز دراسات الوحدة العربية ص ٤٨ .

فحسب ، بل هي معادية للكتائب و « القوات » و « الحضور المسيحي السياسي » ، وهي ضد « الكيانية » و « التعددية » و « المناطقية » وكل أشكال « اللامركزية » ، ولكنها ، أبداً ، ليست مع البحث عن أسباب محنتنا التي من نتائجها هذه « الكيانية » و « المناطقية » و « الشوفينية » و « الانعزالية » و « الطوائفية » و « المذهبية » ، إلاّ بما يسمح به « الأصدقاء » و « الحلفاء » من الملوك والرؤساء ، ومن « الأئمة » و « الشيوخ » و « الوكلاء » و « الفقهاء » و « الحراس » و « الأزلام » .

ويمكننا القول ان « السفير » تنفّذ سياسة الجماعة ، ومنطقها قائم على النظرية القائلة : « من كان معنا فهو لنا ، ومن ليس منا فهو ضدنا » ، ومع هذا اتخذت لنفسها الشعار التالي : « السفير : صوتُ الذين لا صوت لهم » ! !

إن « السفير » — اليوم — هي مع سوريا حتى « النخاع » ، ومع ليبيا حتى « الركبتين » ، إلى أن يخرج نبيه برّي من بيروت (؟) ومع الفلسطينيين كما تشاء سوريا ، ومع السنّة بدون « الإخوان المسلمين » ، هذا في لبنان ، أما في مصر فمسألة فيها نظر ، ومع الخميني ما دام ضد صدام ، ومع حكومات المغرب حسبما تريد طرابلس الغرب ، ومع الشيوعيين والسوريين القوميين والناصريين والجنبلاطيين وسائر الأحزاب والهيئات والجمعيات والنقابات والاتحادات والمنظمات ، مما بقوا

« دماشقة » أو « أسديين » و « طرابلسيين — غربيين » أو « قذّافيين » ؟!

فمن كان حاله كما وصفنا ، أنّى له أن يكون حراً وديموقراطياً ومعتدلاً وحكيماً ؟ وأنّى له أيضاً أن يكون أميناً على قضايا الناس ومصالحهم ، ومخلصاً لهمومهم وشجونهم ، ومتفهماً لأزماتهم ومحنهم ؟

وإذ يكتب طلال سلمان « دعوة إلى الإنقاذ . . . بالحوار » فإنما يكتب «ورقة جلْب » أو « ورقة إحضار » للسنّة والشيعة والدروز والموارنة والأرثوذكس والكاثوليك والأرمن ، وللحكم والأحزاب ، كل الأحزاب ، ولكل من خلق الله ، إلى دمشق ، وقد « عرّى » بعضهم (. . .) حتى من « ورقة التوت » ، ليُلبس بعضهم الآخر الحرير والديباج والطيلسان ، كما هيأ « طرابيش » العز و « عمائم » الأولياء والحَبير الناعم الذي ارتدى مثله الصحابةُ و «التابعون الصالحون » ، على أن ينظر كيف سيوزعها بـ « العدل » و « المساواة » !!

ووضع طلال شروطه كاملة بدون نقصان . فهناك ، في دمشق ، مطلوب من المدعوّين ، على اختلاف درجاتهم ، أن يقبّلوا العتبات الدمشقية ويقدّموا عصا الطاعة ، ويعفّروا

الجباه بالتّراب « المقدّس » ، ومن تخلّف أو تباطأ أو أخطأ في أداء « الواجب » لا يُعدّ من المحاورين ، ولا هو يُنقذ من « الجحيم » ، فبديله حاضر بنعمة « الله » يمشي على الأرض ويأكل ويشرب وينام ويصلّي داعياً للأمير بالبقاء وطيب العيش والهناء . فالذي أجلس السيد حسين الحسيني مكان السيد كامل الأسعد ، والذي أعاد السيد رشيد كرامي إلى القصر الحكومي رئيساً ، يستطيع أن يمكّن من يحبّ من الجلوس في المكان الذي يشتهي بدون إثم ولا حرج ، وإن هذا لسرّ عظيم لا يدركه إلا الراسخون في العلم .

إذن دعوتُه هي إلزام وشرط ، وفي المثل «الشرط أملَكُ عليك أمْ لك » أي إن الشرط يملك صاحبه في إلزامه إياه المشروط إن كان عليه أوْ له .

إن هذا هو الذي كرّس الاختلاف بين منهجه ومنهجي ، إذ تكلم هو عن الحاضر وكأن لا جذور له ، ولا تاريخية ، فيما رجعتُ أنا إلى التاريخ ، لا حباً به ، وإنما لأننا ملوّثون بهذا التاريخ ، حتى ليبدو حاضرنا كأنه ماضينا ، وتاريخنا البعيد البعيد كأنه يومُنا هذا بليله ونهاره ، وبوسعنا القول اننا مصابون بـ « سرطان العقل » الذي لا نجاة منه كما يظهر . فالسنّة ضد الشيعة ، والدروز يضحكون مرة للسنّة أو عليهم ومرة للشيعة أو عليهم . والثابت الوحيد الأوحد هو أن جميع هؤلاء بمن فيهم إسرائيل هم ضد المسيحيين !

لماذا ؟

لأن التاريخ قد أسقط علينا أحكامه القاسية والجائرة ، مثلما أسقط طلال العسِّيف [27] و العسيف [28] أحكامه على الرئيس الجميل والكتائب و « القوات اللبنانية » .

مرة واحدة ، حاول طلال أن يذهب بعيداً ، ولكن إلى أين ؟ إلى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر . ومن أسف أنه في « رحلته » هذه يشبه الذي « سرق ليلة من الشهر » إذ نعم فيها ، ويشبه أيضاً « سارق النار » أو « سارق بيض الحجل » ، أو « سارق الطفل من حضن أمه » ، أو « سارق الكحل من العين » ، وربما ماثلهم جميعاً .

يقول طلال في ورقته الرابعة (٨٥/٦/٢٩) :

« إننا مع « الدولة » في لبنان ، مع الجمهورية اللبنانية .

وما كان قائماً في لبنان حتى اليوم ليس جمهورية ، وفقاً للتعريف المعتمَد عالمياً للجمهوريات . بل خليط من الإقطاعية والإمارة ذات المرتكز الطائفي ، وبعض تراث المتصرفية بوصفها « التقنين » الفعلي للنفوذ الأجنبي ، والغربي تحديداً في لبنان ، ومصدر هذه الهجانة في هويته القومية ، إذ جعله بروتوكول ١٨٦٤ كياناً تابعاً بالاسم للأمبراطوريات العثمانية

---

(٢٧) العسِّيف : الذي يركب الطرق على غير هداية ومن دون دليل .

(٢٨) العسيف : الاجير .

لكنه ليس منها ، تعيّن متصرفه دول الامتياز فيكون من رعايا السلطان ولكنه مسيحي ، ويعتمده السلطان برغم أنه غير ذي رأي فيه ، ثم يأتي ليحكم بلداً لا هو منه ولا تعنيه همومه ولا يفهم علاقته بمحيطه . . . فالكل بالنسبة إليه سواء ! »

ويقول أيضاً :

« هذا من غير أن ننسى ذلك التراث الغزير لحقبة الاحتلال الفرنسي ، والذي غيّر في جغرافية لبنان مرة ، وفي تركيبته السياسية مرات ، وفقاً لمصالح المحتل وللاخفاقات (أو النجاحات) التي حققها مشروعه لاستعمار سورية الطبيعية كاملة . . . وكلنا يذكر أن نظام لبنان السياسي لم يستقر على هذه « الصيغة » إلاّ بعدما تأكد لفرنسا انها خارجة من سوريا بالتأكيد ، وبالتالي من لبنان ، نتيجة لعنف الرفض الشعبي في سوريا من جهة ، ولهزيمة فرنسا ذاتها في الحرب العالمية الثانية واضطرارها إلى لملمة جيوشها المنهزمة وإعادة ترتيب بيتها ذاته » .

تلك هي واحدة من أسباب مشكلاتنا الكثيرة والمعقّدة ، ولكنها ليست الأسباب كلها إطلاقاً . ومن اقتنع بالجزء ، دون الكل ، كيف ينصّب نفسه حكَماً « يجلب » الناس إلى « بيت الطاعة » ؟ !

إذن منهج طلال استعراضي فولكلوري ابتزازي مرتكز على الظن فحسب، ومنهجي أنا تاريخي نقدي تحليلي وتطبيقي يربط الحاضر بالماضي ، ولا يتهم أحداً ، بل يناقش الفرقاء جميعهم من دون لوم أو تثريب. فالكل بريء حتى السذاجة ، الكل مخطىء ، حتى الذنب ، وحاضرنا هو « لقيط » يسكن « مأوى » التاريخ ، ويسوده وضع من العجز الدائم . ولقد أبى طلال إلاّ أن يصنع من هذا « اللقيط » عملاقا، لكي يقال يوماً إنه أقام « محكمة » صحافية غيّرت وجـه التاريخ وأنقذت ما شاء لها أن تنقذ من البشر والحجر ، فيما كانت الصحافة اللبنانية « تعيش غربة كاملة عن هذا الواقع المقيت ، الذي يثقل بوطأته علينا يوماً بعد يوم » عـلى قوله في الورقة الأ لى (٢٦/٦/١٩٨٥) .

وعملاً بالمنهج الذي اعتمدنا ، كان لا بد لنا من أن نستحضر — بطريقة استعمالنا القاموس — أميريّ المسلمين الكبيريْن : علي ومعاوية ، اللذين من عندهما بدأت هموم « سورية الطبيعية » وهموم العرب . الأول هو ابن عم محمد (النبي) وزوج ابنته . والثاني أحد كتّابه وأخو زوجته (أم سلمة) . ومنذ أيام هذين الأميرين وإلى الآن أنجب المسلمون الكثيرين من أمثال علي ، ولكنهم لم ينجبوا مثل معاوية سوى

الرئيس السوري حافظ الأسد ، الذي وصفه المحامي كريم بقرادوني بـ « معاوية القرن العشرين » (٢٩) .

« العَليّون » موجودون ملء الأرض العربية والإسلامية . من إيران إلى ليبيا ، ومن مراكش إلى السعودية ، في كل بلد « علي » ، بشكل أو آخر . بينما لا يوجد إلاّ « معاوية » واحد فقط لا غير .

كل « العَليين » يريدون « أمّة » إسلامية واحدة » (؟) فيما « معاوية » يريد « سورية الطبيعية الواحدة الموحّدة » .

• ومن دواعي الأسى والبؤس أن يكون المسيحيون ، في لبنان وفي ديار المسلمين ، هم المستهدفون من « العَليين » كما من « المعاويين » ، فكأن لا فرق بين دولة « طوباوية » ودولة « واقعية » ، إذ لا مبرر لهذه الإجراءات سوى أن المسيحيين ليسوا من « هاشم » ولا من « أمية » ؟!

* وإني إذ أدعو إلى التعاطف مع « معاوية » فلأنه يدرك

(٢٩) انظر « السلام المفقود ـ عهد الرئيس الياس سركيس» تأليف المحامي كريم بقرادوني ، طبعة ١٩٨٣ ص ٨٣ ، وانظر أيضا كتابنا « شاهد الثعلب ذنبه » طبعة ١٩٨٤ ص ١٢٩/١٣٤ .

حاجته إلى الأقليات ، ولأنه حكيم في سياسته ، ولأن بينه وبين الناس شعرة لا تنقطع .

على أن المسيحيين هم أحق بالمعروف والمعاملة الحسنة والرحمة ، وليسوا كما يدّعي المدّعون .

الويل ، ثم الويل لـ « معاوية » وكل « معاوية » إذا المسيحيون أجبروا على « الطاعة العمياء » أو « الهجرة » أو «الدخول في الإسلام » !

مصطفى

"إن السماء ترى، ولكنها ترى بعيون الشعوب، والسماء تسمع، ولكنها تسمع بآذان الشعوب"

كونفوشيوس

المدخل

كلما رحلَتْ سفارةٌ من بيروت ، يتصاعد خوفي على « السفير » وطلال ... والطِلال [30] ، وعلى الأعناق والأرزاق وسائر المواضع المرتفعة .

بيروت تحت الماء ... ولا أعتقد أن أحداً منّا يُنْقذ نفسهُ إلى رئته مثلما ينبغي !

ولكن ، هل كانت بيروت على الماء ومتى وكيف ؟

من سباعيّتك ، التي نثرتَها علينا في « السفير » ، نأخذ هذا المقطع سعياً للجواب الصحيح ، ليس إلاّ .

تقول في ورقتك السادسة :

---

(٣٠) الطِلال او الطِل : الندى او المطر الضعيف .مفردها الطل ..

« فالحروب الأهلية لا تنبت الورود ، بل تقتلها .

وحده المحب للوطن والحياة وأجياله الآتية هو الذي يَعتبر أن بين واجبات الانتصار على مفجّري الحرب والمنتفعين بها ، أن يرعى الورود ويحميها لتكون سِمةً من سمات غده المرتجى » (١٩٨٥/٧/١) .

يا زارع الورد ، هل تملكُ أرضاً وأين وما مساحتها ؟

من « حمراء » بيروت (٣١) إلى شمسطار — البقاع إلى « الناقورة — الجنوب إلى القبيّات الشمال ، وكما الماء كما النار .

ليست « الحروب الأهلية » وحدها التي تقتل الورود . وإنما الملح والكلس والكبريت والغاز والقار والظلم والفساد والحقد والحسد والطوفان كلها تغتال الورود والأزهار ، من أي نوع كانت ، بل تغتال الحياة بأركانها السبعة التي منها « النوّارة » (٣٢) — عليها السلام .

---

(٣١) حيث يقع مركز جريدة « السفير » . اشرنا الى ذلك في المقدمة .

(٣٢) النوّارة أو الضاحية الجنوبية لبيروت كما دعاها الاستاذ طلال سلمان في سلسلة مقالات له نشرت في « السفير » .

فإذا كانت مدُن الغرب مهدّدَةً بالتلوث والفيضانات العالية التي تسببها العواصف الشديدة ، فإن بيروت مهدّدَة بـ « الحروب الأهلية » والتلوث معاً .

وبما أن خطر الحروب الأهلية هو أشد فتكاً ، على المدن ، وأسرع من خطر التلوث ، سنجعل كلامنا ، على معانيات المدن الغربية الزاهية ، مختصراً جداً ، برغم أهمية الموضوع وانشغال الخبراء والباحثين العالميين المختصين به . وإذ نفعل ذلك ، بتواضع ، فإنما لنكون مطّلعين ، ولو قليلاً ، على مستقبل بيروت مع التلوث ، إذا قُدِّر لها أن تنجو من الحروب الأهلية .

يقول المؤرخ الأميركي المعاصر كافين رايلي (Kevin Reilly) في كتابه « الغرب والعالم » (The West and the World) (٣٣) ما يلي :

« إن مدن الغرب أصبحت رعايا لأمبراطوريات جديدة . ويكون الخضوع جلياً للغاية أحياناً: فمدينة ديترويت خاضعة لأمبراطورية السيارات ، وبتسبرج خاضعة لأمبراطورية

---

(٣٣) نقل القسم الاول منه الى العربية الدكتور عبدالوهاب المسيري والدكتورة هدى عبد السميع حجازي . صدر مترجما عن « عالم المعرفة » — الكويت، رمضان ١٤٠٥ هـ — يونيو (حزيران) ١٩٨٥ .

الصلب ، ونيويورك خاضعة لأمبراطورية المال ، وباريس خاضعة لأمبراطورية فرنسا . غير أن المدن الغربية الحديثة — معظم الأحيان — كثيراً ما تقع فريسة كثير من القوى الخارجية . وإذا أردنا مثالاً حياً على ما يحدث (فلننظر) و (لو بطريقة) خاطفة إلى البندقية . وذلك قبل فوات الأوان .

يقدّر الخبراء أن التلوّث يُفقد البندقية ما بين ٣ بالمئة و ٤ بالمئة من تراثها الفني كل عام . فالتماثيل تتآكل من « سرطان البرونز » الذي لا يسببه تلوث المدينة الطبيعي من عادم السيارات ، فالبندقية ليس فيها سيارات ، والزوارق التي تعمل بالمحركات في القنوات لا ترسل إلاّ عادماً بسيطاً . ولكن عندما تهب الريح من معامل تكرير البترول في بورتو مارجيرا (Porto Marghera) في الوطن الأم تتحد الغازات الكبريتية بالهواء المشبّع بالملح فتكون مزاجاً ساماً » .

أضاف :

« والأخطر من هذا أن البندقية تغرق ، فالمياه في الواقع ارتفعت من حولها بحوالي بوصتين في السنوات العشر الأخيرة . ويبدو أن معظم المسئولية يقع على عاتق الصناعات التي حفرت الآبار بورتومارجيرا ، خارج البندقية ، ولم تغلقها . وهذه الآبار تقذف بالمياه العذبة الجوفية في البحيرة .

وتبدو بعض المقترحات الرامية إلى خفض منسوب المياه مقترحات بسيطة : فالآبار يمكن تزويدها بغطاء ، ومياه المصرف يمكن تجفيفها وتحويلها إلى سماد بدلاً من صرفها في المياه . كما يمكن بناء أهوسة ضخمة عند الفتحات الثلاث بين البحيرة والبحر الأدرياتيكي ومثل هذه الأهوسة يتحكم في إغلاقها آلياً كومبيوتر يستشعر أي زيادة فيعطي إنذاراً بأي فيضان — وشيك (بينت إحدى الدراسات أن الأهوسة ستغلق حوالي ٢٠٠ ساعة في العام) » .

ويقول رايلي أيضاً :

« ومع ذلك لم يتم عمل شيء ، فصناعة البتروكيماويات في بورتومارجيرا مسئولة عن الحلول مسئوليتها عن المشكلات . ولكنهم وجدوا أن تكلفة تغطية الآبار مرتفعة ، وهم ينتجون السماد الكيماوي لا العضوي ، ويعارضون بناء الأهوسة خشية تحول حركة الناقلات الى ميناء آخر . وهم أقوياء في روما وكذلك في البندقية ، ومن ثم فإن الحكومة الاتحادية تتباطأ في اتخاذ أي اجراءات .

وقد اضطر حتى بعض أهالي البندقية الى التسليم بموت مدينتهم ، فالوظائف بأيدي القوى الصناعية في بورتو مارجيرا . ولم يعد البنادقة قادرين على العيش والعمل بمدينتهم ، فانخفض عدد سكان البندقية ، في السنوات العشرين الماضية ، من ٢٠٠

ألف نسمة الى ٩٠ ألف نسمة ، ومعظم الباقين يضطر الى التوجه الى البر الرئيسي ، شبه الجزيرة الإيطالية ، بحثاً عن العمل . ان المجتمع الصناعي الهائل في بورتومارجيرا لا يمكن أن تتحمّله مدينة واحدة — حتى تلك التي كانت « أزهى المدن التي رأتها عيني » (على حد قول السفير الفرنسي الجديد ١٤٩٥) »[٣٤] .

تلك هي أبرز هموم المدن الغربية (. . .) في هذه الأيام ، الاّ انّها ليست كذلك غداً ، إذا ما حدث « الخطأ الأكبر » أو « الجنون الأكبر » وانفجرت الحرب النووية . لا أحب أن أتصوّر كيف ستكون العاقبة أو منتهى الأمر ، بل الأفضل أن نستبعد وجود ذلك « العاقل » الذي يمكنه أن يعبث بالحياة البشرية و « يكبس » على زر الهلاك الأممي . وإني لأرجو أن لا يكون العالم متجهاً إلى الانفجار الكبير وإبادة المـدن العظيمة ، التي منها مدينتنا الغالية والحبيبة بيروت .

قلنا « إن بيروت مهدّدة بالحروب الأهلية والتلوّث معاً ، وإذا عرفنا التلوث في الغرب وأسبابه ونتائجه ، بعضها من معانياتنا نحن أيضاً ، نترك الكلام على « التلوث البيرتي » لأصحاب الشأن والاختصاص ، فننظر إلى « الحروب الأهلية »

(٣٤) الغرب والعالم ، ص ٢٤١ . لعل خطأ مطبعيا وقع في الترجمة العربية ، وعندئذ يكون الصحيح (١٩٤٥) .

وقد انبثقت منها « حرب علي ومعاوية » بل الأصح أنّها هي التي انبثقت من « حرب علي ومعاوية » ، وإليك شرح هذه « المعادلة » وتبسيطها ، من خلال البحث في أنواع حربنا وأشكالها وظروفها ورجالها والمشاركين فيهـا والمحرضين عليها ، وصولاً إلى نتائجها وغاياتها ، وقد عقدتُ لها سبعة فصول وخاتمة ، على أمل أن أكون قد وُفّقت إلى الكشف عن جذور مشكلاتنا الضاربة برحم تاريخنا منذ حوالى أربعة عشر قرناً ، وفي أعماقنا وعقولنا كما في سُبُلنا ومناهجنا .

وإنها لنافذة صغيرة ثانية على المعرفة ، فتحتُها ، بعد « رسالتي إلى المسيحيين » ، «لتكون (أيضاً) بين الناس والناس ، والعقل والقلب ، فلا هي غربية الهوى ولا هي شرقيته ، ولكنها مشرقية بكل تأكيد » .

حَرب المسجدين

في بيروت الغربية مسجد يقاتل مسجداً ، ورحمَ الله كنائس النصارى وأديارهم وبيوتهم وقراهم ومزارعهم ، في الشوف وعاليه والإقليم وشرق صيدا .

جامعُ علي بن أبي طالب (في الطريق الجديدة) للسنّة ؟ وجامعُ الحسين بن علي (في برج البراجنة) للشيعة . الأول إمامه وليُّ معاوية — يدّعي أنه بريء منه ، فلا يدعو له في خطبه ، ولا يذكره في مجالسه حتى المغلقة منها (؟) بل ينكره ، ويتجاهل سلطته وحقّه عليه ؟! — والثاني إمامه وليّ علي — يقلّده في كل الأمور ، من غير تأمل ولا نظر ، ويحمله على ظهره ولسانه مفاخراً متمدّحاً بخصاله ومناقبه ومكارمه وفحولته وعشقه للحرب والسيف ، ويتاجر بأقواله وحِكَمه

وخطبه ! — وترانا نترك « حرب المساجد » أو « حرب المسجديْن » أو « حرب الوليّين » ونحمل على « الحاكم المسيحي » و « الحكم » ، إذ « القاعدة في لبنان » ، كما يقول النائب المحامي أوغست باخوس ، « أن الحق على « القبطان » ، « الرئيس هو « فشّة الخلق » ، مع العلم أننا في لبنان لا نمارس النظام الرئاسي ، والسلطات في يد مجلس النواب وبعده مجلس الوزراء ؟ »[٣٥] و « التجنّي دائماً على مقام الرئاسة (؟) فإذا قام بعمل ما هو المسؤول ، وإذا تلكأ نحمّله مسؤولية التلكؤ ، بينما الوزراء قابعون في بيوتهم ويتهربون من النقاش والحوار ويسلكون مسالك العنف »[٣٦] ؟

غريب أمرنا حقاً !

تعالَ معي إلى فرائد الأدب في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب لعلّ فيها ما يساعدنا على اكتشاف خطأنا ومعالجته .

قالوا : — لا يعرف الحيّ من اللّيّ .

(الحيّ هو الحق واللّيّ الباطل . وقيل الحي هو الكلام الظاهر واللي الكلام الخفي) .

---

(٣٥) أوغست باخوس : النهار ١٩٨٥/٧/٣١ .
(٣٦) المصدر نفسه .

— لا يعرف قبيلاً من دبير

— لا يعرف الكوع من البوع

— لا يعرف الكاع من الباع

— لا يعرف الهرّ من البرّ (٣٧) .

إنّ أياً من هذه الأمثال يُضرب للذي لا يعرف حقائق الأمور . . . ويقيني أنك تعرف الأمر وجوهره .

وقالوا أيضاً :

— ليس هذا بعشِّكِ فادرجي

أي ليس هذا من الأمر الذي لكِ فيه حق فدَعيه . يُضرب لمن يرفع نفسَه فوق قدره أو لمن يتعاطى ما لا ينبغي له . على أن لكَ ولي ولغيرنا الحق في البحث والقول والتفكير بحرية كاملة شاملة مقدّسة .

وفي الجنوب (جبل عامل) مثلٌ بسيط ، ربما لا يعرفه سوى بعض الجنوبيين ، وهو : « العرْس في محرونة وأهل المجادل بيرقصو » . فالمحرونة والمجادل قريتان من أعمال صور ، الواحدة وجهها يقابل وجه الأخرى . ومعنى القول

(٣٧) قيل الهر القط والبر الفأرة .

أن الناس يتزايـــدون في الأفراح أو الأحزان حتى تختفي الحقيقة (. . .) وترى كل فريق يدّعيها لنفسه .

ولكن بحر الأمثال ، كما تعلم ، واسع عميق ، فما علينا إذن إلاّ أن ننظر إلى العاصمة الحزينة ، بيروت ، وإلى الذين أعْرَسوا ورقصوا .

في بيروت ، عليّ ينازع معاوية ، ومعاوية ينازع علياً . أو قل : الحاضر يغالب الغائب والمكشوف يصارع المستور . ونسمع « السفيانيين » ، وما هم بسفيانيين ، و « الطالبيين » « الكربلائيين » يلعنون اليهود والنصارى والكفّار والمجوس والمشركين ؟ ! !

ففي عيد الفطر (السنّة فطرت يوم الثلاثاء ١٨ حزيران ، الشيعة فطرت يوم الأربعاء ١٩ منه) قال المفتي الشيخ حسن خالد في مسجد الإمام علي :

« ها هم بعض الذين يصفون أنفسهم بالمحرومين يمرّون اليوم على بيروت ويحاولون أن يدفعوا عن أنفسهم الحرمان بحرمان يصيبون به الآخرين من الأموال ومن الحرية والكرامة بل ومن الحياة » (٣٨) .

(٣٨) صحف ١٩٨٥/٦/٢١ .. من خطبة الشيخ حسن خالد .

وقال المفتي الجعفري الممتاز الشيخ عبد الأمير قبلان في مسجد الإمام الحسين :

« لسنا بعبعاً ، لكننا خرجنا من القمقم ، لن نعود إليه إن ظلم السنين : قساوة الحاكمين الظلَمة لا عودة إليها . من السنة المشؤومة ١٩٤٨ ونحن نتحمّل الوزْرَ عن كل العرب وكل المسلمين في مشارق الأرض مغاربها . نتحمّل وزْرَ قضية ونحمل همّها »[٣٩] .

من الواضح أن المفتي خالد غضِبَ ... والمفتي قبلان غضِب أيضاً . بينما المغضوب عليـــه هو الوطن والمواطن والحكْم ! !

« حرب علي ومعاوية » ، « حرب المسجدين » هذه ، تدعوها — في سباعيتك — « حرب الأشقاء » أو « حرب المخيمات » أو « حرب الصف الواحد » أو « جرب الخندق الراحد » أو « حرب القضية الراحدة » ، فكأنك تخلط النُقْل بالزعرور أو كأنك نسيتَ ما فعلت بك هذه الحرب ؟ !

نعود إلى خطبتيّ خالد وقبلان .

---

(٣٩) صحف ١٩٨٥/٦/٢١ .. من خطبة الشيخ عبدالامير قبلان .

يقول خالد (البيروتي) أ (المديني) أو (الشريف)[٤٠]

« وفي جوار بيروت عاش الفلسطينيون محرومين في المخيمات ككل المحرومين المسلمين وغير المسلمين بعد أن

---

(٤٠) جاء في كتاب « الغرب والعالم » المذكور سابقا ما يلي :

« لقد كانت الهوة بين المدينة والقرية هائلة في الشرق، ولا سيما في الصين . وقد عبر عن ذلك مـارسيل جرانيه (Marcel Grane) المتخصص الكبير في الشؤون الصينية ، قبل نيف وخمسين عاما :

« ان اكبر فارق هو الفارق بين اهل المدينة واهـل القرى ، فهـؤلاء اجلاف واولئك اشراف . واشراف المدينة يتيهون بحياتهم التي يعيشونها وفق طقوس لا تنتقل الى العوام . واهل الريف — من جهة اخرى — يتنصلون من الامور العامة . فبحث هذه الامور —كما يقولون — هو من شأن « آكلي اللحم » . والفريقـان ليس لهما المصالح نفسها ولا يتناولان الطعام نفسه . والاختلاف بينهما يصل الى درجة ان لكل منهما نظام التوجـه الخـاص بـه ، اذ يفضل النبلاء اليسار ، والفلاحون اليمين . واقصى ما تصل اليه مرتبة من يتولى شؤون القرية هو ان يكون كبير السن . امـا الاشراف فيتبعون سيدا كبيراً هو سيد المدينة .وهم يعيشون حياة مستغرقة تماما في القيام بمراسم البلاط . انهم يكوّنون جماعة نواتها السيد الكبير ، ويعبّرون عن احتقارهم لاهل الريف الاجلاف » (الغرب والعالم— ص ٢١٤) .

هُجّروا من ديارهم بغير حق ولجأوا إلى لبنان نتيجة لمؤامرة د لية ، وأن المسؤول عن مصيرهم هي مجموعة الدول الكبرى وليس لبنان أو أي تنظيم في لبنان » .

أضاف :

« إن حكم الإسلام واضح في من يطلب الأمن في جوارنا وهو في قول رب العالمين : «وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فاجرْه حتى يسمع كلام الله ثم ابلّغْه مأمنه » [41] ، فإذا كان هذا هو حكم الله بالنسبة للمشركين فكيف يكون بالنسبة لمن كانوا إخوة لنا في الإيمان والإسلام إخوة لنا في العروبة وإخوة لنا في الإنسانية والمصير . ومهما كان الخلاف مستحكماً بين الأخ وأخيه ، فإن الأخ يبقى أخاً والإسلام يبقى حكَماً ، فلماذا يريد البعض منا اليوم أن يستبدل سلام الإسلام بحرب السلاح وما يحمل من خراب ؟ » [42] .

ويقول قبلان (الجنوبي — العاملي) أو (الريفي) أو (الجلّف) [43] :

---

(٤١) التوبة : ٩ .
(٤٢) صحف ١٩٨٥/٦/٢١ .. من خطبة المفتي حسن خالد .
(٤٣) انظر حاشية ٤٠ .

« الفلسطينيون هم أهلنا وإخواننا . هم محرومون في جرار بيروت ، هذا صحيح . لكن بيروت كانت وما زالت غائبة عن همهم وحرمانهم . كانت تنام بيروت هانئة مطمئنة وكانوا في جوارنا في بيروت نتحمّل معهم وعنهم وما زلنا نتحمّل قساوة العدوان الإسرائيلي . نتحمّل تشريد القرى وقتل الأطفال وخسارة زهرات شبابنا وبوار أرضنا وكساد محاصيلنا في الوقت الذي كان فيه كل العرب في سباتهم العميق ، وعلى رغم ذلك سيبقون أهلنا وإخوة لنا ، قضيتهم أمانة في أعناقنا حتى عودتهم إلى أرضهم . ولن نمرّ على بيروت ولسنا جحافل تتار ، إننا طلاب حق ورواد فضيلة » [44] .

حوار الطرشان (. . .) أم حوار علي ومعاوية ؟

هاتِ يا تاريخ حدِّثْ !

يقول التاريخ :

لقد كتب معاوية إلى علي يحاول أن يترضّاه ويستميله متأسفاً على ما حدَثَ بينهما من حرب ، فقال :

« أما بعد ، فلو علمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغتْ ،

---

(٤٤) صحف ١٩٨٥/٦/٢١ .. من خطبة الشيخ عبدالامير قبلان .

لم يجنّها بعضنا على بعض . إنّا وإنّ كنا قد غُلبنا على عقولنا ، فقد بقي لنا منها ما نردّ به ما مضى ، ونصلح به ما بقي .

وقد كنتُ سألتك الشام، على ألاّ تلزمني لك الطاعة وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس ، فإنك لا ترجو من البقاء إلاّ ما أرجو ، ولا تخاف من القتال إلاّ ما أخاف .

وقد والله رقّت الأجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ، وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ، ويستنزف به حر . والسلام » (٤٥) .

وردّ علي فقال :

« من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما بعد فقد جاءني كتابك ، تذكر فيه أنك لو علمتَ أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغَتْ لم يجنها بعضنا على بعض ، وأنا وإياك نلتمس منها غاية لم نبلغها بعد .

---

(٤٥) كتابنا « محنة العقل في الاسلام » الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ص ٤٥ عن الدكتور احمد الحوفي : « ادب السياسة في العصر الاموي » ـ دار القلم ـ بيروت ، بدون تاريخ ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .عن المسعودي: مروج الذهب ٦/٢ .

فأما طلبك مني الشام فإني لم أكن أعطيتك اليوم مما منعتك أمس .

وأما استواؤنا في الخوف والرجاء ، فلست بأمضى على الشك مني على اليقين ، وليس أهل الشام على الدنيا بأحرص من أهل العراق على الآخرة .

وأما قولك نحن بنو عبد مناف ، فكذلك نحن ، وليس أميّة كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا الطليق كالمهاجر (٤٦) ، ولا المبطل كالمحق . وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز ، وبعنّا بها الحرّ . والسلام » (٤٧) .

هكذا تاريخنا يتسلط على حاضرنا .

وهكذا كان الصراع بين علي ومعاوية ، أي بين نظرية الأمة الإسلامية (؟) ونظرية الدولة ، التي فرضتها الظروف السياسية والاجتماعية ، فجعلت نظرة معاوية للحكم هي

---

(٤٦) الطليق : المراد معاوية لانه أسلم هو وكثير من مشركي مكة يوم فتحها محمد ، وعفا عنهم ، وقال : «اذهبوا فأنتم الطلقاء » . المهاجر : المراد علي بن ابي طالب ، وهو من « المهاجرين الاولين » .

(٤٧) جحا ، الحوفي ، المسعودي .

المتطورة والراقية والأكثر انسجاماً مع تطلعات أهل الشام آنذاك .

هل نكون قد جانبنا الحقيقة إذا نحن قلنا إن علياً لم يدرك أهمية مطالب معاوية السياسية المتمثلة باستقلال الشام عن العراق ، وإن الإمام كان يفهم الدولة من خلال الدين فحسب ؟

لقد تأكد لنا أنّ «حرب علي ومعاوية» إنما هي حرب بين مجتمعين مختلفين تماماً ، هما : مجتمع الجزيرة العربية ، البدوي ، وخاصة مجتمع «المدينة» ، الذي يأنف من أن تحكمه سلطة مركزية ، ومجتمع الشام الذي يركن إلى النظام الملكي المستقر (٤٨) .

أما القول بأن أمية ليست كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا أبو سفيان كأبي طالب ، فإنه ضرب من العصبية القبلية الهادفة إلى الادعاء والتشوّف والاستبداد .
ولربما قال أحدهم : « لكن الرسول (ص) دعا إلى

(٤٨) د. عبد الجبار منسى العبيدي : « قراءة جديدة في أسباب سقوط الدولة الاموية » مجلة «عالم الفكر» ـ الكويت ـ المجلد الخامس عشر ـ العدد الثالث ١٩٨٤ ص ٢٧٤/٢٧٦ .

إلغاء العصبية القبلية بوضعه الدماء التي كانت في الجاهلية حيث قال : ألا كل دم ومال ومأثرة في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي هاتين إلاّ سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما » (٤٩) .

هذا القائل إذا وُجد نرد عليه فنسأل :

ـ أليست المشكلة الكبرى هي في « سدانة الكعبة » و « سقاية الحاج » ؟

بل ،

ـ ماذا بعد « سدانة الكعبة » و « سقاية الحاج » ؟

فلكي يبقى هذان الموردان الاقتصاديان العظيمان لأهليهما فحسب ، أبت قريش ، و « أبى الله » (؟!) ، أن يكون المُلْكُ بعد محمد إلاّ لقوم محمد ، المهاجرين الأولين ، فذهب مع الريح قول شاعر الأنصار نعمان بن العجلان (٥٠) :

(٤٩) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ صفحة ٦٠ .
(٥٠) النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر بن زريق الانصاري الزرقي (... /بعد ٣٧هـ / ... بعد ٦٥٧ م): صحابي ، كان لسان الانصار وشاعرهم . شهد وقعة «صفين» مع علي . وقيل له شعر . واستعمله علي =

« وكــان خطأ ما أتينـا وأنتم
صوابـاً كأننا لا نريش ولا نبري
وقلتم : حرام نصب سعد[51] ونصبكم
عتيق بني عثمان حـلال أبا بكر

= على البحرين ، فكان يعطي كل من جاءه من أقاربه (بني زريق) . ولأحد الشعراء تبيان في ذلك ، قيل : هي لأبي الاسود الدؤلي ، ولم أجدها في ديوانه المطبـوع ولا في ذيله (الاعلام ـ الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة الخامسة ١٩٨٠ ج ٧ ص ٣٧) .

(٥١) هو سعد بن عبَاده بن دليم بن حارثة ، الخزرجي ، أبو ثابت ، صحابي ، من اهل المدينة . (... ـ ١٤ هـ = ... ـ ٦٣٥ م) . كان سيد الخزرج ، واحـد الامراء الاشراف في الجاهلية والاسلام . وكان يلقب في الجاهلية بالكامل (لمعرفته الكتابةوالرميوالسباحة) وشهد العقبة مع السبعين من الانصار . وشهد أحدا والخندق وغيرهما . وكان أحد النقباء الاثني عشر . ولما توفي رسول الله (ص) طمع بالخلافة (؟) ولميبايع ابا بكر . فلما صار الامر الى عمر عاتبه ، فقال سعد : كان والله صاحبك (أبو بكر) أحبّ الينا منك ، وقد والله أصبحت كارها لجوارك . فقال عمر : من كـره جوار جاره تحول عنه . فلم يلبث سعد أن خرج الى الشام مهاجرا ، فمات بحوران . وكان لسعد وآبائه في الجاهلية اطم (حصن) ينـادى عليه : من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة . (الاعلام ـ الزركلي ـ نفسه . ج٣ ص ٨٦) . وفي البدء والتاريخ =

وأهـل أبو بكر لها خير قـائم
وإن علياً كان من حيث ندري ولا ندري
وهـذا بحمد الله يشفي مـن العمى
ويفتح آذا نـاً ثقلنَ مـن الوقر
فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بهـا
ولكن هـذا الخير أجمع للصبر
ولم نرضَ إلاّ بـالرضا ولربما
ضربنا بأيدينا إلى أسفل الصدر »[52]

= ٥ : ١٢٣ : « لمـا اختلف المسلمون في أمر الامامـة ، ورجعوا الى قول أبي بكر : الائمة من قريش ، قال سعد بن عبادة : لا واللهلا أبايع قريش ابدا » (انظر الاعلام ـ نفسه) . وذكر « الحوار الذي جرى بين سعد وعمر »د.محمد عمارة في كتابه « الاسلام وحقوق الانسان » (ضرورات ... لا حقوق) الصادر عـن « عالم المعرفة » ـ الكويت ـ رقم ٨٩ ـ أيار ١٩٨٥، ص٩٠، فكانلنا تعليق علىالكتاب والحوار في «النهار العربي والدولي » العـدد ٤٢٩ ، ٢٢ تموز ١٩٨٥ ، ص ٤٦/٤٧ ، فقلنا : « لو أن « الفاروق » ضرب عنق الزعيم الخزرجي لكـان قتلـه مـرة واحـدة ، وانما عزله وأبقاه حيا ليقتله كل يوم » .

(٥٢) سامي مكي العاني : الاسلام والشعر ، عالم المعرفـة (٦٦) ـ حزيران ١٩٨٣ ص ١١١ ، نقلا عن :الاستيعاب ٣/٥٢١ والاخبار الموفقيات ص ٥٩٢ .

لقد تضامنت الريح مع قدميّ محمد (النبي) فتم القضاء على الأنصار ، برغم ما لهم من مواقف مشرّفة (..) وما قدّموا من تضحيات في سبيل الإسلام والمهاجرين الأولين ، فظلّ الحقد يتحكم في العقول والنفوس مما جعل المسلمين فريقين ، الواحد منهما يخاف الآخر ويتحرز منه ويتوقّاه ويدبّر له المكايد والحيَل ليتخلّص منه وكيفما كان .

ويعتقد المؤرخون أن علياً « رفض أن يكون رجلاً سياسياً » (٥٣) ، إذ هو رفض نصيحة المغيرة بن شعبة الثقفي (٥٤) له بأن يدع ولاة بني أمية ، الذي عينهم الخليفة الثالث عثمان ابن عفان ، في أماكنهم حتى يستقر له الأمر ويجمع زمام الأمور في يده ثم يعزلهم ، ومما قاله علي لمغيرة : « وأما الذي يلزمني في الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولي منهم أحداً أبداً ، فإن أقبلوا فذلك خير لهم ، وإن أدبروا بذلت لهم السيف » (٥٥) .

---

(٥٣) العبيدي : المصدر نفسه .

(٥٤) المغيرة بن شعبة (ت ٥٠ هـ / ٦٧٠ م) : ثقفي . من دهاة العرب . صحابي . قاتل في وقعة اليمامة وفي فتوح الشام وفارس . ولاه عمر البصرة والكوفة . عزل في عهد عثمان . ولاه معاوية الكوفة ، شدد التنكيل بشيعة علي . كان مزواجا مطلاقا .

(٥٥) العبيدي : المصدر نفسه . عن الطبري : الرسل والملوك ج ٤ ص ٤٤٠-٤٤١ .

إذن ، كان من المحتّم أن يقع الصراع بين « العصبية القبلية » الأموية و« العصبية القبلية » الهاشمية ، وبالتالي بين « أجلاف » الجزيرة و « أشراف » الشام . فكما هاشم كما أمية . على أن « الحق الإلهي » لا يستطيع انتزاعه سوى القوي المقتدر . وغالباً ما يكون الكلام على « العدالة » و « المساواة » ثرثرة « إعلامية » للترغيب والدعاية وكسب الأصوات والمحازبين .

وأما المتنافسون في الحكم فهم — في كل عصر ومكان — الذين « يُظلمون » أو« يُرحمون » ، فيما الناس أجسام لها طول وعرض وعمق ، تجرى عليها التجارب والاختبارات التي بعضها ربح وبعضها خسارة ، ودائماً النتيجة واحدة ذات وجهين : هذا يصيبه الضرر وذاك يصيبه النفع ، وكلما استقر الحكم والحاكم كثر المستفيدون وقلّ المتضررون ، مما يؤكد أن « العدالة » إذا ما وجدت فهي لا تعني أن « الظلم » قد زال أو هو أصبح غير موجود ، والعكس صحيح .

وكما حرب الشام والمدينة كذلك حرب « البيارتة » و « الشيعة » اليوم ، وعند الشيخين : حسن خالد وعبد الأمير قبلان الخبر اليقين .

فإذا ، قال خالد (البيروتي) أو (المديني) أو (الشريف)

« نحن كمسلمين مأمورون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .فالرسول علّمنا أن ينصر بعضنا بعضاً ، ويكون النصر ، أننا إذا رأينا مظلوماً ، فعلينا أن نساعده للخروج من حالة الظلم ، وان نُخرج المظلوم من حالته . الحديث واضح : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . . . ونصْرُ الظالم هو أن تردعه عن غيه وظلمه .

ولا شك أن بعض حمَلَة السلاح من إخواننا الذين تربطنا بهم العقيدة والقيم والمصلحة السياسية والاجتماعية ، هؤلاء انحرفوا ، وبدا انحرافهم ظاهراً للعيان . فهؤلاء الذين يدخلون البيوت عنوة وظلماً ، هل يرضى الله بأعمالهم ؟ هناك أخطاء كثيرة سببت لنا الكوارث التي وصلنا إليها . أمام هذا الواقع أخذنا الموقف الشديد الذي أخذناه في خطبة العيد ، ولم نكن متطرفين أو متحيزين بل ان ما قلناه ساعد في ردع البعض عما يقوم به ، وتركنا أثراً في نفوس الجميع ، حمل الظالم على عدم الاستمرار في خطه إلاّ بعد الكثير من التردد » [٥٦] .

(٥٦) خالد : الشراع ، السنة الرابعة العدد ١٧٤ ، ١٥ / ١٩٨٥/٧ ص ١٣ ، حاوره حسن صبرا وواصف عواضة .

جاوبه قبلان (الجنوبي — العاملي) أو (الريفي) أو (الجلْف) من النبطية قائلاً :

« بعد الصراع في المنطقة الغربية (من بيروت) على نحو لا نظير له ، وبعد حرب المخيمات أرجعونا إلى أيام الردّة وفرضوا علينا حصاراً ووصمونا بأوسمة نحن براء منها . تحاملنا على الجرح وصبرنا ووقفنا لا عن خوف ، إنما مراعاة للمصلحة العليا . وقعت حرب المخيمات من دون أن نكون السبب فيها . لكن الشباك نُصبت فاستدرجنا ورقعْنا . كان نصيبنا أن ندافع عن أنفسنا .

إسرائيل لا تزال عندنا في الجنوب . اتركونا نتحرك لتحرير الجنوب . لا تلاحقونا في بيروت . بيروت لن نتخلى عنها (. . .) علينا أن ننهي المشكلة في بيروت . حرب المخيمات كان ساعة نحس علينا ، بل ساعة شيطان . وعلينا أن نعود إلى أهلنا في المخيمات لنحميهم » [٥٧] .

ماذا نسمي هذه الحرب ؟ « حرب الأشقاء » ؟ أم « حرب أبناء الصف الراحد » (؟) أم « حرب أصحاب العقيدة الواحدة » ؟

(٥٧) قبلان : من خطبة له القاها في النبطية يوم الاحد ١٩٨٥/٧/١٤ ، نقلتها « النهار » ١٩٨٥/٧/١٥ .

التاريخ يقول : إنها « حرب علي ومعاوية »

والحاضر يقول : إنها « حرب المسجديين » بل « حرب الشيعة والسنّة » بل « حرب الأجلاف والأشراف » بل « حرب علي ومعاوية » نفسها . إن هذا ما سنلحظه أيضاً في « حرب الوظائف » و « حرب الحج والوحدة الإسلامية » كما سنرى.

آه من « حرب علي ومعاوية » .

الفصل الثاني

حرب الوظائف

معلوم أن حرب الوظائف ، أو الحرب على الوظائف ، قديمة العهد ، وذات أثر كبير وفعال . وكما هنا كما في أي مكان آخر ، وعلى مدى العصور والعهود .

ليست غاية الوظيفة الدخل فقط أو المعاش أو التعويض أو التقاعد أو الضمان الصحي والاجتماعي ، وغالباً ما يهدف طالب الوظيفة ، مهما تكن درجتها ، إلى أبعد من هذا وذاك ، أي إلى النفوذ والسلطة والقدر والشرف ، أو علوّ المنزلة .

فمن أجل الوظيفة تنعقد أو تنحل التحالفات والصداقات والكتل والجمعيات وربما الأحزاب أيضاً ، ويُسهّل الطريق لهذه الشخصية أو تلك ، دون سواها ، إلى الرئاسة العامة أو

الوزارة أو النيابة أو المديرية أو رئاسة قسم الخ . . وكثيراً
ما يسبّب الصراعُ على الوظيفة القلق للبلاد والمتاعبَ للحكم ،
فينتشر الفساد وتعم الفوضى ، وقد تنقلب أو تتغير الأوضاع
، الأحوال والأفكار والثقافات ، وتتفكك الأديان والمذاهب ،
وتتفسّخ الطوائف ، القبائل والعشائر والعـائلات والأسر
والأحزاب ، وليست النهاية دائماً إلى الأفضل والأحسن
والأكمل ، وإلاّ بطلت الحاجة إلى الصراع ، وخَمَلَ ذِكرُ
الإنسان أو صوته وغدت الحياة غير ذات لون وتوقّد وجمال .

لم يبقَ للمسيحيين ، بعد الفتح الإسلامي وقيام الدولة
الإسلامية ، سوى الوظيفة . وإنْ أقبلَ علماؤهم وأساتذتهم
ومثقفوهم ، على الوظائف ، فلكي يتصلوا برئيس الدولة ،
ويعززوا وجودهم ، ويحموا أنفسهم ، ويصونوا شعبهم من
العامة والخاصة ، ومن الإكراه والتعجيز .

وتضاءل عـدد المسيحيين المشرقيـين ، في شكـل
ملحوظ وخطير ، فمنهم من دخل في الإسلام ، ومنهم من
هاجر ، فكان لزاماً على من بقي أن يصبر ويتصبّر ، ويتعذب
ويشقى ، ويساير ويجامل . فالوظيفة هي أفضل سبيـل إلى
تحسين أوضاع هؤلاء ومكانتهم ، وهي التي جعلت المسيحيين ،
من تبقى من المسيحيين ، ينصرفون إلى تحصيل الثقافات والعلوم

واللغات المختلفة ، ليفرضوا أنفسهم على الدولة والخاصة ،
ويُقنعوا العامة بأن وجودهم إنما هو لخيرها وليس العكس .

لقد عمل المسيحيون في شتّى الميادين العامية والمجالات
الثقافية والإدارية فبرز منهم الأطباء والمهندسون والمحامون
والمترجمون والخبراء والمستشارون والمعلّمون والمربّون ،
ومن هؤلاء من انتدبته هذه الدولة الإسلامية أو تلك مفاوضاً
في الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الأمنية أو الثقافية أو
العلمية . إلاّ أن ذلك أخذ يخف ويتراجع منذ زمن بعيد .
ويمكننا القول انه مع غياب المغفور لـه السياسي والأديب
السوري فارس الخوري (١٨٧٧ – ١٩٦٤) (ولد في الكفير
قضاء حاصبيا) ، الذي تولى رئاسة مجلس النواب السوري
ورئاسة الحكومة ، غاب « الوجه المسيحي السياسي » ، عن
سوريا والعراق وغيرهما من بلدان المشرق العربي .

وإذ يتولى المسيحيون ، في لبنان ، إدارة البلاد ، وبالتالي
الوظائف والمراكز العالية المرموقة ، فإن هذا من حقهم ،
وليس غريباً إذا ما تمسكوا بما أعطي إليهم أو اكتسبوه اكتساباً
ودافعوا عنه حتّى الاستشهاد وقد دخل لبنان العصر العربي —
الإسلامي الذي لا مستقبل معه للمسيحية والمسيحيين .

ماذا تحمل الأيام القليلة القادمة للمسيحيين اللبنانيين ، وقد
علّم المسلمون أولادهم الفنون والآداب والعلوم ، الغربية

والشرقية ، وثقفوهم ، فصار هناك الطبيب المسلم والمهندس المسلم والمحامي المسلم والمترجم المسلم والخبير المسلم والمعلّم المسلم والإداري المسلم ؟ إن هذا ، لا شك ، ينذر بالخطر الأكبر على المسيحيين ، ويهدد وجودهم رمصيرهم ، ويعرّضهم إما للزوال وإما للهجرة التي لا رجوع بعدها ، وقد يجبرهم على الانصهار في المجتمعات والكيانات الأخرى الغريبة البعيدة ، ولربما استطاع المسلمون الراديكاليون أن ينتزعوا ، غداً ، من المسيحيين آخر ما تبقى لهم من حقوق وواجبات ، من دون أن يحرّك « الغربُ » و« العالم المتمدّن » ساكناً ! !

لقد اشتعلت حرب الوظائف ، أو الحرب على الوظائف ، عندنا ، فهل يحافظ المسيحيون على مراكزهم ؟ أم سيتراجعون أمام « أكثرية » محمّدية تحسب نفسها « مستضعَفَة » و « محرومة » و « مضطهَدَة » ؟ ولن تنطلي ، على أحد ، هذه الحرب ، وإن هي أخذت شكلها المذهبي وتوسّعت ليتصارع السنّة والشيعة ، الدروز والشيعة ، والدروز والسنّة . وأياً كان الغالب ، من المحمّديين ، فإن المسيحيين هم المتضرّرون ، بل هم الضحية الأولى الكبرى .

صحيح أن « العلمنة » قد تحمي المسيحيين وسائر الأقليات ، وتحترم وجودهم وحرياتهم ، غير أن ما يجعل « العلمنة » مجرد حلم هو كون الإسلام ديناً شمولياً و « منهجاً إلهياً »

قمعياً ، يمنع الناس من أن يبتدعوا أو يخترعوا لأنفسهم المناهج والقواعد الأساسية للعلاقات الإنسانية . وعبثاً يحاول « العلمانيرن » ولبنان هو قطعة من هذا العالم الإسلامي .

ففي بيروت انبرى رئيس المجلس البلدي للمدينة المحامي شفيق السردوك لوزير العدل والموارد المائية والكهربائية وزير الدولة لشؤون الجنوب والإعمار رئيس حركة « أمل » السيد نبيه بري ، متمنياً عليه « أن يرحم السنّة » ، وذلك في معرض تعليقه على قول الوزير بري « انتهى حكم الطائفة الواحدة والطائفتين » [٥٨] ، فقال (السردوك) مشيراً إلى أن الوزير يعني

---

(٥٨) جاء هذا في المؤتمر الصحافي الذي عقده الوزيران بري وجنبلاط في قصر المختارة يوم الاحد (١٩٨٥/٧/٢٨) حيث قال بري : « تدارسنا موضوع جبهة الاتحاد الوطني ، هذه الجبهة التي تضم الاحزاب والتي تضم الشخصيات والقوى الفاعلة المؤمنة بلبنان ، لبنان العربي ، لبنان المتحالف مع سوريا الشقيقة ، لبنان الذي يرفض حكم الطائفة الواحدة أو الطائفتين ، لبنان الذي يرفض التصهين والمورنة ، لبنان الذي يرفض حكم الكتائب الذي أثبت بجدارة انه لا يستطيع على الاطلاق أن يكون حكما للجميع ، أو حكما عادلا ، أو حكما عربيا ، أو أن يحقق ما هو اقل من الوثيقة الدستورية التي أسسته عام ٧٦ ، عنيت بذلك البيان الوزاري .
« بعد أن فشل الحكم وافتخر بفشله هذا في ان =

الموازنة والسنّة من دون شك : « لا أريد التعمق في التعليق على هذا القول حتى لا أتدخل في الأمور السياسية التي لا أماسها ، مع العلم أني أزخر بما يقتضي التعليق به . أكتفي بأوضاع بلدية بيروت التي يحكمها المحافظ الذي قلما يكترث بالأنظمة والقوانين أو بقرارات المجلس البلدي .

رئيس البلدية السنّي نزعوا صلاحياته التنفيذية ولا يمكنه التدخل إلاّ في المهمات المستحيلة التي يتفاداها المحافظ وهي من اختصاصه تجنباً لتورطه وذيول هذا التورط . فالنافذ المهيمن في البلدية هو المحافظ (مسيحي) ، وذلك خلافاً للقوانين . وفي الأمس القريب (قبل شهر) عيّن مديراً لمصلحة الاستملاك هو شفيق ميلان (ماروني) بدلاً من مصطفى البابا (سني) المتوفى . فأين حكمُ السنّة ! »

= يحقق البيان الوزاري ، أصبح لزاما علينا أن نعيد تركيب لبنان ، أن نعيد النظر في هذا النظام الطائفي، ومن هنا حصلت الدعوة الى جبهة اتحاد وطني سوف تنعقد نهار الاثنين في السادس من آب المقبل(الثلاثاء) في شتورة وذلك لصياغة فعلا توجهات ونظام جديد للبنان ، لبنان يقوم على الكفاءة وعلى أساس العدل والمساواة ، لبنان عربي ، لبنان متحرر من كل الوان الطائفية والمذهبية والعنصرية والصهيونية أيضا » (؟) .

عن « السفير » ١٩٨٥/٧/٢٩

وتابع السردوك يقول :

أضف إلى ذلك أن الذين يتحكمون بالبلدية هم أجراؤها الذين يبلغ عددهم خمسة آلاف ، غالبيتهم الساحقة من إخواننا الشيعة .

نقابة العمال في البلدية تعلن الإضرابات ساعةتشاء والمطالب غالباً ما تتنافى والقوانين ، ويفرض على المجلس إقرارها ، فلا تصادق عليها المجالس المختصة (ديوان المحاسبة أو مجلس الخدمة) فتلجأ إلى مجلس الوزراء دائماً للمصادقة عليها » .

وختم رئيس المجلس البلدي قائلاً :

« نحن لسنا ضد المطالب ونريد أن نعطي أكثر منها بموجب قوانين وليس بالإضرابات . فطائفة السنّة لا سلطة تنفيذية لها في البلدية ، كما أن الأجراء يتحكمون بها كما يشاؤون وهم في غالبيتهم من الإخوان الشيعة . فأين حكم السنّة في البلدية ؟ وما يقال عن البلدية يمكن قوله عن دوائر أخرى كثيرة . فأرجو (من) الوزير بري أن يرحم السنّة المستضعفين لأنهم رفضوا حمل السلاح واقتتال الإخوة » (٥٩) .

(٥٩) السفير ، النهار : ١٩٨٥/٧/٣٠ .

أجابه محافظ بيروت المهندس متري النمار قائلاً :

« سبق لي أن قررت ألاّ أردّ على تصريحات رئيس اللجنة القائمة بأعمال مجلس بلدية بيروت .

إنما يقتضي تصحيح ما ورد على لسانه (. . .) بالنسبة إلى السيدين شفيق ميلان (الماروني) ومصطفى البابا (السنّي) .

في تاريخ ٦ أيار ١٩٨٥ صدرت المذكرة رقم ٥٢٤٤ ، وقد نصت في مادتها الأولى على تكليف السيد كمال ديب (السني) بدلاً من السيد موريس نخلة (الكاثوليكي) ، ونصت في مادتها الثانية على تكليف السيد شفيق ميلان (المار ني) بدلاً من السيد بكري الغوش (السني) وليس مصطفى البابا .

مع العلم أن هؤلاء جميعاً هم رؤساء دوائر أو أقسام وليسوا مديري مصالح » [٦٠] .

وردّ عليه السردوك نفسه قائلاً :

« ١ — إن دائرة الاستملاك هي أهم دائرة في البلدية ، وهي «أباً عن جد» كما يقال في عهدة موظف سني وآخر من تولاها المرحوم مصطفى البابا ، أخيراً بكري الغوش ،

---

(٦٠) السفير ، النهار : ١٩٨٥/٧/٣١ .

ودائرة القضايا هي عبارة عن مكتب موزّع بريد للدعاوى التي تقام من البلدية أو عليها وذلك على محامي البلدية . فأهم دائرة في البلدية انتزِعت من السنّة ، أُعطيت للماروني فأين حسن النية في ما حصل ؟

« ٢ — كمال ديب (شيعي وليس سنياً) كما ادعى المحافظ وليس لدي فرق في ذلك : إن كمال ديب الذي كُلِّف دائرة القضايا في مقابل خسران السنّة دائرة الاستملاك ، هو شيعي وليس سنياً كما ادعى المحافظ في رده . فيكون السنّة خسروا المركز نهائياً مع أنني كنت أرحب بتكليف كمال ديب الشيعي دائرة الاستملاك . فاعتبر أن حقوق السنّة التقليدية تحققت ولكن ليس مسموحاً بتغيير المذهب في الجرائد لتغطية مناقلات غير رسمية .

« ٣ — مذكرة المحافظ الرقم ٥٧٤٤ يلاحظ فيها في المادة الأولى « يُكلَّف في صورة موقتة كمال ديب » ، في المادة الثانية « يُكلَّف شفيق ميلان » . يُستدل من نوع التكليف أنه مشروع التثبيت لشفيق ميلان في دائرة الاستملاك لعدم ورود عبارة « في صورة موقّتة » بينما وردت هذه العبارة في تكليف كمال ديب المسلم الأمر الذي يُستدلّ منه على «النية المبيتة »لنقله مستقبلاً وإعادة المركز إلى الطائفة الأخرى . ولا أرى أن هذا السلوك الإداري مسموح به إطلاقاً .

« ٤ – البلد يضج من هذه الأعمال الطائفية ، فلماذا يعمد المحافظ إلى صب الزيت على النار بإجراء المناقلات التي لا ضرورة لها إطلاقاً حالياً باعتبار أن دوائر البلدية كلهـا وبخاصة الدائرتين المذكورتين مشلولة » (٦١) .

من المؤكد إذاً أن الحرب على الوظيفة لن تهدأ ، ما دامت المطالب على هذا المستوى الطائفي المتزمت .

صحيح أن البندقية (المدينة) تغرق ، كما يقول المؤرخ كافين رايلي ، إلاّ أن بيروت ستغرق قبلها على ما يبدو .

لقد شكت نقابة عمال بيروت ، في بيان لها ، من التأخير المستمر في دفع رواتب العمال والموظفين ؛ قالت :

« إن نقابة عمال بلدية بيروت ، إذ تواجه هذه القضية المأساة تطرحها أمام الرأي العام وأمام المسؤولين متسائلة ، كيف يريدون عاصمة نظيفـة وجيوب العمال والموظفين « نظيفة » وبطونهم خاوية أيضاً ؟ كما تتساءل النقابة هل يمكن أي عامل أو موظف أن يعمل من دون أن يأكل ، وكيف يمكن أن يسدّ قُوته وقوتَ عياله خصوصاً في هذه الظروف »؟

أضافت :

(٦١) السفير ، النهار : ١٩٨٥/٨/١ .

« إننا مستعدون لكل تضحية من أجل أن تبقى مدينة بيروت نظيفة ، غير أننا لسنا مستعدين للموت. وإدراكاً لمسؤولياتنا ، ننذر المسؤولين ، كل المسؤولين ، على اختلاف مواقعهم ومسؤولياتهم ، بالعمل فوراً لتأمين الأموال اللازمة لدفع رواتبنا ومستحقاتنا كي لا نكون مضطرين مرغمين إلى سلوك السلبية التي نتحاشى الوصول إليها » (٦٢) .

على صعيد آخر ، أعلن المكتب المركزي لـ « الهيئة الشعبية » (في بيروت الشرقية) « أنه قرر إنشاء مكتب في كل مراكز الهيئة مهمته النظر في شكاوى المواطنين المتعلقة بالرشوة التي يتلقاها العاملون والموظفون في القطاع العام » وحذرت « الهيئة الشعبية » جميع الموظفين من أنها « ستعاقب كل من تسوله نفسه تقاضي ضرائب غير شرعية لإنجاز معاملات المواطنين وتشهّر فيه . وتتمنى الهيئة الشعبية على جميع المواطنين التقدم بالشكاوى من دون تردد » (٦٣)

إن هذا كله جرى ويجري في ظل غياب الدولة أو تغييبها، على كون الحكومة تتألف من الأقطاب ، خصوصاً الرئيس رشيد كرامي والرئيس كميل شمعون المغفور له الشيخ بيار الجميل (خلفه الأستاذ جوزف الهاشم) والسيد نبيه بري

(٦٢) النهار : ١٩٨٥/٨/١٢ .
(٦٣) المصدر نفسه .

والسيد وليد جنبلاط . ولا ننسَ تلك المعركة التي أدت إلى تعيين الدكتور أيّوب حميّد ، من حركة « أمل » ، مديراً عاماً لوزارة الإعلام بـــدلاً من الدكتور مناف منصور ، المحسوب على رئيس الجمهورية الشيخ أمين الجميل ، كما انتهت إلى إلغاء أو تعديل أو تجميد بعض المراسيم الاشتراعية الصادرة عن رئاسة الجمهورية ، وذلك بتأثير مباشر مـــن الوزيرين بري وجنبلاط والمعارضين كافة . في ذلك الوقت أُقيل أشخاصٌ من وظائفهم ، ونُقل آخرون إلى مراكز غير ذات بروز سياسي ، فأخذ مكانهم أشخاص كانوا في الظل ، أو غير معروفين بين أهل الإدارة والسياسة ، فاعتقد الكثيرون ، كما اعتقدوا من قبل عندما جيء بالحكومة الحالية ، أن الأزمة قد « حُلّت » ، و « الطقس » يميل إلى « الصحو » و« الهدوء ». ولكن شيئاً من هذا أو ذاك لم يحدث ، وإنما بقيت الأحوال مثلما هي ، بل اشتدت وعنفت أكثر من ذي قبل ! !

ومهما يكن ، فإن حرب الوظائف ، أو الحرب على الوظائف ، عندنا ، هي « سرطان الحس الوطني » ، وهي تأكل دوائرنا ومؤسساتنا ومصالحنا الوطنية والعامة . ولا شيء يبيد « الضمير المهني » كما هذه الحرب ، وكما الطوائفية والحسد الطائفي .

أما « التمني » والعمل على « خرق السقف » وفتح باب التغيير بحيث يصبح من حق أي مواطن ، بمن في ذلك الدرزي ، أو الشيعي ، أن يكون رئيساً للدولة أو قائداً للجيش أو مدّعياً عاماً للتمييز أو مديراً للمخابرات أو الأمن العام الخ (كما جاء في ورقتك السادسة) فلا أرى ما يبرره سوى الحرب على الوظائف التي هي جزء من « حرب علي ومعاوية » .

يحسب الشيعة أن رئاسة الدولة إذا ما أُعطيت إليهم تتحقق العدالة تستقر البلاد(؟). هكذا السنّة وهكذا الدروز وربما غيرهم أيضاً. فإلى من يجب أن تعطى الرئاسة والحالة هذه ؟ وما يقال عن رئاسة الدولة يقال مثله عن قيادة الجيش ومديرية الأمن العام ومديرية المخابرات وسائر الوظائف والمراكز.

هل من مجال بعدُ إلى الإنقاذ بالحوار ؟

أهي سياسة « قمْ لأجلس مكانك » ؟

مـــا رأيك باستحداث « رئاسات » و « قيادات » و « مديريات » عديدَ طوائفنا وأحزابنا وجمعياتنا ؟

لقد ردّ حزب الكتائب على « خلوة المختارة » (٢٧ ، ٢٨/ ١٩٨٥/٧) على موقف الوزيرين نبيه بري ووليد جنبلاط « المتصلب واللامنطقي » من النظام اللبناني ، و « الدعوة إلى

تغييره بالقوة والتهديد وبفرض شروط سابقة تتنافى وشروط الحوار » [٦٤] فقال :

« إن الغاية من اعتماد هذه الوسيلة هي استبعاد الحوار والاستيلاء على السلطة ، وهذا الأمر يتعارض مع أبسط قواعد الديموقراطية واحترام التعددية اللبنانية التي يكرس النظام الحالي حريات مجموعاتها وأفرادها . وبقدر ما يتمسك الحزب بالحوار سبيلاً إلى حل الأزمة اللبنانية على أسس تتضمن أمن جميع اللبنانيين وحرياتهم كراماتهم من خلال المؤسسات الدستورية ، بالقدر ذاته يرفض القبول بأي حوار تحت وطأة التهديد والوعيد . مع تأكيده مجدداً أنه يؤيد الإصلاح السياسي في شتى مستوياته ، ولا يرى إمكان تحقيق هذا الإصلاح إلا بالحوار العقلاني والمسؤول ، والنابع من رغبة أكيدة في إنهاء حال الحرب وتحقيق تسوية سياسية عادلة تؤمّن ضمانات للجميع وتكون بعيدة عن منطق الغالب والمغلوب والدعوات التحريضية التي تتحكم فيها خلفيات مشبوهة ، أقلّها الاستيلاء على السلطة بغية ضرب النظام ومؤسساته الدستورية وإبدال نظام صيغة العيش المشترك بصيغة نظام طائفة متسلطة » [٦٥] .

---

(٦٤) النهار : ١٩٨٥/٧/٣٠ .
(٦٥) من رد حزب الكتائب على « خلوة المختارة »، النهار : ١٩٨٥/٧/٣٠ .

هل يستجيب بري وجنبلاط لهذه الدعوة ؟ أم أنهما يؤثران الاستمرار في الحرب على الوظائف لأجل انتزاعها والاستئثار بها ؟

يذكر الطبري « أن معاوية قد استخدم كل الطرق الأساليب لمصا لة الحسن بن علي وقبوله التنازل عن الخلافة ، فقدّم له كل الشروط التي طلبها (الحسن) دون تردد ، منها خراج في بيت ماله في الكوفة والامتناع عن شتم أبيه علي بن أبي طالب . لكن أخاه الحسين عارضه في ذلك » [٦٦] ، حتى قُتِل الحسن ، ووقعت ، في ما بعد ، مذبحة كربلاء ، فخسر « الطالبيون » كما خسر « الأمويون » ، وضاعت الأحلام العربية الكبيرة .

لماذا الإصرار على هذا النهج « الكربلائي » الدرامي إذاً؟

روى اليعقوبيّ « أن المغيرة بن شعبة قال لعلي : يا أمير المؤمنين انفذْ طلحة إلى اليمن والزبير إلى البحرين اكتبْ بعهد معاوية على الشام . فإذا استقامت الأمور فشأنك وما

---

(٦٦) الرسل والملوك ج٥ ص ١٦٥-١٦٦ ، ذكره د.العبيدي، المصدر المذكور سابقا (مجلة « عالم الفكر ») ص ٢٢٧ .

تريد فيهم . فأجابه في ذلك بجواب (كما ذكرنا) [٦٧] فقال المغيرة : والله ما نصحت له قبلها ولا أنصح له بعدها » [٦٨] .

• روى أيضاً : « إن عائشة أم المؤمنين قالت لمعاوية حين حجّ بالناس : اقتلتَ حجراً (بن عدي) [٦٩] وأصحابه ، فأين عزب حكمكَ عنهم ؟ أما إني سمعت رسول الله يقول : يُقتل بمرج عذراء نفرٌ يغضب لهم أهل السموات ، قال : لم يحضرني رجل رشيد يا أم المؤمنين » [٧٠] .

أرأيت كيف فعلت حرب علي ومعاوية بالإنسان والمجتمع العربيين ؟

---

(٦٧) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٨٠ ، انظر دراسة العبيدي

(٦٨) المصدر نفسه ص ٢٣١

(٦٩) حجر بن عـدي بن جبلة الكندي (... — ٥١ هـ = ... — ٦٧١ م) : صحابي شجاع ، من المقدّمين ، وفد على رسول الله (ص) وشهد القادسية (معركة). ثم كان من أصحاب علي وشهد معه وقعتي الجمـل وصفين . وسكن الكوفة الى ان قدِم زياد بن ابي سفيان واليا عليها فدعا به زياد ، فجاءه ، فحذره زياد من الخروج على بني أمية ، فما لبث أن عرفت عنه الدعوة الى مناوأتهم والاشتغال في السر بالقيام عليهم، فجيء به الى دمشق فأمر معاوية بقتله فقتل في مرج عذراء (من قرى دمشق) مع أصحاب له .
الاعلام ، الزركلي ، المجلد الثاني ص ١٦٩

(٧٠) تاريخ اليعقوبي ، نفسه ص ٢٣١ .

لا عليّ سمع من المغيرة ، ولا معاوية حضره رجل رشيد ؟!
أما الحسين فحدّث عنه ولا حرج !

هؤلاء « المتصلّبون » ماذا تركوا للعرب والمسلمين سوى الخراب الانقسامات ؟

نسوق هذه الملاحظة لا إلى الوزيرين بري وجنبلاط فحسب ، بل إلى الحكم أيضاً ، كذلك إلى زعماء الأحزاب والحركات اللبنانية جميعاً .

يجب أن نفكر في الرجوع إلى الحوار ... وإلاّ فلن يكون لبنان .

كلنا بحاجة إلى لبنان .

الشيعة والدروز والسنّة والموارنة والأرثوذكس والكاثوليك والأرمن والقوميون والشيوعيون والبعثيون « السفير » معهم ، جميع هؤلاء بحاجة إلى لبنان ، وكما يقول الرئيس الجميل :

« ليس في لبنان الحديث أي أكثرية : إننا دولة تتألف من الأقليات . ليس هناك أكثرية سياسية ولا أكثرية اقتصادية . كذلك لا وجود لأي أكثرية اجتماعية . ويتفق اللبنانيون اليوم على أن النظام السياسي الذي بنيناه أعطى طابعاً طائفياً لقضايا

هي في الأصل لا أهمية لها . على الرغم من أهمية الدين في المجتمع اللبناني وفي الشرق الأوسط — فإننا ندرك ، كما أدركنا دائماً ، أن انتماءنا هو للبنان . ليس هناك لبنان مسيحي ولا لبنان مسلم . وليس هناك لبنان ماروني أو شيعي أو سني أو درزي . هناك لبنان واحد يجمعنا كلنا ، ولبنان هو بالفعل تعبير عن الروابط المتينة التي تشدنا بعضنا إلى بعض » [٧١] .

إذن ، ليعلمْ المسلمون أن هذا « النهج الكربلائي » المأساوي العنيف ، المتّبع اليوم ، من قبـل الراديكاليين المسلمين والقوميين والاشتراكيين والشيوعيين ، لن يـدع أحداً من المتحاربين يربح ، بل سيندم الجميع على ما هم فاعلون ، بكل تأكيد .

في جلسة مجلس الوزراء (١٩٨٥/٣/٢٠) قال الرئيس الجميل أيضاً :

« . . . وبأسف أقول انه في هذا الظرف بالذات ، بعدما كنا على وشك التوصل إلى مشروع وطني شامل لجمع الشمل ، كانت تعلو من كل جهة طروحات متشنجة متصلّبة أدّت إلى تعطيل ما حققناه إلى اليوم .

(٧١) من مقالة للرئيس الجميل في مجلة « Foreign Affairs » الاميركية ، نقلته « السفير » ١٩٨٥/٤/٢٣ ص ٣ .

هذه الأحداث التي عشناها في الفترة الأخيرة ، ألا تظن أن هناك تمهيداً لها بـدأ بإحراق العلم اللبناني في صيدا ، والمهرجانات والطروحات التصعيدية والتصريحات التي تنذر بالقلق ، وأجواء التشنج والممارسات ذات الطابع الطائفي المذهبي التي هي دخيلة على تقاليد العائلة اللبنانية وأصالتها وليست من شيم اللبنانيين ؟ »

وقال :

« فهذه الحرب الأهلية ، بمعناها الضيق جداً ، التي بدأنا نلمسها ، ما هي إلاّ نتيجة السياسة الرامية إلى التغاضي عن الأهداف الوطنية بالقشور وبالطروحات الهبّات التي عادت بنا الى القرون الوسطى . وأخشى ما أخشاه أن يؤدي العنف السياسي والكلامي إذا استمر إلى إعادة أجواء القصف على المناطق الآمنة والمزيد من الخراب والدمار والتهجير » [٧٢] .

أين الخطأ ؟

إن الذي يثير الدهشة هو أن طلال سلمان لم يذكر ، في سباعيته ، ولا واحدة من حسنات الحكم ونداءاته المتكررة إلى السلام الحوار والإنقاذ ؟ !

(٧٢) النهار : ١٩٨٥/٣/٢١ .

ألاّ من فرق بين طلال ، « القومي العربي » ، وبين الشيخ سعيد شعبان ، السلفي المتشدد ، الذي ردّ على الرئيس الجميل في تصريحه المذكور أعلاه ، قائلاً :

« إن الإسلام ليس تطرفاً ، الإسلام هو دين الله . والدعوة إليه هي دعوة الإيمان والطاعة لله تعالى . وإن يحكم الله عباده بشريعته (؟) ويعمل بينهم خيرٌ من أن يحكمهم أمين الجميل أو سواه لأن الناس لا يعدلون وهم المتأثرون بطائفتهم وطائفيتهم وحقدهم التاريخي المور ث من بني إسرائيل ضد محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام » .

أضاف :

« ليست الدعوة إلى الإسلام تطرفاً ، وإلاّ لسمّينا الأنبياء متطرفين ، والكل يشهد أنه ما من عدل في الدنيا ولا خلُق إلاّ كان من أبرز ما دعا إليه الأنبياء والمرسلون ولسنا على استعداد لأن نترك الحق الذي نؤمن به ونغضب الله تعالى لنلتقي مع المتعصبين الذين لا يحكمون أنفسهم بشريعة عيسى ولا بشريعة موسى ولا بشريعة محمد عليهم صلاة الله » .

وقال :

« وليعلمْ أمين الجميل أننا لا نختلف على شخصه ، وإنما نختلف على المنهاج ، فمنهاجه غير منهاج الله (؟) ونحن مع

الله ولو أغاظه ذلك وأغاظ حزبه . والقضية ليست قضية طائفية ، فالرسل أبعد ما يكونون عن الطائفية لأنهم لم يمنحوا أحداً امتيازات يتسلط بها على الناس بخلاف المارونية السياسية التي تريد الاحتفاظ لنفسها بامتيازات السادة على العبيد » .

وقال أيضاً :

« على كل حال لأمين الجميل دينه ولنا ديننا ، ولن نجبر أحداً على الإسلام ، لأن الله تعالى نهانا عن ذلك ، فلا إكراه في الدين (؟) لكننا ندعوه إلى الإسلام لأن الله تعالى أمرنا بأن ندعو إليه ، فكما يدعونا هو إلى الخضوع لطائفته ، فإننا ندعوه إلى أن يخضع معنا لله تعالى وليس في ذلك تطرف ولا تعصب » (٧٣) ؟ !

ألم يرعبْكَ هذا الكلام ؟

ألم تسأل هذا الشيخ الدعيّ : كيف يكون حكم الله ؟ ومن الذي يحكم باسم الله ؟ وأين ؟

من الواضح ان « شيخك » وحده الذي يحمل « منهاج الله » (؟) لأنه « مع الله » (؟) فلا أغاظك الله أيها « القومي العربي » المأزوم .

---

(٧٣) النهار : ١٩٨٥/٣/٢٢ .

غريب أمركما فعلاً !

إن أحدكما يشبه الآخر . ولكن أياً منكما لم يدرك ذلك ؟!

آه من سياسة « قمْ لأجلس مكانك » !

آه من « حرب علي ومعاوية » !

الفصل الثالث

حَرب الحَج والوحدة الاسلاميّة

الحرب الايرانية-السعودية

تشهد بيروت ، اليوم ، حرباً إيرانية—سعودية ، باردة طبعاً ، أبطالها شيوخ وأئمة لبنانيون وعراقيون وفارسيون .

نشأت هذه الحرب إثر الخلاف الذي احتدم بين هاتين الدولتين ، في أواخر الشهر الماضي ، حول عدد الحجاج الإيرانيين الذين سيُسمح لهم بأداء فريضة الحج . وقد « هددت طهران بمقاطعة الحج إذا لم تسمح السعودية لـ ١٥٠ ألف إيراني بالحج » (٧٤) .

نقلت إذاعة طهران — يوم الخميس ١٩٨٥/٧/٢٥ —

---

(٧٤) السفير : ١٩٨٥/٧/٢٦

عن وزير الإرشاد الإسلامي الإيراني محمد خاتمي اتهامـه للمسؤولين السعوديين بخرق اتفاق يسمح بموجبه لـ ١٥٠ ألف إيراني بأداء فريضة الحج . قال الوزير :

« إن السعودية قعّت اتفاقاً في هذا الشأن ، لكنها تقول الآن بأنها لن تسمح لأكثر من ١٠٠ ألف إيراني بالحج إلى مكة المكرّمة » .

أضاف :

« لن يذهب أيٌّ إيراني إلى مكة ، هذا العام ، إذا ما رفضت السعودية قبول جميع الإيرانيين المسلمين وعددهم ١٥٠ ألف شخص » .

وقال :

« إن السعودية يجب أن تخطرنا يوم السبت المقبل عـلى الأكثر ، ما إذا كانت ستقبل جميع الحجاج الإيرانيين » .

رأكد انه إذا اضطرت إيران إلى مقاطعة الحج « فإن الشك سيحيط بموقف السعودية ، ولن تقف إيران بالتالي مكتوفة الأيدي أمام هذا الموقف » .

وختم الوزير الإيراني قائلاً :

« إذا كانت السعودية غير قادرة على استقبال الحجاج ، فعليها أن تعلن ذلك ، أما إذا كانت تريد الضغط على شعب الثورة في إيران فإن هذا معناه أن السلطات السعودية لم تعرف حقيقة الثورة الإسلامية ولا مرشدها ولا شعبها » (٧٥) .

وفي البحرين نددت « رابطة العالم الإسلامي » التي تتخذ من مكة مركزاً لها بالدعوات « التي تخلط السياسة بالحج » (؟). وقال أمين عام الرابطة السيد عبد الله نصيف : « إن المسلمين يعرفون أن الله فرض الحـج للعبادة ، وأمر بأن يحجم كل مسلم عن كل ما قد يعكّر الأمن في الحج » (٧٦) .

امتدت هذه الحرب إلى لبنان ، فتنادى فريق من رجال الدين ، بل طُلب إلى فريق من رجال الدين أن يعقد « مؤتمر الحج الوحدة الإسلامية »فكان ذلك في فندق « البريستول » — جار « السفير » — وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية (٧٧) ، بينما ظل صاحب « دار الإفتاء » يتفرج يقول : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

أولاً : « قذائف » خمينية

لقد قيل في هذا المؤتمر ما لا يسرّ السنّة وحركة « أمل»

(٧٥) السفير : ١٩٨٥/٧/٢٦
(٧٦) السفير : ١٩٨٥/٧/٢٦
(٧٧) ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ تموز ١٩٨٥

والقذافي والسعودية وعرفات العراق . أمـــا المسيحيون « فنصيبهم » منه معروف ، مثلهم مثل أميركا وإسرائيل وفرنسا بريطانيا والأحزاب الشيوعية والقومية والاشتراكية واليمينية والعلمانية. وإليك هذا البيان الإحصائي ببعض «القذائف» التي أطلقها « أبطال » مؤتمر « البريستول » من « مدافع » آية الله الإمام الخميني ، وهي وإن تعـــددت على ألف ، واختلفت أشكالها وأوزانها ، فإن هدفها واحد لا هدفان ، و« الله عليم بما تخفيه الصدور » :

١ — حول وضع المسلمين في لبنان قال الشيخ محمد مهدي شمس الدين :

« إن لبنان (هو) قطعة من هذا العالم (الإسلامي) . والمسلمون فيه يعانون من المسألة المذهبية منذ وجوده . وهم عاشوا العهد التركي على شكل ، ثم عهد الانتداب على شكل آخر ، وعهد الاستقلال على شكل ثالث . وواجهوا كل نكبات العالم والمسلمين ، إلى أن ترسّب كل ذلك في المجتمع اللبناني في ظل نظام طائفي يفرض عليهم أن ينقسموا ويفرض على هذه الفئة من المسلمين وتلك أن تنقسم » .

ورأى الشيخ ، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ، أو رئيس المجلس ، مثل بعضها ، « انه حين نسأل ماذا

يريد السنّة والشيعة في لبنان لا يكون هناك إسلام ، إنمـــا مشروعان سنّي وشيعي ، وبطبيعة الحال أن يتصارعا ، ولا بد من تحالفات في المعركة ، في الداخل والخارج ، والنتيجة ضياع كامل للشيعة والسنّة وضياع لبنان وانتصار إسرائيلي حقيقي »[٧٨] .

أين نزلت هذه « القذيفة » ؟

يقال « انها انفجرت في الجو » . . . ويقال « انها شطرت رأس سنّي كان ينظم قصيدة لأنطون سعادة » . وسمعتُ من قال « انها قتلت شيعياً كان يقرأ « رأس المال » » ، وقتلت معه زوجته التي كانت تعد مائدة ماركسية — لينينية للرفيق جورج حاوي » .

٢ — قال السيد محمد حسين فضل الله : « ما معنى الوحدة الإسلامية عند المسلمين ؟ معناه أن تتحد الطوائف والمذاهب ، وإياكم أن تناقشوا الفكر الإسلامي الذي يتبنى هذا المذهب أو ذاك ، المجتمع الإسلامي حساس كما هو وضع لبنان الخاص »[٧٩] .

يُعتقد أن هذه « القذيفة المثقفة » قد أصابت مكتب مجلة « الفكر الإسلامي » في « دار الإفتاء » . لم يُصب أحد . كان

(٧٨) السفير : ١٩٨٥/٧/٢٩ .
(٧٩) المصدر نفسه .

سعادة المدير العــام الدكتور حسين القوتلي في الشام . لذلك اقتصرت الأضرار على الماديات .

ويُعتقد أيضاً أنها أخطأت الهدف فسقطت في « أحراج » بكركي .

وادعى أحد الإخوان المسلمين (. . .) في بيروت أن « قذيفة » لا تشبه القذائف ، وهي لا من حديد ولا من نحاس ، قد دخلت منزله من الجهة الجنوبية ، فقتلت والدته والخادمة « هاجر » وابنه الطفل « عبد الرحمن » .

٣ – تكلم الشيخ حسين راضي (من علماء المملكة العربية السعودية وأحد المدرّسين في مدينة قم الفارسية) فقال :

« كان للثورة الإسلامية الإيرانية دور كبير في تغيير مفهوم الحج من خلال الإفادة من موسم الحج إفادة شاملة على كل الصعد ، خصوصاً على الصعيد السياسي عبر المسيرات والتظاهرات » .

وقال أيضاً :

« إن على المسلمين أن يفكروا في مناسك حجهم وفي دينهم ، وأن ينقذوا أماكنهم المقدّسة من الذين لم يكونوا أهلاً للتصدي لمثل هذه الأمور ، إنهم يحاولون طمس هذه

الأماكن المقدّسة حتى لا تصل إلى الأجيال اللاحقة ، المشاعر المقدّسة التي يحج إليها المسلمون . وهنا ينبغي أن يطرح سؤال : هذه الأماكن المقدّسة ملك من ؟ هل هي ملك فئة خاصة ورثتها وبقية المسلمين يأتون ويتوسلون للوصول إلى هذه المشاعر لأداء واجباتهم (. . .)

لقد عملوا على طمس تلك الأماكن المقدسة منذ أن استولوا عليها وقاموا بهدم آثارها وإخفاء معالمها وهدموا قبة إبراهيم ابن النبي » [٨٠] .

روى شهود عيان « أن فندق « البريستول » كاد يتهاوى عندما أُطلقت هذه القذيفة القرمطية » . في هذه الأثناء أُفيد عن سقوط عشرين من المصلّين في باحة مسجد عائشة بكار . وأُفيد أيضاً عن سقوط عشرة أطفال في « بورة » تقع خلف « دار الإفتاء » . ثم تضاربت الأنباء حول هذا « الصاروخ » ، فقيل إنه سوفياتي الصنع ، وقيل إسرائيلي ، وقيل أميركي ، وقيل برازيلي . . . الخ . لكن إذاعة واحدة مجهولة قالت انه من صواريخ جهنم ، وادّعت هذه الإذاعة أن زجاج « مركز المقاصد » المصيطبة قد تحطم فجرّح العشرات من الرجال والنساء والأطفال .

---

(٨٠) المصدر نفسه .

٤ — ألقى المسؤول السياسي عن « الجماعة الإسلامية » في صيدا الشيخ صلاح الدين أرقدان (سنّي) كلمة قال فيها : « إن المسلمين اليوم يعيشون حالة من التفكك الداخلي في الوقت الذي يعيشون التخطيط الخارجي من الاستكبار العالمي . فالمنطقة التي نعيش فيها تُعتبر مفتاحاً لكل العالم الإسلامي الذي جزأته القوى الاستعمارية بهدف التخطيط لقيام دولة إسرائيل ، وإعلان دولة لبنان واختبار مقدرة المسلمين على مواجهة هذه الدويلة » .

قال أيضاً :

« إنهم يعتمدون في منطقتنا قضية التفتيت والتجزئة . ووجّه الاستعمار الدعوة أولاً إلى القومية وعندما آمن (العرب) بالقومية العربية وآمن الفرس بالقومية الفارسية والترك بالقومية التركية ، نسوا جميعاً اننا مسلمون واننا أمة واحدة ، ووجّه الاستكبار الدعوة إلى الاقليمية ثم زرع المذهبية بين السنّة والشيعة ، ثم أكثر من ذلك التقسيم بين أبناء المذهب الواحد والصف الواحد حتى بين المحاور في الحزب الواحد » [٨١] .

لم يستطع أحد تحديد المكان الذي سقطت فيه هـذه « الارقدانية » . . . ينبغي لها أن تكون قد أصابت إما مقر

(٨١) المصدر نفسه .

الحزب السوري القومي الاجتماعي في فردان ، وإما منزل عبد الله الأمين ، (البعثي — السوري) ، أو منزل عاصم قانصو ، (الأمين القطري لمنظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان)، أو دار الطائفة الدرزية ، في فردان أيضاً . ولا يُستبعد أن تكون قد أصابت المعهد الألماني للدراسات الشرقية ، في زقاق البلاط ، أو معهد غوته، القريب من السفارة السعودية، أو مركز دراسات الوحدة العربية ، في شارع ليون — الحمراء ، فأتت على مؤلفات ساطع الحصري (أبو خلدون) وسائر الكتب والمجلات الصادرة عن هذا المركز .

٥ — تحدّث المسؤول عن لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشورى الإسلامي الإيراني السيد أحمد عزيزي فقال :

« إن العالم الإسلامي يتخبط في دوامة الفقر والعوز والتبعية نتيجة هيمنة الاستكبار الشرقي والغربي على رغم القوة العظيمة التي يتمتع بها المسلمون بشرياً واقتصادياً » .

أضاف :

« إن المصادر العظيمة للثروة في الأراضي الإسلامية التي يمكن أن تكون ضربة في وجه أعداء الله ووسيلة لرفاه أحباء الله وتقدمهم ، هي الآن في خدمة السياسة الاقتصادية والثقافية لقوى الشرق والغرب الاستعمارية .

إن الهيمنة الثقافية للاستكبار العالمي وتسخيره لوسائل الاعلام مكّنته من خلال إيجاد الخلل في النظام السياسي للعالم الإسلامي من أن يوجّه أقسى الضربات إلى كيان الأمـــة الإسلامية » .

وقال أيضاً :

« إن هذا الخلل في النظام الإسلامي من خلال الهجمات الشرسة على العقيدة الإسلامية بهدف فصل الدين عن السياسة من أجل الحيلولة دون الحضور الفاعل الحي للرسالة في الحركة السياسية ، يمهد الطريق اليوم إلى إنجاح مؤامرات الاستكبار العالمي الأخرى التي تؤدي في النهاية إلى هيمنة الاستعمار على الأمة الإسلامية وتسلطه عليها » (٨٢) .

قالت المصادر إنها سقطت في الطبقة الحادية عشرة من بناية شركة « أوجي — لبنان » . . . فبعثرت المكاتب والكراسي وأحرقت الملفات . وقالت أيضاً إن إحدى شظاياها أصابت « دار الفارابي » . . . وأخرى أصابت « دار ابن خلدون » . . . وثالثة استهدفت مجلة « الطريق » فقتلت أو جرحت من كان هناك . خفنا على الدكتور حسين مروة فسألنا عنه فقيل لنا « إنه مسافر » !

---

(٨٢) المصدر نفسه .

أضافت هذه المصادر قائلة إن جريدة « النـــداء » هي الأخرى أصيبت ، وأيضاً مجلة « صباح الخير » . . . وأكدت أن منزل أحـــد العلمانيين ، وهو سنّي ، في الغربيـــة قد احترق ، كما أصيب منزل أو مكتب في الشرقية ، لم تذكر اسم صاحبه ، بل قالت « انه ممن يدعون الناس إلى العلمنة ، في النهار ، وإلى الاتحاد بالرب يسوع ، في الليل » . وذكرت « أن الخسائر كانت جسيمة » .

لما وصلت هذه المعلومات إلى مؤتمر « البريستول » هتف « الأبطال » جميعاً :

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر
الخميني إمامنا . الخميني إمامنا . الخميني إمامنا .
الموت لإسرائيل والكتائب وصدام .
عاش منتظري وخامنئي وعزيزي .

الموت لأميركا . الموت لأميركا . الموت لأميركا .

عاشت « السفير » . عاش طلال ، عاش طلال .

٦ — تكلم الشيخ عفيف النابلسي (شيعي من قرية البيسارية — قضاء الزهراني) (منذ مدة حاول حاجز مسلّح تابع لحركة « أمل » في منطقة الغازية — الجنوب اغتياله إلا انه نجا بينما قُتل مرافقه) عن معالم الوحدة الإسلامية على مستوى الفقه والعلاقات الاجتماعية والمشاعر الإسلامية ، فقال :

«إن الممارسات التي قام بها كبار العلماء ولا سيما منهم الإمام الخميني من خلال إصدار الفتاوى التي تدعو المسلمين الشيعة إلى الصلاة وراء إمام المسجد من إخواننا المسلمين السنّة تأكيداً على الوحدة الإسلامية . وقد خطت الجمهورية الإسلامية خطوة كبيرة على طريق هذه الوحدة» (٨٣) .

عندئذ سُمع السيد محمد حسين فضل الله يقول : قتلتَنا والله .

وسُمع أيضاً الشيخ محمد مهدي شمس الدين يصرخ : هذه هرطقة .

ودبت الفوضى في «المؤتمر» . . . فكاد يتذابح الحاضرون لولا خبر جاءهم من مكان عليّ مفاده أن جبرائيل ، فيما كان في طريقه إلى المؤتمر ، رأى هذه القذيفة متجهة نحو المفتي عبد الأمير قبلان فتلقفها ، ووضعها في جيبه ، وهو يهم الآن بالدخول إلى هنا . وعاد الجميع ، كل إلى مكانه ، وسط هتاف هزّ الفندق :

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .

جبرائيل مسلم مؤمن . عاش جبرائيل . عاش الحق .

---

(٨٣) المصدر نفسه .

٧ – بعد ذلك وقف إمام مدينة الأهواز (عاصمة خوزستان) السيد موسوي الجزائري ، فرحب بالمؤتمرين (؟!) وأكد على «التواصل بالحق والصبر والربط بين العدوان العراقي على جنوب إيران والعدوان الصهيوني على جنوب لبنان» ، وقال :

«إن أوجه الشيطان واحدة وإن أوجه الحق واحدة والنصر واحدة أيضاً ، وهذا لم يحصل إلاّ بعد فهْمنا للإسلام والأهداف التي تستهدفها هذه التشريعات . أما الذي نحتاج إليه في عبادتنا فهو أن نعي المسؤولية لاكتشاف حقيقة الأحكام والنواميس الإلهية حتى نستطيع تحصين المجتمع الإسلامي من الوقوع في فخ الشيطان وحبائل الاستعمار ، على ذلك فقد نجد أن كثيراً من المسلمين يؤدون الشعائر الإسلامية وفي الوقت ذاته يخضعون للجبابرة والطواغيت ، وهذا يعني أن فهْمنا للإسلام هو فهم بسيط» (٨٤) .

عادت الجلبة إلى المؤتمر ، فتضايق «الأهوازي» وقال :

«اتقوا الله . نحن ، الذين هنا ، نفهم الإسلام فهماً عميقاً . غيرنا هو الذي يفهم الإسلام فهماً بسيطاً . كل الذين لم يأتوا

---

(٨٤) المصدر نفسه .

إلى هذا المؤتمر لا يفهمون الإسلام . اطمئنوا ! ولكم أن تسألوا جبرائيل عليه السلام ، فهو موجود بيننا » .

لم ترد معلومات عما أحدثته هذه « القذيفة » من خسائر في الأرواح وفي الأموال ، ، فلعل صاحبها احتفظ بها للدفاع عن نفسه في لحظة خطر .

لقد كان « مؤتمر الحج الوحدة الإسلامية » رحباً للغاية . وقبل أن يصدر المؤتمرون «وصيتهم» ألقى إمام مسجد البطّاح ، في صيدا ، الشيخ محرّم العارفي (سنّي)، محاضرة تناول فيها واقع الوحدة الإسلامية وسبل تقويتها ، فاقترح حلاً لمشكلات المسلمين « توعية المسلمين بجميع الوسائل »و « فضْح وعّاظ السلاطين » و « عدم إثارة الحساسيات » و « التربية الحسنة للأجيال » و « العمل على تحويل معظم المسلمين إلى دعاة » و « تعرية الأنظمة والزعامات المنحرفة» و« وضع خطة سياسية مرنة » و « التنسيق بين الحركات الإسلامية » و « ممارسة العمل الوحدوي » و « مواجهة الاستعمار ، تعبئة المسلمين لمواجهة أعدائهم » (٨٥) .

حدّث أحد الذين كانوا هناك قال : سأل إمام الأهواز شيخاً سنّياً كان الى يمينه قال : ألا تظن أن الشيخ المحاضر هو

(٨٥) المصدر نفسه .

من أنسباء ياسر عرفات ؟ قال : وكيف عرفت ؟ قال : هذا عارفي وذاك عرفاتي . . . والله أعلم . قال : صحيح . صحيح . قال : ما الصحيح ؟ قال : الله أعلم . قال : إذن قذائفه لا بد أن تحرق الأخضر واليابس . قال : إن شاء الله .

ثانياً : الموت للانفصال

تابع المؤتمر أعماله ، فألقى عضو الوفد الإيراني الشيخ مولوي إسحاق (من علماء السنّة إيران وعضو مجلس الشورى الإسلامي في محافظة سيستان وبلوجستان) محاضرة قال فيها :

« لا ريب أن الإسلام دين وسياسة وليس في الإمكان فصل السياسة عن الدين ، ولذلك نجد جميع العبادات خصوصاً الرئيسية منها مقرونة بالسياسة فلو كانت الصلاة عبادة بحتة لكان أداؤها فردياً أفضل منه جماعة ، وكذلك الزكاة والصوم وصلاة العيدين ، والحج ليس مستثنى من ذلك ، ولو تصورنا الحج خالياً من الجانب السياسي لا نجد دليلاً عقلياً لطوافنا ، ولكن ليس الحج أيضاً مؤتمراً عالمياً ينعقد كل سنة لأهداف سياسية بحتة ، فهو على علاقة أساسية بالروح والمعنويات والعبادة ، وباختصار الحج صورة صغيرة عن كل الإسلام » .

وأورد الشيخ إسحاق آيات من القرآن تتناول فريضة الحج وقال :

« جعل الله البيت الحرام محلاً للعبادة وموضعاً لطلب الثواب ، وأمناً للعابدين ، ولا بد أن يبقى بيت الله مكان أمنٍ دائماً ، أليس لنا حق أن نعالج في هذا المؤتمر قضية أمن بيت الله ، فبعدما احتلت إسرائيل أرض فلسطين الإسلامية وأخرجت القبلة الأولى من أيدينا زحفت وتوسعت حتى وصلت إلى بيروت لتهدد الحرمين الشريفين تنفيذاً لمخطط السيطرة على العالم كله ، وإذا قلنا بعد ذلك الموت لإسرائيل ولأميركا التي تساعدها فهل ذلك جريمة ؟ » (٨٦) .

إذ ذاك صرخ الجميع :

– عاشت القبلة . الموت لإسرائيل . الموت لأميركا . الموت للمارونية السياسية . المرت للشمال . الموت للغرب .

علّق إمام الأهواز فقال :

– يجب أن تكون قذيفة الشيخ إسحق استهدفت الكتائب .

وقال إمام آخر يُعتقد أنه عراقي :

– بل يجب أن تهدم قذيفة الشيخ إسحق مقر الكتائب .

فرد جبرائيل ضاحكاً :

(٨٦) المصدر نفسه .

– جاءني علم من الله عليم أن قذيفة شيخنا الجليل حفظه الله تعالى سقطت في أحد أحياء النصارى فأوقعت مئات القتلى والجرحى .

أجاب الشيخ إسحق مقهقهاً :

– مثل بعضها يا سيدي جبرائيل .

وعلا صوت أحد الصحافيين اللبنانيين ممن حضروا المؤتمر قال :

– ولكن الأنباء تقول ان قذيفة إسحق (الشيخ) قد وقعت على سطح مقر أحد الأحزاب الوطنية ، حيث تجتمع « الحركة الوطنية » ، فمزقت السقف وقتلت المجتمعين كافة .

رد الأهوازي :

– مثل بعضها . الحركة الوطنية مثلها مثل الكتائب . لا فرق بين مقر حزب وطني وبين حي للنصارى . فتشوا عن أصل أي من الأحزاب التي عندكم فإنكم واجدون حتماً ان مؤسسه إما نصراني وإما درزي أو يهودي . ماركس مثلاً . أنطون سعادة . ميشيل عفلق . كمال جنبلاط . كلهم أعداء الإسلام .. والنبي والقرآن . كلهم أعداء القبلة .

اضطرب الشيخ إسحق فسأل جبرائيل :

– سيدي الملاك ، هل يعني هذا أنني مجرم ؟

قال جبرائيل :

— أعوذ بالله . اطمئن ! ان قذيفتك والله قد وصلت إلى حيث يجب أن تصل .

عمت الفرحة المؤتمر ، ودوت الهتافات :

— الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .

ثم نهض إمام بلدة جبشيت الشيخ عبد الكريم عبيد (شيعي لبناني) قائلاً :

« إن حل مشاكل الفرقة بين المسلمين يكون في الخروج من لعبة لبنان واللجوء إلى الإسلام ، ولا حل لمشكلتنا إلاّ بوضع أوراقنا السياسية في يد الذين طرحوا الإسلام حلاً لجميع المشاكل ونادوا بنصرة المستضعفين ، أن نتصل بجمهوريتنا الإسلامية في إيران وبإمامنا الخميني العظيم ، وبذلك يكون لنا سند نرهب به عدو الله وعدونا » [٨٧] .

سأله الشيخ إسحق :

— من عدونا ؟

قال عبيد :

— الكتائب ، والقوميون والشيوعيون وإسرائيل .

---

(٨٧) المصدر نفسه .

قال الشيخ إسحق :

— رددوا : الموت للكتائب .

رد أحدهم :

— بل الموت للقوميين والشيوعيين والانفصاليين

قال الشيخ إسحق :

— هؤلاء قتَلَتْهُم « قذيفتي » مثلما قالوا .

قال عبيد :

— لقد نسي الشيخ . . . فماذا عن إسرائيل ؟

رد الشيخ إسحق :

— المهم أن تقتل الكتائب والقوميين والشيوعيين .

صرخ الجميع :

— عاشت الوحدة الإسلامية . عاش الخميني . الموت للكتائب والقوميات . الموت للإلحاد . الموت للانفصال.

إذ ذاك انتصب السيد إبراهيم الأمين (شيعي) يلقي كلمة « حزب الله » ، فتناول الثورة الإسلامية في إيران ، والمقاومة ضد إسرائيل في لبنان ، وقال :

« إن انتصار الثورة الإسلامية في إيران غيّر الخريطة

السياسية في المنطقة والعالم ، وكان تجربة لوجود مشروع الأمة الإسلامية ، وقد تبعَ هذا الانتصار تنفيذُ مؤامرة « كامب ديفيد » ، اختفاء الإمام السيد موسى الصدر ، استشهاد السيد محمد باقر الصدر ، تفكك جبهة الصمود والتصدي ، مؤتمر فاس ، الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية ، ثم جاء الاجتياح الإسرائيلي وكانت نتائجه إنشاء لجنة الإنقاذ التي دخل عليها زعماء فرضتهم الحرب ، مجزرة صبرا وشاتيلا ، مجيء القوات المتعددة الجنسيات ، وقبول الزعماء الفلسطينيين وعلى رأسهم ياسر عرفات وهذا يُعتبر خيانة بنظرنا » .

وقال أيضاً :

« نتيجة ذلك كانت الحرب بين أميركا ، إسرائيل وفرنسا وبريطانيا والكتائب من جهة ، وبين الشعب اللبناني (؟) فدخل أفراد في الحرب مع إسرائيل وحلفائها ، وكانت حالة المقاومة الإسلامية التي هزمت إسرائيل ، بفضل الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران و« الحرس الثوري » الذين صنعوا الإنسان في لبنان ، وكان الحدث الكبير الثاني .

وقد أدى انتصار المقاومة الإسلامية على إسرائيل إلى إعادة الوجه الحقيقي للصراع مع إسرائيل ، وجعل الأمن في

إسرائيل أسوأ مما كان سنة ١٩٤٨ ، ورسم الخيار الثالث في مواجهة الظلم وهو الخيار الحسيني الكربلائي » [٨٨] .

تلاه رئيس الوفد الإيراني عضو لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشورى الإسلامي آية الله جنتي فألقى كلمة أشار فيها إلى أن الحكومة الإسلامية في إيران أرست قواعدها . ومما قاله :

« في موسم الحج يجب أن تقوى الروابط وتتوثق ، بين المجتمعات الإسلامية ، باعتبارها عائلة واحدة ، والكعبة هوية هذه العائلة ، نحن نتمنى أنه ببركة اليقظة الإسلامية الكبرى التي يعيشها المسلمون بفضل دماء الشهداء الزكية التي اريقت من أجل ترسيخ هذه اليقظة نتمنى بفضل ذلك وبعون الله أن ترتفع ممارسة فريضة الحج العظيمة عن مستوى الفوضى والهبوط ، وبالاستفادة من هذه الفريضة المباركة وتحقيق تلك المفاهيم فإن العالم الإسلامي سوف يعيد أمجاده التاريخية (؟) وينقذ أبناء إبراهيم محطم الأصنام من أيادي الجبابرة والمستعمرين » [٨٩] .

وكانت الكلمة الأخيرة في المؤتمر للشيخ محسن عطوي

---

(٨٨) المصدر نفسه .
(٨٩) المصدر نفسه .

(شيعي – لبناني) الذي تحدث باسم « تجمع العلماء المسلمين » .
وبعد أن شكر عطوي المشاركين في المؤتمر أشار إلى « أن الحركات الإسلامية التي هدفت إلى تغيير واقع المسلمين ، فقد معظمها فعاليته، لأنه ظل يرصد الواقع المنحرف ولم يقتحم فتجمد وتحوّل إلى مجرد تراث ، أما البعض الآخر فتحول إلى تيار واسع لأنه فضل الاقتحام » .

وتحدث الشيخ عطوي عن د ر « تجمع العلماء » (؟) خصوصاً في مجال الوحدة الإسلامية فقال :

« إن هذا المؤتمر يتكامل مع أمثاله من المؤتمرات التي تعقد في العديد من بلدان العالم لمناسبة الحج ، يتوافق معها في المضمون والغايات التي تمثل وحدة آمال المسلمين ، ووحدة مساعيهم لمواجهة مشاريع السيطرة التي تقوم بها القوى المستكبرة »[٩٠] .

وعلت الهتافات :

– الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .

الخميني إمامنا . الخميني إمامنا . القبلة هدفنا .

صرخ الشيخ عطوي :

---

(٩٠) المصدر نفسه .

– الموت للاستكبار . الموت للكتائب . الموت للقوميين والشيوعيين . الموت للانفصال .

رد آية الله جنتي :

– الموت لجميع الحركات القومية .

عاشت الثورة الإسلامية

عاشت الجمهورية الإسلامية

العراق لنا ، الكويت لنا ، الكعبة لنا . القبلة لنا .

ورفع الشيخ مولوي إسحق يده صارخاً بصوت مضطرب :

– لبنان لنا . الكعبة لنا . الحق لنا

فردد الحاضرون :

– لبنان لنا . الموت للكتائب . الموت للاستكبار
الموت للقومية والشيوعية والسعودية . الموت للانفصال.

ثالثاً : القرارات والتوصيات

بعدما سكتت الحناجر « الخمينية » ومدافع آية الله ، ألقى الشيخ زهير كنج البيان التالي الختامي وجاء فيه ما يلي :

« بدعوة من تجمّع العلماء المسلمين في لبنان عقد في

بيروت مؤتمر « الحج والوحدة الإسلامية » وشارك العديد من العلماء والأساتذة من البلاد الإسلامية ، في الجلسات التي ألقي فيها العديد من البحوث والكلمات التي تركزت حول مسائل الحج والوحدة وقضايا العالم الإسلامي ، وقد توزع المؤتمرون على خمس لجان فرعية توسعت في مناقشة ما طرح وهي : لجنة الحج والعبادة ، لجنة الحج والوحدة الإسلامية ، لجنة الحج والسياسة ، لجنة الحج والاقتصاد ، لجنة الحج والثقافة » .

اتخذت اللجان القرارات والتوصيات الآتية :

أولاً : دعوة المسلمين إلى تحكيم الإسلام في نواحي مظاهر حياتهم .

ثانياً : العمل على التواصل بين المسلمين عن طريق إيجاد جامعات إسلامية مشتركة وعبادات مشتركة وتعميم الثقافة الإسلامية وإنشاء وكالة أنباء عالمية إسلامية .

ثالثاً : دعوة المسلمين إلى الاستفادة من موسم الحج على أساس أنه موسم وحدة بين المسلمين جميعاً لما يمثل من معان وحدوية في الشكل والمضمون .

رابعاً : الدعوة إلى أن يأخذ الحج دوره السياسي في إعلامه الولاء لله وللرسول وللمؤمنين والتبرؤ من أعداء الله

وأعداء رسوله والمؤمنين كمانصت سورة البراءة (*٣).

(*٣) المقصود سورة التوبة . جاء في « تفسير ابن كثير » للامام ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) : « هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله (ص) كما قال البخاري حدثنا شعبة عن ابي اسحق قال سمعت البراء يقول آخر آية نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وآخر سورة نزلت براءة ، وانما لم يبسمل في اولها لان الصحابة لم يكتبوا البسملة في اولها في المصحف الامام بل اقتدوا في ذلك بأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وارضاه » . . . و « قال ابو معشر المدني حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على الموسم (موسم الحج) سنة تسعوبعث علي بن ابي طالب بثلاثين آية او اربعين آية من براءة فقراها على الناس يؤجل المشركين اربعة اشهر يسيحون في الارض فقرأ عليهم يوم عرفة أجلهم عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وقراها عليهم في منازلهم وقال : لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان » . و « قال ابن ابي نجيح عن مجاهد (براءة من الله ورسوله) الى اهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد او غيرهم فقفل رسول الله (ص) من تبوك حيث فرغ فأراد رسول الله (ص) الحج ثم قال: «انما يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا احب ان احج حتى لا يكون ذلك » فأرسل ابا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس اربعة اشهر في الاشهر المتواليات عشرون من ذي الحجة الى عشر يخلون من ربيع الآخر =

. . . .

ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا أن يؤمنوا وهكذا روى عن السدي وقتادة وقال الزهري كان ابتداء التأجيل من شوال وآخره سلخ المحرم وهذا القول غريب وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها وانما ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادى اصحاب رسول الله (ص) بذلك .. » .

ومن آيات سورة التوبة : (١) « براءة من الله ورسوله الى من عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين » (٢) « وآذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشّر الذين كفروا بعذاب اليم » (٣) « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فأتموا اليهم عهودهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » (٤) فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واعقدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم » (تفسير ابن كثير طبعة دار الفكر ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ، ج ٢ ص ٣٣٦/٣٣٢) .

ان في توصيات مؤتمر الحج والوحدة الاسلامية ومقرراته ما يعني التهديد للسعودية تماما مثلما هدد محمد وعلي وابو بكر « المشركين » . فهل أن عهد السعودية في خطر ؟ وهل سيتولى الخمينيون موسم الحج بدلا من المملكة العربية السعودية ؟!

خامساً : إدانة النظام السعودي لمحاولته إفراغ الحج من محتواه السياسي عبر منعه للمظاهر السياسية في الحج وإدانة الأنظمة العملية التي تقيد سفَر الحجاج ومناسكهم .

سادساً : الدعوة لرفع القيود الموضوعة على الدعوة الإسلامية في موسم الحج .

سابعاً : الدعوة لإيجاد مِنبرٍ حُرٍّ في بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف يخضعان للجنة مشرفة من علماء الإسلام .

ثامناً : الدعوة إلى إنشاء لجنة إسلامية عالمية تشرف على إدارة الحرمين الشريفين .

تاسعاً : توسيع مؤتمرات الحج والوحدة السنوية وإنشاء أمانة عامة دائمة تشرف على متابعة تنفيذ مقرراتها .

عاشراً : الدعوة إلى اتّباع قيادة العلماء الممثلة اليوم بقيادة الإمام الخميني والتزام المنهج الذي يضعه لطريقة التحرك السياسي في الحج .

حادي عشر : فضح الأنظمة العميلة وكل مثيري النزعات المذهبية والعرقية والجاهلية بين المسلمين المزرين لحقيقة الإسلام .

ثاني عشر : العمل على توعية الأمة الإسلامية على حقيقة إسلامها واعتباره ديناً ونظاماً شاملاً لكل مناهج الحياة .

ثالث عشر : توجيه التحية للمجاهدين المسلمين العاملين لتحكيم شريعة الإسلام في كل مكان واعتبار المقاومة الإسلامية مثلاً يُحتذى وإبراز ذلك للرأي الإسلامي العالمي » (٩١) .

رابعاً : الولاء للخميني

ووجه المشاركون في المؤتمر برقية إلى الإمام الخميني جاء فيها :

« نرفع إليكم من مؤتمر الحج والوحدة الإسلامية في بيروت باسمنا وباسم جميع المسلمين في لبنان أسمى آيات التقدير معلنين لكم الولاء قائداً للمسلمين ومجدداً لعظمة وكرامة المسلمين ، ومن خلالكم نرفع تقديرنا للشعب الإسلامي المجاهد في إيران تحت رايتكم حيث لكل المسلمين المثل الأعلى في الجهاد والتضحية داعين إلى الله العلي القدير أن ينصركم وأن يقرب الطريق إلى القدس تحت رايتكم انهسميع مجيب » (٩٢) .

(٩١) (٩٢) السفير : ١٩٨٥/٧/٢٩ .

خامساً : المروَّعون

من المفترَض أن يكون هذا المؤتمر قد هزّ المسيحيين وروّعهم ، فلطالما أعلن هؤلاء (المسيحيون) خوفهم من التيارات الإسلامية الراديكالية والمتطرفة ، وهم ، على كل حال ، أعلم بمصيرهم .

وما يُخجل منه هو أن يسود المسلمين ، في هذا العصر ، التوهّم أنهم « يحاربون » إسرائيل ، وأنهم « سيقضون » عليها ، وأن الطريق إلى القدس « يقرّبه الله تحت راية الخميني » ، بينما الحقيقة هي أن الذي يحاربونه والذي سيقضون عليه إنما هو جزء لا يتجزأ من المجتمع العربي ، ألا وهو « المجتمع المسيحي » ، كما سيدمّرون الاقتصاد العربي ليكثّروا من الفقراء والمحرومين والمتسولين ! !

هل نلوم المسيحيين والحكم إذا ما قر رأيهم على أن « مواجهة المقررات الخطيرة التي خرجت بها خلوة المختارة (ومقررات مؤتمر الحج والوحدة الإسلامية) تتطلب موقفاً مسيحياً موحّداً وطرحاً مسيحياً واحداً يحبط المؤامرات الداخلية الجديدة » (٩٣) ؟ !

(٩٣) من رد حزب الكتائب على « خلوة المختارة » النهار ١٩٨٥/٧/٣٠ انظر ص ١٠٥ .

ما أكثر الذين روّعهم وخيّب آمالهم مؤتمر الحج والوحدة الإسلامية !

على أن « الخائف الأكبر » هو الفريق السنّي بكل تأكيد .

من الذي يصدّق أن السعودية بما لها على الجمعيات والمؤسسات الخيرية الإسلامية اللبنانية ، وعلى زعماء لبنانيين ، وصحافيين ، وكتّاب ، وشعراء ، ورجال دين ، من فضل ، تُشتَمُ وتُسَبُّ في بيروت ؟

أين صائب وتمام سلام ؟

أين المفتي الشيخ حسن خالد ورجال «دار الإفتاء» ؟

أين جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ؟

أين سليم الحص والصلْحيّان والبربير ؟

أين كمال شاتيلا ؟

أين المرابطون ؟

أين « الأمير » السعودي – الصيداوي رفيق الحريري ؟

أين « المحافظون » على القرآن ؟

ماذا قالت السعودية لزعماء السنّة في بيروت ؟

هل صحيح أن « جميع المسلمين في لبنان يرفعون إلى

الخميني أسمى آيات التقدير ويعلنون له الولاء قائداً للمسلمين ومجدداً لعظمة وكرامة المسلمين » ؟ !

وأصدقاء القرآن ، الذين يقيمون الصلاة في أوقاتها وغير أوقاتها ، ما حالهم ؟

كيف يمكن الربط بين « العدوان العراقي على جنوب إيران » والعدوان الصهيوني على جنوب لبنان ؟

ماذا عند الدكتور عبد المجيد الرافعي وكل « العراقيين » ؟

ما يجب أن نقوله الآن وليس غداً ، هو أن « القبضة السورية الفولاذيــة » هي التي تلجم أولئك « الخمينيين » وتردعهم عن الأفظع والأشنع ، ولكن إلى متى ؟

جاء في كتاب « الإصابة في تمييز أسماء الصّحابة » لابن حَجَر العسقلاني [٩٤] ، ما يلي :

---

(٩٤) ابن حَجَر العسقلاني : احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، ابو الفضل ، شهاب الدين ، ابن حَجَر (٧٧٣ – ٨٥٢هـ = ١٣٧٢ – ١٤٤٩م) : من ائمة العلوم والتاريخ . اصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة . ولع بالادب والشعر ثم اقبل على الحديث ، ورحل الى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ ، وعلت له شهرة فقصده=

« روت السيدة عائشة قائلة : قال رسول الله (ص) لأصحابه : إنما مثل أحدكم ومثل ماله ومثل عمله ومثل أهله كمثل رجل له ثلاثة أخوة فقال لأخيه الذي هو مالُه حين حضره الموت : قد نزل بي ما ترى فما عندك ؟ قال : مالَك عندي غنى ، ولا نفع إلاّ ما دمتَ حياً ، فإن فارقتني ذهب بي إلى غيرك .

فالتفت النبي (ص) فقال :

أي أخ ترونه ؟ قالوا : ما نرى طائلاً . قال : ثم التفت إلى أخيه الذي هو أهله . فذكَر نحوه فقال : أقوم عليك فامرضك ، فإذا متَّ غسلتك ،وكفنتُك وحملتك ودفنتُك ،

= الناس للاخذ عنه واصبح حافظ الاسلام في عصره ، قال السخاوي (تلميذه) : « انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الاكابر » وكان فصيح اللسان ، راوية للشعر ، عارفا بأيام المتقدمين واخبار المتأخرين ، صبيح الوجه . وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل . اما تصانيفه فكثيرة جليلة ، منها « الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة » اربعة مجلدات ، و « لسان الميزان » ستة اجزاء ، تراجم ، و « الإحكام لبيان ما في القرآن من الاحكام » ، و « ديوان شعر » و « الاصابة في تمييز اسماء الصحابة » و « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » الخ. الخ.
الاعلام ، الزركلي ، المجلد الاول ص ١٧٨ .

ثم أرجعُ فاخبر عنك من سأل ، قال : فأي أخ هذا ؟ قالوا : ما نرى طائلاً . ثم قال لأخيه الذي هو عملُه نحوه فقال : أتبعُك إلى قبركَ وأُقيمُ معك وأونِسُ وحشتكَ ، وأقعُدُ في كفنك فلا أفارقك قال : فأي أخ هذا ؟ قالوا : خير أخ .

قال فقام عبد الله بن كرز الليثي ، فقال : أي رسول الله ، أتأذن لي أن أقول على هذا شعراً ؟ فقال : نعم . قال : فبات ليلته ، وغدا فقام على رأس رسول الله (ص) ، فقال :

إني ومالي والذي قدّمتْ يدي
كراع إليه صحبة ثم قائل
لأصحابه إذ هم ثلاثة إخوة
أعينوا على أمري الذي نازل

قال : فما بقي عند النبي (ص) ذو عين تطرف إلاّ دمعت عيناه » (٩٥) .

ها هو سيف الخميني ، في بيروت ، يقطر دماً ، فاستعدوا أيها البكاؤون !

قالت السعودية وليبيا والعراق والكويت والإمارات : أين أخي الذي هو مالي ؟

(٩٥) خرجه د. سامي مكي العاني في « الاسلام والشعر » المذكور سابقا ص ٦١/٦٢ .

ردّت السنّة وجماعة بغداد وليبيا والخليج : الظروف صعبة . . . الأخ يصبر على أخيه .

أجابت الشيعة: نحن كربلائيون . خرجنا من القمقم ولن نعود إليه .

قالت الأحزاب : قتلَتنا الخميني و« حزب الله » و « المسلمون المتشددون » « والإخوان » . . .

قال لبنان : آه من « حرب المسجدين » و « حرب الوظائف » و « حرب الحج » !

قال الحق : آه من « حرب علي ومعاوية » !

الفصل الرابع

الإسلام كلّه في دمشق !

حدّثني شيخ دمشقي قال :

« زار أحدُ أكبر مراجع الشيعة دمشق في طريقه إلى الحج ، فأتى يسلّم عليه عدد من علماء المدينة ووجهائها ، فقال الزائر « متلطّفاً » : « إن لنا على الشام أشياء وأشياء ، ولكننا نحب دماثتكم وظرفكم (كياستكم) » . فرد عليه أحدهم قائلاً : « ما هذه الأشياء ؟ » قال : « معاوية . يزيد . وما حولهما » . قال الدمشقي : « إن أهل الشام لا يرونْ تعمير « المقامات » ، ومع ذلك ففي مسجد بني أمية « مشهد » للحسين ، وبجواره قبر للسيدة رُقيّة (بنت الحسين) ، وفي جنوب المدينة قبر للسيدة زينب (بنت علي) ، وكثير من أمثال ذلك ، وكلها مبني على الوهْم إذ لا حقيقة لأحد أنه

قُبر فيها، وهذا من محبة الشاميين لآل البيت. بينما حقيقة دمشق انها أموية وعزها أموي ، بفضل معاوية ومن حوله ، ولكنك لا تجد في دمشق من اسمه معاوية أو يزيد ، حتى إن قبراً أو معلَماً لأي منهما لا يُعرف تماماً ، فليس عندنا من يكرّمهما أو يعظّمهما ، كما لا يخلو بيت دمشقي من علي وحسن وحسين ، بل وحتى « قمبر » (خادم علي) ! أليس هذا ، يا صاحب السماحة ، دليلاً على إسلامنا وعلى حبنا لسيدنا علي وآل البيت ؟ » فسكت المرجع الشيعي ، ثم سأله الدمشقي : « لقد سمى سيدُنا علي وأبناؤه أولاداً من أولادهم باسم أبي بكر وعمر وعائشة ، فهل ترى الآن من استنّ بسنّتهم وسمّى ولداً له أبا بكر أو عمر أو عائشة ؟ » . فلم يُحِرِ المرجع جواباً ، وصرف الكلام إلى موضوع آخر » ! !

وكان قد حدّثني ، قبله ، « سيّد » نجفي مُعَمّم قال :

« جئتُ دمشق لزيارة مشهديّ الإمام الحسين والسيدة زينب عليهما السلام ، فأدهشتني شدة تكريم الدماشقة للإمام وعَمّته ، فقلت لشيخ شامي التقيته في المسجد الأموي : أريد أن أرى قبريّ معاوية ويزيد ، فردّ مستغرباً أو مستنكراً : ليس في الشام قبر لمعاوية أو يزيد يُزار . قلت : والقصر الأخضر قصر معاوية ؟ قال : هنالك « خربة » يُقدّر انها هي « القصر الأخضر » .

وتابع النجفي قائلا :

« ولما علمت منه أين تقع هذه « الخربة » قصدتها ، فإذا هي « مزبلة » أو « مربط » للدواب ، رأيت ، عندها ، صبية يبرزون ويبولون ، وذباباً أزرق، الواحدة بحجم الصرّار ، وكلاباً جراباً ، وهررة ، فبدت لي كأنها بؤرة العار كله ، والفساد كله ، والظلم كله ، فرفعت رأسي قائلاً : السلام عليك يا إمام الحق والهدى ، يا ابن أبي طالب ، وعلى أولادك وأحفادك الأئمة الطاهرين ، ولعن الله معاوية ويزيداً وبني أمية قاطبة ، ولعن الله من حارب معهم وأيّدهم وأحبّهم وشجّعهم . ثم قفلتُ عائداً وفي نفسي اعتزاز كبير بهذا القضاء التاريخي العادل والمبرم الذي نزل بهذه الأمة الفاسدة الفاجرة ، وحمدت الله سبحانه وتعالى ، إذ شرّف أئمتنا وعصمهم من الخطأ وحفظهم ووقاهم من كل مكروه إلى يوم الدين» .

أجل !

لقد نسيت المدينة أميرها وشيخها وسيّدها وأستاذها ، معاوية بن أبي سفيان ، إما خوفاً وإما إرضاء لمحيطها المهزوم والمحزون والمتوجّع والمعقّد ، وربما للسببين معاً .

وأياً تكن الأسباب ، فإن هذه هي « الكياسة » التي تحب الشيعة أن تُعطاها ؟ ! ولكن أليس من العار أيضاً أن يطول هذا الجُحود والنكود لعظيم في السياسة والإدارة والقتال

والحوار ، وفي كل عام يتراجع العرب ألف خطوة إلى الوراء؟

إني أعتقد أن علياً والحسن والحسين وسائر الأئمة الطالبيين قد كُرِّموا وعُظِّموا كثيراً، فما جادوا علينا إلاّ بالمزيد من العقد والهواجس والأزمات والأحزان ، التي حرمتنا من متعة التفكير والعقلانية ، ومن لذة الانتصار على ذاتنا بما حملت من عيوب وأمراض وأدران .

وإذ « يتوافد رجالات المسلمين في لبنان على دمشق ليمثلوا أمام « محكمة الصلح » ، وقد أعدّ كل مطالعته » ، حسبما جاء في ورقتك الثانية (٢٧ حزيران ١٩٨٥) ، وإذ « الإسلام يبقى حكماً » ، كما يقول المفتي خالد ، فمعنى هذا أن الإسلام كله في دمشق ، وتحديداً في « قصر المهاجرين » ، بل في مكتبي الرئيس حافظ الأسد ونائبه السيد عبد الحليم خدام . حتى ان الرئيس الأسبق سليمان فرنجية (الماروني) قال ظهر يوم الاثنين (١٩٨٥/٧/٢٩) لدى وصوله إلى دمشق : « إن زيارتي لدمشق هي حجّ سياسي ، وعلى كل إنسان عربي له علاقة بالسياسة أن يزور سوريا ويتبادل الرأي مع السيد الرئيس حافظ الأسد حول كل قضايا أمتنا » [٩٦] .

وسواء رضي علي أو لم يرضَ ، فإن قولاً كهذا لن يقبله لا الملك فهد ولا الإمام الخميني ، كما لن يقبله القذافي ومبارك والحسن الثاني وصدام والحسين !

(٩٦) صحف الثلاثاء : ١٩٨٥/٧/٣٠ .

لقد أزعجت « حرب المخيمات — المعسكرات » ملوكَ المسلمين ورؤساءهم وأمراءهم وشيوخهم ، وحرّكت « عاطفتهم » (النبيلة) ، من السعودية إلى الأردن إلى العراق وإلى كل الخليج ، فإلى ليبيا ومصر والمغرب والجزائر وتونس وصولاً إلى بلاد فارس ، فبدا المسلمون وكأنهم أمة واحدة فعلاً ، حيث أجمع هؤلاء وأولئك على إدانة الشيعة (اللبنانيين) واستكبروا « حرب المخيمات » واستفظعوها ، فمنهم من بعث بقميص عثمان وناقة عائشة « أم المؤمنين » إلى بيروت الغربية ، فعاد تاريخنا « القبلي » يترنح لا من سكر أو شكاة ، بل لأن المرض فينا ، ومنا الجرح والألم ؟ ! منهم من هدّد وتوعّد عبر الرسائل والرسل ، أو عبر « الأصدقاء » و« الشركاء ».

فمثلاً لا حصراً ، وزعت ، في ليبيا ، « وكالة الجماهيرية للأنباء » تعليقاً جاء فيه : « إن عرفات بريء هذه المرة وقد تأكد الآن أن طرد عرفات وقيادته (من دمشق في حزيران ١٩٨٣) كان جزءاً من مخطط سيتم بموجبه طرد القيادات الفلسطينية الأخرى من المنطقة وكذلك القيادات الوطنية اللبنانية بحيث لا يبقى في النهاية إلاّ الشيعة والموارنة » [٩٧] .

(٩٧) النهار : ١٩٨٥/٦/١ .

وبالنسبة إلى « حرب المخيمات » لاحظ التعليق أن « بعض الأطراف يحاول تقليل الهجوم على المخيمات الفلسطينية وتحميل عرفات المسؤولية عنه بحيث يصير كبش المحرقة ، وذلك لمصلحة أولئك الذين هم في أصل طرد الفلسطينيين (. . .) وأياً كانت الأخطاء السياسية للسيد ياسر عرفات ، فلا يمكن أن تبرر المجزرة — ضد الفلسطينيين وسفك دمائهم من دون احترام القيم الدينية والأخلاقية »[98] .

على هذا الإعلان الليبي ردّ رئيس حركة « أمل » الوزير نبيه بري قائلاً :

« إن الذي أقدم على خطف الصدر قبل ٧ سنوات في الوقت الذي كانت إسرائيل في جزء من الجنوب اللبناني ، وبتواطؤ بعض الفئات الفلسطينية ، والذي يحرض على الفتنة بين المسلمين بهذا الكلام ، هو أول من وضع الإسفين لتجزئة لبنان وتفتيت الصف الإسلامي والتمهيد لإيجاد كانتونات وإسرائيلات في المنطقة تتيح بقاء مثل هؤلاء المستعمرين في مراكزهم » .

وقال أيضاً :

« ولولا سوريا وقيادة سوريا والمقاومة الجنوبية لنفّذت

(٩٨) المصدر نفسه .

هذه المخططات التي بدأت بخطف مؤسس أفواج المقاومة الوطنية اللبنانية »[99] .

ثم عاد العقيد القذافي ليقول : « إذا كنا نعتبر شارون عدواً فإننا يجب أن نعتبر نبيه بري عدواً وأن دمه مستباح والإسلام منه براء »[100] .

وردّ عليه رئيس المكتب الإعلامي المركزي لحركة «أمل» الشيخ حسن المصري فقال :

« مِن هَوانِ الدنيا على الله أن يصل أمثال القذافي إلى ما وصل القذافي عينه حيث بدأ صورة وينتهي كذباً وتدجيلاً ، هذا القذّاف الدم الذي تسلّق على رقاب المسلمين الليبيين تحت غطاء أميركي كثيف من القواعد العسكرية المنتشرة على بضعة أمتار من مركز ثورته المفتوحة على أبواب الشيطان الأكبر » .

وأضاف الشيخ المصري يقول :

« هذا المقذوف إلينا من غياهب الصهيونية الضيقة حيث نشأ في الرحم اليهودي (والدته يهودية) وشبّ في الحضن

(٩٩) المصدر نفسه .
(١٠٠) النهار : ١٣ حزيران ١٩٨٥ .

الأميركي وأراد أن يصل إلى مركز الإفتاء الإسلامي في أمة محمد كما فعل جدّه الأول كعب الأحبار [١٠١] ، فيما قفز قفزة واحدة من اليهود إلى افتاء المسلمين والدسّ على الله فافتى كعب الأشرار القذافي أخيراً بوجوب قتل نبيه بري . وهذا على ما يبدو حسب قوانين كتابه الأخضر البديل عن القرآن » [١٠٢] .

---

(١٠١) كعب الاحبار (... — ٣٢ هـ = ... — ٦٥٢ م)
هو : كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، ابو اسحاق، تابعي . كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن ، واسلم في زمن ابي بكر ، وقدم المدينة في دولة عمر فأخذ عنه الصحابة كثيرا من اخبار الامم الغابرة، واخذ هو من الكتاب والسنة وعن الصحابة . وخرج الى الشام فسكن حمص ، وتوفي فيها عن مئة واربع سنين .

الاعلام — الزركلي — دار العلم للملايين — الطبعة الخامسة ص ١٩٨ ، المجلد الخامس ، ص ٢٢٨ .

قيل ان عمر بن الخطاب سأل كعب الاحبار : يا كعب **هل تجد للشعراء ذكرا في التوراة ؟** فقال كعب : أجد في التوراة قوما من ولد اسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم، ينطقون بالحكمة ، ويضربون الامثال ، لا تعلمهم الا **العرب** .

عن العمدة ١/٢٥ ، عن « الاسلام والشعر » ، **المذكور سابقا ص ١٥ .**

(١٠٢) النهار : ١٩٨٥/٦/١٤ .

وسبق أن بعث القذافي ، بصفته رئيساً لقيادة القوى الثورية العربية التي أنشئت حديثاً (؟) برسائل إلى « كل الفصائل المتقاتلة حضّ فيها على مساندة الفلسطينيين والدفاع عن مخيمي صبرا وشاتيلا ضد المجازر التي تتعرض لها » [١٠٣] .

وفي تقرير عن الأحداث حول المخيمات ، اتهمت إذاعة طرابلس « أمل » بأنها « شنّت هجمات بربرية على هذه المخيمات وارتكبت مجازر في حق اللاجئين الفلسطينيين » [١٠٤] .

وفي بغداد ندّد العراق بما سمّاه « المأساة » التي تواجه الفلسطينيين ، في مخيمات اللاجئين حول بيروت ، ودعا الدول العربية إلى القيام بكل شيء ممكن لوقف القتال ، كما نقلت وكالة الأنباء العراقية الرسمية عن ناطق باسم وزارة الخارجية : « إننا تلقينا بألم وقلق واشمئزاز إلى حد كبير الأنباء عن المأساة التي يواجهها الفلسطينيون في مخيمات اللاجئين في صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة » [١٠٥] .

وكتبت صحيفة « الأنباء » الكويتية في مقال افتتاحي عنوانه « هذا الدم المستباح » تقول :

---

(١٠٣) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٢ .
(١٠٤) المصدر نفسه .
(١٠٥) المصدر نفسه .

« إن الدم الفلسطيني أصبح مستباحاً والشرف الفلسطيني مستباحاً والمروءة العربية مهانة ، وما لم تحققه الكتائب وإسرائيل بقيادة شارون يتولى عرب آخرون تحقيقه فيهدر الدم الفلسطيني شلالاً من القهر ويصلب الأطفال شهوداً على زور التاريخ وعلى بشاعة هذا العصر الأسود . إن محاولة تصفية المخيمات الفلسطينية قبل اكتمال الانسحاب الإسرائيلي ، لا يمكن أن تعني إلاّ أمراً واحداً هو أن إخراج الثورة كان شرط الانسحاب الأول وذبح الثورة كان الشرط الأخير ، فلينبأ الرصاص الرخيص إذ يضرب في ظهر المخيمات ويردي صباياها »(١٠٦) .

وفي تونس رأى الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد الشاذلي القليبي « أن الهجمات التي تعرضت لها المخيمات الفلسطينية ، في بيروت ، من عناصر « أمل » تجعل الحركات المناضلة في لبنان ـــ تلك التي كانت ولا تزال أملنا في التحرير والعزة ـــ في رضع ينال مما أحرزته من تقدير داخل الأمة العربية وعلى الساحة الدولية »(١٠٧) .

وقال القليبي :

« مرة أخرى تُمتحن مخيمات صبرا وشاتيلا ويسقط

(١٠٦) عن النهار : ١٩٨٥/٥/٢٢ .
(١٠٧) المصدر نفسه .

عدد من الضحايا من دون سبب ولا هدف معلن ولا مبرّر واضح .

ولا يسعنا ، اليوم ، إلاّ أن ندعو اللبنانيين كافة إلى الوقوف عند حرمة الأخوة وحق الضيافة حيال أشقاء حُرموا وطنهم بيد الطاغوت الصهيوني الذي كانوا هم أنفسهم وما يزالون يقاومونه »(١٠٨) .

وأكد القليبي « أن الرأي العام العربي لا يفهم أن تكون الطريقة الوحيدة لمعالجة المشاكل بين الأشقاء هي اللجوء إلى السلاح الذي كان يجب أن يبقى دوماً موجهاً إلى الأعداء ولا ينبغي أبداً أن يُدار صوب الأشقاء »(١٠٩) .

بدءاً نسأل : ماذا كان سيحدث للشيعة (اللبنانيين) في بيروت ، لو أن دمشق قلَبَتْ لهم ظهر المجنّ ، أو هي تغيّرتْ عليهم وعادَتْهم ؟

وبدءاً أيضاً نقول : اللبنانيون مرْضى . والفلسطينيون مرْضى . والعرب مرْضى .

من يداوي من ؟

(١٠٨) المصدر نفسه .
(١٠٩) المصدر نفسه .

إذا كانت الفتنةُ أشدَّ من القتل ، وهي كذلك ، فما هو ذنبُ الحكم (المسيحي) إذا ما حاول استمالة السيد وليد جنبلاط — الدرزي ، أو السيد نبيه بري — الشيعي ، أو من يمثّل السنّة ، كما تقول في ورقتك الثالثة (٢٨/٦/٨٥) ؟ !

أليس من حق المسيحي أن لا يدع « حرب علي ومعاوية » تقضي عليه وعلى الوجود المسيحي ؟

ماذا كان سيحدث للشيعة اللبنانيين ؟ بل ماذا سيحدث للمسيحيين اللبنانيين ؟

قال الوزير بري :

« نُطَمْئِنُ العرب ونُطَمْئِنُ الغيارى بالكلام ونُطَمْئِنُ صحفَ الخليج و«المانشيتات» التي برزت اليوم في الكويت وفي كل أنحاء العالم ، أننا المحرومون في أرضنا وسنبقى سنداً أو زنداً للمحرومين في أرضهم . نحن أهل فلسطين ، نحن نعيش وإياهم ، هل يمكن أحداً أن يفصل بين برج البراجنة وأهل برج البراجنة ؟ هل استطاع أحد أن يفصل بين تل الزعتر ومخيم الزعتر ؟ إذا كان فصل هناك فليفصل هنا . نحن الذين يعيشون وإياهم بلا ماء ولا كهرباء ولا طرق ، نحن من وقف بالفعل يدافع عن قضية فلسطين

وعن شعب فلسطين وأرض فلسطين »[١١٠] .

إنها لمأساة فعلاً إذ نستعرض ، هنا ، معانيات الشيعة ، فيما الموضوع الذي يهمنا هو الدفاع عن حقوق اللبنانيين كل اللبنانيين ، وعن أمن لبنان وسيادته وكرامته .

لقد خاض نبيه بري « حرب المخيمات » كما خاض « حرب الشيعة والعرب » ، فحطّم أو كاد يحطّم البندقية الفلسطينية ، وقال في العرب ما قالوا فيه وأكثر . وربما لن ينسى التاريخ أن بري قد تحدى العرب ، كل العرب ، باستثناء الرئيس الأسد طبعاً ، إذ قال مندداً بعرفات وبهم :

« (إن) حل القضية الفلسطينية يكون بالجهاد المتواصل وليس بالانتقال من عاصمة عراقية إلى عاصمة أردنية . فمن يريد القتال فنحن عون له ، ولكن من يريد المتاجرة بشعبنا والقتال حتى آخر جنوبي فلن يمر بعد اليوم . من دون أي تشنج وبكل عقل وروية نقول إننا لن نسمح بالعودة إلى ما قبل عام ١٩٨٢ » .

أضاف :

« أقول هذا الكلام باسم كل المجاهدين الذين وهم يقاتلون إسرائيل قاتلوا ذلك الأسلوب الذي كان متبعاً وأوصل

(١١٠) المصدر نفسه .

إسرائيل إلى قلب لبنان . لن نسمح بهذه العودة وللجهاد أبوابه وطرقُه وكل الحدود مفتوحة ، شرط أن تكون كل الحدود وأولها الضفة الغربية . وليَسْمَحوا لنا وعندما تدق الساعة سوف يرون أننا إن لم نكن أمامهم في سبيل تحرير فلسطين والقدس، فسنكون إلى جانبهم وليس وراءهم على الإطلاق »[١١١] .

ماذا كان سيحدث للشيعة اللبنانيين لو أن دمشق قلبت لهم ظهر المجنّ ؟

من أراد الجواب القاطع فلينظر إلى ما وصل إليه المسيحيون الذين قالوا ، قبل الشيعة ، إن طريق فلسطين والقدس لن تمرّ لا بجونية ولا بالأشرفية .

ثانيا : أقوى من الحركات القومية والإنسانية

لا أعرف كيف توفِّقُ بين قولك في ورقتك الثالثة : « إنه التواطؤ دائماً . التواطؤ على حكومته . (المقصود الرئيس الشيخ أمين الجميل) . التواطؤ على جيشه ، كما على الجيش السوري . التواطؤ على الطوائف الأخرى ، والبعض يضيف : والتواطؤ على حزبه بدليل ما أصاب حزب الكتائب من ضعف وتمزق في الفترة الماضية ، وحتى من قبل أن يموت الشيخ بيار

(١١١) المصدر نفسه .

الجميل ، ثم التواطؤ على (القوات) » وقولك في ورقتك السادسة (١٩٨٥/٧/١) : « فمؤكد أن بعض المحنة التي يعاني منها اللبنانيون (والعرب عموماً) يعود بأسبابه إلى التراجع المريع الذي منيت به حركة القومية العربية التي شارفت ذات يوم الأفق المتوهج للثورة ، ثم انكفأت فتحصنت في بعض المطامح والشعارات والذكريات ، وقلة من المناهج التي تحكم مسلك عدد محدود من الأنظمة السياسية القائمة وكذلك بعض الأحزاب والتنظيمات التي تعاند وتكابر فترفض اعتبار « القومية » من تراث الماضي »!!

أقول: كيف تُوفِّقُ بين هذين القولين ، وللحكْم ، أي حكم ، أن يسلك كل السبل من أجل الحفاظ على أمن بلاده واستقلالها وسيادتها ؟ !

إن حاكماً يطيق أن يرى رجلين أو أكثر ، من ذوي الخطر ، على وفاق ووئام ، لا يمكنه أن يحكم ويستقر ، وغالباً ما يكون عهده قصيراً ، وعرشه في مهب الريح ، وبيته كما البركان ، وشعبه في اضطراب وغليان . وهل أخطأ معاوية حين قال : « إني لا أحُول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحُولوا بيننا وبين ملْكنا » ؟ !

يذكّرني موقفك هذا من الرئيس الجميل والكتائب

و « القوات » بقول للفيلسوف الانكليزي (Herbert Spencer) (١٨٢٠ – ١٩٠٣) وكما جاء في « مقدمة علم الاجتماع » :

« عندما نشاهد شعباً من الشعوب المحكومة يجاهد في سبيل التحرر والاستعباد نُعجَب به إعجاباً شديداً ، ونصفق لاستقلاله تصفيقاً حاراً . غير أن ذلك الشعب ، إذا كان من الشعوب المحكومة لنا نحن ، عندئذ يثور في نفوسنا نحوه غيظ شديد عوضاً عن الإعجاب » (١١٢) .

وما ينطبق على الشعوب ينطبق أيضاً على الحكام أو الثوار ، من أي موقع كان هذا الفريق أو ذاك. على أن السياسة المتحكمة ، دائماً ، هي «قمْ لأجلس مكانك» ، ودائماً هذه السياسة هي التي تصنع المواقف وتحدّدها. فمن كان مع الحاكم فهو على حق بالنسبة إليه وإلى الحاكم ، ومن كان ضده فهو على حق أيضاً بالنسبة إليه كما إلى الذين يؤيدونه ويقاتلون معـه . على أن الذي يبقى هو النظر إلى الأحداث بمنطق وعقلانية ، لا بعاطفة العرب مثلما مرّ معنا .

إثر محاولة اغتيال السلطان عبد الحميد (١٩٠٥) في العاصمة التركية ، نظم المغفور له أمير الشعراء أحمد شوقي قصيدة عنوانها « النجاة » هنأ بها السلطان قائلاً :

(١١٢) ذكره الحصري في « صفحات من الماضي » المذكور سابقا ص ٦٥/٦٦ .

« هنيئاً أمير المؤمنين فإنما
نجاتُكَ للدين الحنيف نجاة
هنيئاً لطه والكتاب ، وأمة
بقاؤك إبقاء لها وحياة
أخذت على الأقدار عهداً موثقاً
فلست الذي ترقى إليه أذاة
ومن يكُ في برد النبي وثوبه
تجزه إلى أعدائه الرميات
يكاد يسير البيت شكراً لربّه
إليك ، وتسعى هاتفات عرفاتُ
وتستوجب الصفح المساجدُ خشّعاً
وتبسط راح التوبة الجمعاتُ
تستغفر الأرض الخصيب وما خبت
ولكن سقاها قاتلون جناةُ
وتثني من الجرحى عليك جراحهم
وتأتي من القتلى لك الدعوات
ضحكت من الأهوال ثم بكيتهم
بدمع جرت في إثره الرحمات
تثاب بفالهِ وتُجزى بطهره
إلى البعث أشلاء لهم ورفاتُ
وما كنت تحييهم فكِلْهم لربهم ،
فما مات قوم في سبيلك ماتوا »

وقال :

« نجتْ أمةٌ لما نجوتَ ، وبوركت
بلاد ، وطالت للسرير حيــاةُ
وصِينَ جلالُ الملك ، وامتدّ عزه
ودام عليــه الحسن والحسناتُ
وأمّن في شرق البلادِ وغربهــا
يتـامى على أقواتِهم وعفاةُ
سلامي عن هــذا المقام مقصرٌ
عليك سلام الله والبركاتُ » (١١٣)

أما الشاعر التركي الشهير توفيق فكرت ، فقد نظم قصيدة أسماها « لحظة تأخر » قال فيها :

« أيتها الضربة المبجّلة ، وأيها الدخان المنتقم ! ... ما أنتِ ، ومن أنتِ ؟ ... ما هو ، ومن هو السبب لهذه الصولة ، والدافع لها ؟

وراءك (ألف أنظار متجسسة) ... وأنتِ تلوحين لها كيَدِ غيب متخفية ، تنشر الخلاص والنجاة ...

---

(١١٣) انظر الحصري ، المصدر نفسه ، ص ٥٧/٥٨ .

لدويّكِ ثورة غيظ راعدة ، تثير شعورَ الحق والخلاص في كل مكان ...

ومن صدمتكِ ، ترتعد أوصال الاستبداد القاهرة ...

ومن اقترابكِ ، ترتجف أغرُّ تيجان العظمة ...

«إن الدهشة التي تلقينها في النفوس ، تهز رقاب القرون ، فتوقظ الشعوب من أعمق درجات النوم والسبات ...

أيها الصيّاد الجليل الشأن ! ... إنك لم تنصب شراككَ عبثاً ... رميت ، ولكنك — وا أسفاه ، بل وألف أسفاه ... لم تصب المرمى ! ...

لو توقف ، هنيهة واحدة ، الفلك الــذي لا يعرف الاستقرار ... أو لو لم يقف هو — صاحب ذلك التــاج المشؤوم ... لكان هذا العمل الذي أمسى الآن شبيهاً بجناية دامية ، قد صار خيراً لم يسبق له مثيل ، منذ قرون وقرون ...

غير أن « الصدفة » — وا أسفاه ! — الصدفة التي تلازم الأقوياء وتخاصم الضعفاء على الدوام .. انبرت بغتة لمحو هذا التدبير الخارق ... فأطفأت — في نفثة واحدة — هذا الأمل البارق ...

فقد نقش الحظُّ الأعمى ، ساخراً أو متهكماً ، ديباجة غرور جديدة ، على صفحات تاريخ الظلم والاعتساف .

لقد نجا . . . فحلّ له أن ينتقم الآن . . .

ولكن ، على التاريخ الذي يستطيب السفالات ، أن لا ينسى هذه الحقيقة :

إن اللئيم الذي يلهو اليوم بالعبث بحياة أمة بأسرها . . . مدين بكل ملذاته هذه ...إلى لحظة تأخر — ليس إلاّ ... »[١١٤].

هل الحق مع الشاعر المصري —الافريقي —العربي ؟ أم هو مع الشاعر التّركي ؟

أعرف انك ستعطي الحق ، كل الحق ، للتّركي ، وربما لن يسْلَمَ شوقي من لسانك « القومي العربي » السليط . ولكن ما يجب أن تتذكره أو تعرفـــه هو أن « عين الحب »ليست مثل « عين البغض » ، وأمين الجميل ليس كما عبد الحميد . الأول لبناني يتمسك باستقلال بلاده ، والثاني له سلطان على قوميات كثيرة وشعوب متعددة ،ومع هذا فإن لكلٍ من الرئيس الجميل والسلطان عبد الحميد من يدعو له بالبقاء والنصر ،

---

(١١٤) المصدر نفسه .

ومن يحرّض عليه ويسفّهه أو يحاول قتله عملاً بسياسة « قمْ لأجلس مكانك » . ومن الطبيعي أن يختلف النقاد أيضاً على الشاعرين : أحمد شوقي وتوفيق فكرت ، مثلما يختلف المؤرخون والباحثون على السلطان أو على الرئيس، بل على كل سلطان وكل رئيس، وأما الحق فبعضه لهذا الفريق وبعضه لذاك، ومن شاء أن يقف على مبررات حب شوقي أو كره فكرت للسلطان ، سيقع ، حتماً ، في الحيرة بل، سيرتبك في الأمر ، إلاّ إذا كان مسيَّراً ،وعندئذ يذهب في حكمه حسبما يسيّره الهوى أو الغرَض لا كما يختار لنفسه ، وقد وقعتَ ، وأسفاه ! ، في مثل هذا إذ حكمتَ على الرئيس الجميل بما حكمتَ ، بيْدَ أن كل ما حولك وحولنا لا يوحي بالثقة . ولكي يكون الرئيس الجميل « عربياً » ، كما تطلب منه ، لا بد أن يكون العرب أنفسهم عرباً ، وكما قال علي بن أبي طالب : « إذا أردت أن تكون عالماً فابدأ بتعليم نفسك » .

إذن ليبدأ العرب ، بـ « تعريب » أنفسهم ، وبعد ذلك أهلاً وسهلاً ، يقول المسيحيون .

لو تذكرتَ « حرب علي ومعاوية » !

إنها أقوى من كل الحركات القومية العربية والسورية واللبنانية والأشورية والكردية والتّركية والفارسية . وأقوى من الحركات الإنسانية . أقوى من البساتنة والمعالفة واليازجيين .

أقوى من شكيب ارسلان وجرجي زيدان ونجيب العازوري وجورج أنطونيوس وميشال عفلق وأنطون سعادة ومنيف الرزاز وقسطنطين زريق وساطع الحصري وصلاح البيطار وأكرم الحوراني. وهي أقوى من جمال عبد الناصر وخالد بكداش ويوسف إبراهيم يزبك وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وميخائيل نعيمة وعبد الله العلايلي والأخطل الصغير (بشاره الخوري) وجبران تويني (الجد) ورياض الصلح وكمال جنبلاط ومعروف سعد والبطاركة والأساقفة المشرقيين. بل هي أقوى من كل أصحاب العقول المنيرة من أبناء سوريا والعروبة.

وتكاد «حرب علي ومعاوية» هذه أن تكون أقوى أيضاً وأيضاً من حافظ الأسد وعبد الحليم خدام وصدام حسين والحبيب بورقيبه والشاذلي بن جديد وحسني مبارك، والذين سيأتون من بعدهم.

ما هو المطلوب من «الحكم المسيحي» والناس جميعاً على خوف، بعضهم من بعض؟

معلوم أن اللبنانين، مسيحيين ومسلمين، هم — اليوم — حلفاء سوريا ومؤيدوها. لذلك نسأل أنفسنا: لماذا حلفاء الدولة الواحدة، وكل يدعوها «الشقيقة»، يتطاعنون ويتضاربون

بمختلف وسائل الموت؟! أليس من حق هذه الدولة (سوريا) والإسلام كله فيها، أن تجعلهم متفقين على شكل الداخل ومضمونه، قبل اتفاقهم عليها وعلى مشاريعها وطروحاتها وأفكارها ومواقفها؟

ولنا أن نسأل أيضاً، ونلحّ في سؤالنا: إذا كان الحكم مع سوريا، والمعارضة مع سوريا، فلماذا الاستمرار في هذه المعارضة؟ ولماذا التحامل على الحكم كما في سباعيتك وغيرها؟ هذا يطالبه بالتنحي لأنه «الرئيس المريض»، وذاك يستعجل استقالته لأنه «خائف» و«متواطىء» و«عميل»، وذلك يعتبره «انتهازياً» لأنه «لم يثبت على موقف» و«لم يصمد مع هذه الدولة أو تلك» الخ. الخ. فيما دمشق لا ترى رأيهم؟!

لا بد أن لسوريا رأياً في هذا وحكماً وقراراً، إلا أن أياً من الأفرقاء اللبنانيين: المسلمين والمسيحيين، الحكم والمعارضة، لا يعرف، عن هذا الرأي أو الحكم أو القرار السوري، سوى ما تبثه إذاعة دمشق وصحافتها ووكالة أنبائها «سانا» يومياً تقريباً. وهذا ما لا يكفي طبعاً، لأن كل وعد أو عهد بين فريقين أو أكثر يعتبر ساقطاً إذا هو لم يتحقق بكامل عناصره وموضوعاته. فالكلمات المعسولة والبيانات المؤلفة، من أي جهة أتت، واللقاءات مهما تكررت وتعددت، لا تحمي العهود والوعود عندما لا تكون

السيادة الوطنية هي الحقيقة التي تسمو على كل ما سراها .

نكرر سؤالنا وبإلحاح أكثر هذه المرة : ما هو المطلوب من الحكم — الرئيس الشيخ أمين الجميل ؟

إن أحداً لا يستطيع الإجابة عن هذا السؤال بموضوعية ، ما دامت الأفواه اللبنانية جميعها قد امتلأت دماً ، والبعض يقول : قرحت القلوب من الحزن ، وما عاد فيها مكان لألم جديد .

أنى لدمشق أن تكون هي حلمنا الكبير وفيها لا يُعرف لأميرها العظيم ، معاوية بن أبي سفيان ، لا قبر يشمخ على التاريخ ولا مقام يشهد له ؟!

إن لم يعد الأمير العظيم من « غربته » ويبعثر تلك الأكرام الهائلة من الانكسارات النفسية والعقلية التي نرزح تحتها، فإن « قصر المهاجرين » ، الذي فيه ، اليوم ، الإسلام كله ، لن يكون إلا كما « القصر الأخضر » ، وحينئذ يتساوى «معاوية» بمعاوية .

آه من « حرب علي ومعاوية » !

الفصل الخامس

"الدماشقة" أو "الأسديّون"

اليوم ، كلٌ يدّعي الوصل بدمشق . و « الدماشقة » اللبنانيون هم « أسديون » أكثر من « الأسديين » أنفسهم ! !

وكما «الأسديون »اللبنانيون كذلك« الأسديون » الغربيون. الكل يتنافس في حب هذه « المدرسة » وصاحبها . فالداخل إليها « مفقود » حتى يظهر على الصحافة ببيان كأنه عقد من المرجان ، والخارج منها هو في ريبة من أمره حتى يعود إلى بلاده . من دمشق إلى موسكو كما إلى واشنطن ، وتقف أوروبا الغربية مثلما المحطة أو الاستراحة ، فهي في منتصف الطريق ، فيها الفندق والجامعة والمكتبة والمطبعة والصحافة والمصرف والأساتذة تحت الطلب ، لكل الاختصاصات ، وفيها ما يلزم « المدرسة الأسدية — الدمشقية » وما قد يلزم .

ففي يوم ٣٠ حزيران ١٩٨٥ صرّح السيد رولاند دوما وزير العلاقات الخارجية الفرنسي قائلاً :

« يجب الاعتراف بأن أهمية سوريا تزداد أكثر فأكثر في الشرق الأوسط لاسيما لبنان .

نحن كنا نعرف ذلك قبل قضية الرهائن ، وكنا نعرف أن حكومة الرئيس أمين الجميل لها علاقات مميزة مع دمشق وأن الحضور السوري في لبنان قوي لا سيما في شماله . أما الآن فلقد تمّت برهنة ذلك على الصعيد الدولي . وانطلاقاً من هذا الوضع يجب التصرف بواقعية ، هذا ما فعله الأمريكيون وهذا ما فعلناه نحن أيضاً حين زار الرئيس ميتران دمشق » .

وأنهى دوما تصريحه أو عقده بقوله :

« لا بد من أخذ هذه المعطيات في عين الاعتبار حينما يتزايد دور سورية في المستقبل »[١١٥] .

وإذ يتكلم « اللسان الفرنسي » ، فإنما يتكلم بـاسم

---

(١١٥) ذكره عماد الدين اديب في تقرير له عنوانه : رجل المعادلات المستحيلة وسياسة حافة الهاوية : حافظ الاسد سوفييتي يلاعب الامريكيين أم «امريكي» يخدم السوفييت (؟) مجلة « المجلة » العدد ٢٨٣–الاربعاء ١٠ – ١٦ تموز ١٩٨٥ ص ٨ ، ٩ ، ١٠ .

« أوروبا » أولاً ، وباسم فرنسا ثانياً. ولا حاجة إلى بيان (عقد) أوروبي آخر ، ما دامت باريس هي عاصمة الأمبراطورية الفرنسية على قول المؤرخ الأميركي كافين رايلي . وقد يعزز هذا الادعاء ما قاله قائد سلاح الجو الإسرائيلي الجنرال أموس لابيدوت ، في مقابلة أجرتها معه مجلة « باهانه » التي يصدرها الجيش الإسرائيلي ، حيث اعتبر (الجنرال) « أن القوات السورية عوّضت الخسائر التي مُنيت بها في أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ عندما أسقطت إسرائيل نحو ٨٠ طائرة سورية ودمرت بطاريات صراريخ « سام » – المضادة للطائرة – السوفياتية الصنع في لبنان »[١١٦] . وقد يعززه أيضاً ما قالته صحيفة « التايمز » (Times) البريطانية ، في سلسلة مقالات بدأت نشرها عشية الذكرى الثالثة للاجتياح الإسرائيلي للبنان ، إذ بيّنت « أن الرئيس السوري حافظ الأسد أدرك بسرعة إمكانية الاستفادة من المأزق الإسرائيلي في لبنان ، وأن السوريين كانوا يعرفون أن اللبنانيين سيتمكنون في النهاية من إذلال إسرائيل ، وقد أشارت إلى تصريح لم يلفت انتباه أحد في تاريخه كان قد أدلى به رئيس حركة « أمل » نبيه بري ، في التاسع من شهر حزيران ١٩٨٢ ، مفاده « أن سكان جنوب

---

(١١٦) عن « النهار » : ١٩٨٥/٦/١ .

لبنان هزّموا الصليبيين في الماضي ، وسيهزمون الإسرائيليين ويحررون لبنان »[117] .

علّق الأستاذ عماد الدين أديب على تصريح الوزير دوما قائلاً :

« ذلك كله يعكس أن سوريا لديها نوع من الإقرار الفرنسي بسيادتها ودورها في المنطقة .

والموقف الفرنسي لا يختلف عن تقييم كل من واشنطن وموسكو لدور سورية ، ودور رئيسها حافظ الأسد » .

أضاف :

« سورية تقف اليوم على رقعتها في لعبة الشطرنج الدولي ٣ عناصر أساسية : التاريخ ، الجغرافيا ، والرئيس حافظ الأسد.

« تاريخياً ، فإن الكولونيل شريف باشا الفرنساوي له مقولة دقيقة حول هذا الدور حينما يقول : « إن أمن الشام يبدأ من جبال طوروس . وأمن جبال طوروس يبدأ من ممرات سيناء . وأمن القاهرة يبدأ من هذه الممرات . إن القاهرة مفتاح الشام ، والشام مفتاح المنطقة » .

---

(١١٧) مصطفى كركوتي : « السفير » ٢٩/٥/١٩٨٥ ص٣ .

« وجغرافياً ، ها هو الامتداد الجغرافي القديم لسوريا الكبرى ما زال برغم التقسيمات السياسية التي طرأت عليها في الثلث الأخير من هذا القرن ، يواجه تحديات شديدة ».

وقال أيضاً :

« يقول مصدر خليجي (لعلّه ولي العهد السعودي الأمير عبد الله) يرتبط بعلاقات صداقة قوية بالرئيس السوري لـ «المجلة» : « إن الرئيس السوري يرى أن خريطة المشرق الحالية هي خريطة مصطنعة ، وأن سورية الكبرى هي أمر — إن أجّلته الأحداث — فهو في النهاية مشروع لا بد له أن يتحقق ويدير شؤون المنطقة »[118] .

إذا كانت هذه هي المعطيات فحسب ، فأين يكون الخطأ ؟ هل العيْبُ أن « تُثْبتَ (دمشق) أنه حيث أنه لا حرب بدون مصر ، فإن لا سلام بدون سورية ، وأيضاً أن لا عمل عربياً إجماعياً بدون سورية ، وأنه إذا كانت الجامعة العربية تستطيع أن تعمل دون مصر ، فإنها لا تستطيع أن تعمل دون دمشق »[119] ؟ !

إن سوريا الأسد هي حاجة عربية لا بد منها . فلماذا لا نعترف بهزائمنا وسقطاتنا وتراجعاتنا ؟ ولماذا لا ندخل في الصراع من أجل بقاء الأنجح ... بدلاً من هذا الصراع الدامي على «الأصلح» الذي لا وجود له إلاّ في بطون بعض الكتب؟

---

(١١٨) المصدر نفسه .
(١١٩) المصدر نفسه .

كم نحن مشتاقون إلى الحاكم القوي أو الأنجح المتمكن من استيعاب القضايا استيعاباً جيداً ، واستقطاب اهتمام العالم وفرض احترامه واحترام شعبه على الدول الكبرى والصغرى ؟

يُروى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عندما جاء زائراً إلى الشام ، ورأى معاوية يكتسي الملابس الفاخرة المزركشة ، فسأله عن سبب ذلك ، فأجابه قائلاً : « حتى لا تُفْتَتَنَ الرعيةُ بمظاهر الحسن والرونقة لدى ملوك بيزنطة ، فأقره الخليفة على ذلك » (١٢٠) .

إن عظمة معاوية بن أبي سفيان هي كونه عرف تماماً وعميقاً سورية والسوريين ، وأدرك بالعقل الإنساني تكوين هذا المجتمع وأهميته ومتطلباته ، بينما قصّر عن مثله ، علي بن أبي طالب ، بحيث إنه ظلّ « دينياً » أو « طوباوياً » أكثر من اللزوم .

فمتى سنطوي هذا الملف الطوباوي «الأصلح» ، لنفتح ملفاً كلنا بحاجة إليه ، أي ملف الأمير ذي الملابس الفاخرة والمزركشة ، والذي يضع العقل الإنساني في المقام الأول ؟

وإذ يحاول الأسد أن لا يترك رعيته تُفتتن بمظاهر القوة والقدرة لدى الملوك والرؤساء الغربيين والشرقيين ، يعارضه ،

---

(١٢٠) الابشيهي : المستطرف من كل فن مستظرف هامش ص ٢٧ ، كما ذكره د. عبد الجبار منسى العبيدي ، « عالم الفكر » المصدر المذكور سابقا ص ٢٧٧ .

يا للأسف ، ملوك العرب ورؤساؤهم ، كما لو أن الحرام — كل الحرام ، والعار كل العار — أن يكون للعرب راعٍ صُلب العصا !

لقد ابتدأ حكم معاوية والمعارضة تقف وجهاً لوجه معه ، أو كما يقول د. عبد الجبار منسى العبيدي : « فخرجت الخوارج التي اعتزلت أيام علي بشهرزور على معاوية وقاومته فاستعان ببعض مؤيديه من أهل الكوفة للقضاء عليهم . وحاول أهل البصرة القيام بحركة مسلّحة ضد معاوية فأخمدها . وكذلك فعل أصحاب عليّ الذين بقوا على ولائه بعد معركة صفين . أما الحجاز فقد سخط على بني أمية ونازعهم الملك ممثلاً في الحركة الزبيرية . وهمّت مصر بالخروج لولا عمرو ابن العاص ، فقد كان داهية العرب رأياً وحزْماً وعقلاً ولساناً ، فساسها بالطريقة التي تؤهله قيادتها . وهاجت عليه الروم فصالحها على مائة ألف دينار » .

ويقول الدكتور العبيدي أيضاً :

«هذا الموقف الحازم من معاوية تجاه معارضة ما كان بمقدور أحد مجابهته والانتصار عليه في مثل تلك الظروف المضطربة لولا تلك الوقفة منه التي استطاع بها تخليص الدولة من خطر محدق وسقوط محقق . وربما من الحق أن نقرر أن هذه الحركات لعبت دوراً أساسياً في إضعاف الدولة فيما بعد حتى أسقطتها في النهاية » (١٢١) .

---

(١٢١) المصدر نفسه .

هكذا العرب في الأمس ، وهكذا اليوم ، وربما كانوا هكذا غداً ، وإلى الأبد .

كل العرب — اليوم — يريدون إضعاف الأسد ودولته ، كما أضعفوا ، من قبله، معاوية — الأمير معاوية بن أبي سفيان ، والدولة الأموية .

هلاّ عرفنا لماذا ؟

إنه الحسد والطمع والجشع والحقد . وأيضاً الشعور بالعجز والتدني . جميع هذه النكبات رمتنا بها « حرب علي ومعاوية » . . . وترمينا بها اليوم ، ليظل كل في مكانه ، خصوصاً معاوية المستلَب المجد والحق والإمارة ، والمحروم من التكريم والتعظيم ! !

ما أكثر الذين في رؤوسهم هوَس ، وما أقل الحذرين !

إن هذا تقرره أيضاً الوقائع اللبنانية التي تعكس على اللبنانيين أسرأ النتائج ، ما داموا غير متفقين ، وهي :

أولاً : رواية بقرادوني أو « التجربة المرة » :

تحدّث صاحب الكتاب الشهير « السلام المفقود » (عهد الياس سركيس ١٩٧٦ — ١٩٨٢) ، رئيس الدائرة السياسية والإعلامية في « الهيئة التنفيذية » لـ « القوات اللبنانية » المحامي كريم بقرادوني ، في لقائه والصحافيين ، بمناسبة إنشاء « الدائرة الإعلامية » وزيارة رئيس « الهيئة التنفيذية للقوات » السيد إيلي حبيقة للرئيس سليمان فرنجية ، فقال :

« لنا تجربة مُرّة مع السلطة والرئيس الجميل . يوم الانتفاضة قلنا إنها غير موجهة ضد الرئيس بل إنها لوحدة المسيحيين ، لكنه فهم أنها موجهة ضده و « خربط كل محاولة لتجميع المسيحيين مثل التجمع المسيحي للبنان الواحد » .

وفي المقابل تابعنا الاتصالات ، وتعرفون أننا حاولنا أن تمرّ العلاقة مع سوريا من خلال الرئيس الجميل وأعطيناه ورقة للحوار مع سوريا ، وقررنا أن تبنى العلاقة معها من خلاله . وبدل توظيف ذلك للتقريب بين المسيحيين وسوريا ، وظف لأمور داخلية فأجهض ، ونحن على عتبة محاولة ثالثة لن ندخل فيها الرئيس الجميل » .

أضاف :

« عندما بدأت الانتفاضة ، اقنعت الدولة أولاً وحلفاء سوريا ثانياً سوريا بأننا حركة إسرائيلية موجهة ضدها . وأنا اتصلت مرتين بالسيد عبد الحليم خدام لأشرح له أن ما يحدث حركة داخلية لإصلاح حزب وتوحيد طائفة . ونظراً إلى الوضع حينذاك ، أي الانسحاب الإسرائيلي وأحداث صيدا ، أعطي هذا الكلام حجماً هامشياً ، وأخذ بالكلام الآخر .

« أعتقدأن سوريا كانت على وشك الدخول عسكرياً بعد الانتفاضة إلى المناطق المسيحية وكنا في وضع المواجهة العسكرية . والذي أنقذ الموقف موقتاً هو الرئيس حافظ الأسد،

فعلى رغم المعلومات من السلطة ومن حلفائه في لبنان ، تريّث وحاول أن يستكشف طريقة حقيقة ما يحدث . ومع الوقت اكتشفوا كم أن موقفه كان موقف رجل دولة إذ لم يتورط ولم يورط » .

وتابع بقرادوني يقول :

« وبعد هذه الفترة الدقيقة ، فترة المواجهة العسكرية المحتملة ، جاءت مرحلة مواجهة سياسية ، أي ممارسة ضغط إعلامي وسياسي سوري لترى سوريا ردة فعلنا . يعني أنها وضعتْنا موضع اختبار فأكملنا نحن عملنا . في أحد الأوقات اعتبرت سوريا أن حزب الكتائب ضمان لها ، فإذا دخلت الانتفاضة الحزب يكون الحل ، لكنها اكتشفت أن الأمر ليس كذلك . واعتقدت أيضاً أن المشكلة تحل إذا تفاهمت الانتفاضة والرئيس الجميل . ولعبنا اللعبة ولم يلعبها الرئيس فاستنتجت سوريا أننا لسنا إسرائيليين بل مسيحيون ، وراحت تتعاطى معنا كفريق ولكن ليس علناً ولا سياسياً . بل باتصالات سرية تتخذ صفة المخابرات السياسية » ؟ !

وقال أيضاً :

« هذه الفترة استغرقت شهرين تماماً كالأولى ، الآن نحن على أبواب فترة ثالثة من التعاطي مع سوريا ، وهي

الانتقال من فترة المواجهة (. . .) إلى اتصالات سياسية علنية أو في الأقل سياسية ولو سرية . يعني أننا على أبواب العلاقات السياسية البحتة مع سوريا .

« ثمةَ أناسٌ كثيرون تدخلوا وتوصلوا إلى ذلك . واليوم إن الصورة واضحة لدى سوريا وتعرف بالضبط من نحن وحدود التعامل معنا وصعوباته . ونحن نعرف أيضاً حدود التعامل معها وصعوباته . والخطوة مع سوريا ستأتي ، ولا يمكن أن نحدد لها وقتاً اليوم ، لكننا نعدّ لها « على رواق » كما للخطوات المختلفة التي قمنا بها » [١٢٢] .

مَن غيرُ الرئيس فرنجية يستطيع فتح الباب الدمشقي لـ « القوات اللبنانية » ؟ لا بد أن الغطرسة الإسرائيلية من جهة ، والتطرف الإسلامي السلفي والتصلب الشيعي والدرزي من جهة أخرى ، فضلاً عمّا حصل من أحداث وتطورات جديدة أبرزها تهجير المسيحيين من الشوف والإقليم وشرق صيدا وعاليه ، هي التي علّمت « القوات اللبنانية » كيف ينهض البطل للأمر العظيم .

ومهما يكن ، فإن على سوريا الأسد أن لا تُسْقِطَ من أوراقها ذلك البيان ـ المنعطف ، الذي أعلنه السيد إيلي حبيقة ،

(١٢٢) النهار : ١٩٨٥/٨/١ .

وفيه : « أعطيت التعليمات بإقفال « المكتب التمثيلي » في إسرائيل . واستدعاء جميع العاملين فيه »[١٢٣] .

وكان قد سبق للسيد حبيقة نفسه أن أعلن ، في التاسع من أيار الماضي ، « حتمية العودة إلى العمل مع المحيط العربي وفيه » ودعا « جميع اللبنانيين وجميع العرب ، وفي طليعتهم سوريا ، إلى مزيد من العمل لإنقاذ لبنان من محنته » . ومنعاً لأي التباس أو سوء ظن أكد حبيقة على أن موقفه هذا هو عن « اقتناع وليس خوفاً » ، إذ إن « ظروف المحنة » و « حتمية الدفاع عن النفس أمام أخطار استهدفت المسيحيين » هي التي فرضت على بعض منا تطلعات إلى جهات إقليمية معادية للمحيط العربي » الذي لا يمكن تبرئته من دم لبنان واللبنانيين .

ثانياً : قرار كتائب زحلة

أفادت مصادر أمنية أن قذيفتين صاروخيتين سقطتا بعد منتصف ليل الأربعاء (٢٤ تموز ١٩٨٥) في وادي العرايش — زحلة وأصابتا مبنى خلف الأمن العام في المدينة ، ورافقتهما رشقات نارية متقطعة ، مما حدا مجلس إقليم زحلة الكتائبي إلى عقد اجتماع استثنائي مساء اليوم الثاني (الخميس ٢٥/٧/١٩٨٥) ، أصدر بعده بياناً أشار فيه إلى « أن زحلة اتخذت منذ ١٩٨١ قراراً تاريخياً بالانضواء تحت راية الشرعية والمحافظة عليها » وقررت « نبذ الاقتتال والانفتاح على الجميع »

(١٢٣) صحف ٢٢/٥/١٩٨٥ .

و « إبعاد المنطقة عن أي خضات أو أزمات » ، وأكدت على « تمسكها بأبنائها وأحزابها وهيئاتها بالتعامل مع كل المناطق بروح الصداقة والأخوّة » .

وأشار البيان إلى أن المدينة تنعم منذ ٤ سنوات بـ « أمن لم تنعم به منطقة في لبنان منذ ١٩٧٥ ، بفضل الأخوة السوريين وقوى الأمن الداخلي ولا ننكر فضل فاعلياتها » .

وقال : « فجأة تجري أحداث مبهمة تترك آثاراً قد تؤدي إلى فتنة داخل زحلة من المؤكد أنها ليست في مصلحة زحلة ولا في مصلحة سوريا » . وأكد « أن ليس لأي زحلي ضلع في ما يحدث لا من قريب ولا من بعيد . وإذا كان المقصود مما حدث أخيراً إرباك سوريا كما قيل فنحن معها في المرصاد ونضع كل إمكاناتنا في تصرف القوى المعنية لضبط أولئك المتآمرين المنبوذين لإحباط مؤامراتهم ورد كيدهم إلى نحرهم باقتناع مطلق » .

ورأى البيان الكتائبي « أن سوريا الأسد وممثليها في لبنان لا يمكن أن يقبلوا بفتنة من دون مبرر مع المدينة التي تركت السلاح منذ أربع سنوات ، تاركة الشأن الأمني للقوى اللبنانية الشرعية والقوى السورية المؤتمنة على المدينة وأبنائها »[١٢٤] .

لقد أوحت إليّ أحداث زحلة ١٩٨١ بكتاب « أبعد

(١٢٤) النهار : ٢٦/٧/١٩٨٥ .

من زحلة وصور » (حرب الوفاق الشرق الأوسطي) (١٢٥)
كنتُ فيه مع الغالية زحلة كما مع الحبيبة صور .

وها أنا اليوم مع زحلة ثانية ودائماً ، كما مع بيروت وطرابلس وصيدا وجزين (ساعد الله جزين وخلّصها من محنتها) وصور ، ومع كل لبنان .

أجل !

إن المؤامرة التي ندعو إلى تفشيلها إنما هي « أبعد من زحلة وصور » . . . بل أبعد من كل لبنان . . . وربما أبعد من « قصر المهاجرين » وسائر الشام .

ثالثاً : « مانيفست » الرئيس الجميل

في الاحتفال الذي أقيم عند الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر الخميس ١٩٨٥/٨/١ ، في القصر الجمهوري – بعبدا ، لمناسبة عيد الجيش ، قال الرئيس الشيخ أمين الجميل :

« نعيّد اليوم ولبنان يمرّ بأصعب محنة في تاريخه ، هناك زلزال زعزع القواعد والقناعات إنما بقيتم رمز الأمل والتفاؤل بالمستقبل وإننا نعمل اليوم من أجل ترجمة هذه المبادىء بإصلاحات وطنية إصلاحات شاملة توطد الأسس الوطنية التي ينظر إليها المواطنون من أجل طمأنة الجميع ومن أجل نشر مجتمع المساواة والعدل على الأراضي اللبنانية » .

---

(١٢٥) ٣٩٨ صفحة من القياس الوسط ، الطبعة الاولى ١٩٨١ .

أضاف :

« قلنا ونكرر أن لا مقدسات على الأرض اللبنانية سوى وحدة الشعب والسيادة والاستقلال ، ولذلك فإننا نعمل لدفع عجلة الحوار إلى الأمام وتسريع هذا الحوار من أجل إصلاحات حقيقية ، الإصلاحات التي يطمح إليها الشعب اللبناني .

« وإننا ننظر إلى هذه التحركات على الأرض في كل المناطق ، ومن قبل كل الفئات ، ننظر إليها بإيجابية فهي دليل عافية ونأمل أن تصب في اتجاه وحدة الشعب ودفع مسيرة الحوار والإنقاذ وأن الدولة سوف تسعى إلى تشجيع هذه المبادرات لكي تصب باتجاه الوفاق المنشود والذي يطمح إليه الشعب اللبناني » .

وقال :

« إن الإصلاحات المنشودة لا تكون إلاّ من خلال الحوار ، ومن خلال الوفاق ، ومن خلال التعاون ومن خلال تجاوزه الذات ، من أجل النظر إلى الذات الكبيرة ، إلى لبنان ومصلحة لبنان . والمطلوب من مؤسسة الجيش في الوقت المناسب حماية تلك الإنجازات التي تصبو إليها » .

وقال أيضاً :

« وفي المناسبة أريد أن أؤكد لكم أن لبنان لا يواجه بمفرده هذه الاستحقاقات وهذا الزلزال . ان لبنان يتحرك بمساعدة كريمة مشكورة ، مساعدة الشقيقة سوريا ، بقيادة الأخ

العزيز سيادة الفريق حافظ الأسد ، الذي يسهر على الخطوات الإيجابية التي تقوم على الساحة اللبنانية ، من أجل جمع الشمل ، ومن أجل توطيد السيادة والاستقرار والتحرير ، والمساعدة العملية التي قدمها الرئيس الأسد للبنان ، هي التي ساهمت مساهمة فعالة في وقف التدهور الأمني ودفع مسيرة الأمن في بعض المناطق اللبنانية وصولاً إلى كل المناطق على السواء » .

وبصراحة كبيرة وفائقة أكد الرئيس الجميل على الوفاء لسوريا الأسد إذ قال :

« إننا ننظر إلى هذا الدعم بأمل كبير ونسعى في الوقت ذاته من أجل إرساء هذا التحالف الكبير بين لبنان وسوريا لمواجهة الاستحقاقات المحدقة بنا ، وكذلك الأمر اننا نسعى إلى دفع عجلة الوفاق وعجلة الأمن إلى الأمام »(١٢٦) .

هل كان على الرئيس أمين الجميل أن يقول غير ذلك ؟

أليس في تعنّت وتصلّب المعارضة ما قد يضرّ بسوريا ورئيسها ؟

رابعاً : علامات استفهام

لقد استوقفت الرئيس شمعون عبارة وردت في خطاب

(١٢٦) صحف ١٩٨٥/٨/٢ .

الرئيس الجميل وهي « التحالف الكبير بين لبنان وسوريا » ، وتساءل « المجلس السياسي الأعلى في حزب الوطنيين الأحرار » : «هل أن هذه العبارة عاطفية أملاها التودد أم أنها عبارة لها مدلولها السياسي » وقال : « ففي الحال الأخيرة اعتبر المجلس أن من الأفضل أن تصدر تفسيرات لهذه العبارة ليكون الرأي العام اللبناني على بيّنة من المقصود بهذا القول »(١٢٧) .

ولكي « يطمئن »حلفاء الرئيس الجميل وخصومه ومعارضوه، أعلن وزير الصحة والاتصالات السيد جوزف الهاشم أن « ليس هناك من تمسك بالرئاسة ، والرئيس الجميل ليس متمسكاً إطلاقاً بالرئاسة إلاّ من جانب واحد هو عدم إحداث فراغ دستوري كبير يوازي الفراغات الأخرى » وقال : « وأنا أعتبر وجود الرئيس الجميل وجوداً أساسياً لضمان مسيرة الدولة والمؤسسات والشرعية ، أما إذا كان العكس هو الدي يؤدي إلى سلامة الد لة وإلى سلامة المؤسسات وإلى عدم حدوث فراغ كبير فلنلعب اللعبة الديموقراطية في ذلك »(١٢٨) .

هل الرئيس الجميل في خطر ؟

وحدها دمشق تستطيع القول : « لا » أو « نعم » .

(١٢٧) النهار : ١٩٨٥/٨/٣ .

(١٢٨) جاء ذلك في برنامج « حديث الساعة » من اذاعة « صوت الوطن » المقاصدية يوم الخميس ٩٨٥/٨/١.

وأما اللبنانيون « الدماشقة » أو « الأسديون » فمثلهم مثل الدجاج « بعضه يفرح بعزا بعض » على قول المثل العامي. كما أن سياسة «قمْ لأجلس مكانك » هي قضيتهم « الجيدة » و « الوحيدة »، اليوم وقبل اليوم، ومنذ أن كانوا لا « دماشقة » ولا « أسديين ».

هؤلاء هم « الدماشقة » أو « الأسديون » المسيحيون حتى الآن، مع التذكير بأن قرار كتائب زحلة إنما هو قرار الكتائب – الحزب، وكذلك بالنسبة إلى « مانيفست » الرئيس الجميل الذي لا يعدو كونه « مانيفست » الحزب نفسه.

هل سيزورون دمشق قريباً ؟

إن في كلمة الأستاذ بقرادوني ما يشجع على الاعتقاد بأن المسيحيين سيكون لهم لقاء في العاصمة السورية، وربما تمّ ذلك في غضون الأيام القليلة القادمة، إذا ما أحسن الفريقان: السوري والمسيحي، التفاهم والمعاملة والعِشْرة.

فماذا عن اللقاء الإسلامي في دمشق الذي تم في نهاية الأسبوع الأول من شهر تموز الماضي ؟

خامساً : نقْد ونقْع [129] (*٤)

في مكتب نائب الرئيس السوري السيد عبد الحليم خدام، كانت النقاشات حادة وعنيفة، لاسيما في موضوع أمن بيروت، وكاد المجتمعون أن يخرجوا، كل في اتجاه، لولا كلمة من السيد خدام نفسه الذي نهرهم قائلاً: « إنه سيكون من الصعب أن يستعيد لبنان وحدته ودوره الوطني والقومي، إذا عجز المسلمون عن التعايش بعضهم مع بعض ».

وجلس الجميع، فيما تساءل خدام: « كيف سيتعايشون مع الآخرين خاصة، وكلنا واجهنا محاولات تقسيم لبنان، لأنه يخدم إسرائيل » ؟

وأشار خدام إلى « أن هناك قضايا في لبنان لا يمكن لسوريا أن تتحملها، أو تتحمل آثارها ونتائجها وتقبل بها، لأنها

---

١٢٩ نقْع : رفع الصوت بالشتم.

(*٤) نقتبس وقائع اللقاء الاسلامي في دمشق من تقرير كتبه الصحافي موفق مدني تحت عنوان « حوارات اللقاء الاسلامي في دمشق » ونشر في « السفير » ٢٢/٧/١٩٨٥ ص ٣، واذ يقول موفق مدني انه « اخذ عن مصادر اللقاء الاسلامي »، فلا بد أن نتحفظ نحن منها، كليا او جزئيا، ولئن لم يصدر، حتى الان، عن اي من المشتركين في هذه الحوارات ما يغالطه.

لا تتعلق بالسياسة السورية ، بل بأمن هذه السياسة ، فنحن نستطيع تحمل الخلاف بين اللبنانيين ، ولكن لا نستطيع أن نتحمل أن يكون هذا الخلاف من بعض الدول العربية ، والهدف فيه سوريا ، وهذا سنواجهه بالقوة ، فالذي يريد أن يلعب ذلك مع سوريا ، فليفعل خارج لبنان ، فأولئك الذين يتفقون من أجل الفتنة ، يستطيعون أن يتفقوا من أجل الرحمة » ؟ !

قطّب الرئيس كرامي حاجبيه وطلب الكلام ، فأعطي له ، فقال :

« نحن لم نكن نسمع بخلافات شيعية أو سنّية أو درزية ، لقد صارت اليوم هذه الخلافات خبزنا اليومي ، فكيف يمكن الخروج مما نعانيه إلاّ بالعودة إلى الأصول ، وبوجود قوة أمنية موثوق بها من الجميع تستطيع أن تضمن الخطة الأمنية » ؟

أجابه خدام : « إنه يجب التمييز بين الأخطاء وبين الموقف الوطني العام . لأنه إذا ضيّعنا البوصلة نخشى أن نجد أنفسنا قد تورطنا ، فليست كل وساحات البلد تحط على كتف وليد جنبلاط ونبيه بري ، وهما اللذان أسقطا اتفاق ١٧ أيار » .

جنبلاط في مكانه يضحك ، وبري ، أمامه ، يضحك أيضاً . بينما خدام يتابع فيقول :

« إن سوريا لو اعتقلت أنور السادات عندما جاء إلينا ، لما كان حصل ما حصل في المنطقة العربية » .

وإذ لاحظ السيد خدام الخوف على الوجوه ، عاد ليقول مطَمْئِناً : « في سوريا ، لا يمكننا أن نرى إلاّ إسلاماً واحداً ، فنحن لا نرى إسلامات . ان سوريا تملك لوائح أسماء الذين قبضوا من أجل إشعال الحرب الأخيرة » .

واتهم خدام أبا عمار باحداث فتنة لبنان ، كما اتهم بعض الدول العربية بالتدخل ، حيث لم تقل كلمة واحدة يوم اجتاحت إسرائيل لبنان .

رجع الخوف إلى بعض الحاضرين ، وعمّت بلبلة صامتة ، فرد المفتي خالد : « وليس بين المسلمين انقسام ، وليس بيننا وبين « أمل » والاشتراكيين أي خلاف ، سوى الخلاف على الأخطاء ، وحيث هناك شكوى من الممارسات » .

عندئذ أخذ الكلام نائب صيدا الدكتور نزيه البزري فقال : « إن الأخطاء موجودة ، لأن البندقية موجودة بغير وجهتها ، وبدون هدف ، وتجب العودة إلى منطلقات المقاومة الوطنية وأهدافها » . وأبدى البزري تخوفه « من الأخطار المحيطة بوضع صيدا ، نتيجة بروز المسلّحين والمكاتب المسلّحة » .

جنبلاط وبري مرغمان على الصمت . ولماذا الكلام ما دام السيد خدام هو الذي يتكلم بالأصالة عن نفسه وبالوكالة عنهما ؟ إذا كانت سوريا ستعتقل أحداً من اللبنانيين فمن يكون صاحب هذا « الحظ السعيد » ؟ سؤال راود الجميع ، وكل يحسب نفسه هو « المعتقل » أو المطلوب اعتقاله .

طلب الرئيس حسين الحسيني الكلام ، فأشار السيد خدام بالموافقة ، فأعرب (رئيس مجلس النواب) عن أسفه لأن « التعبئة على الأرض ليست بهذا الاتجاه ، والحاصل هو التعبئة الطائفية المذهبية ، بسبب غياب المشروع الوطني . . . »

ومن دون أن يلتفت الحسيني إلى بري تـابع يقول : « لا بد أن نشير إلى حالة الحذر بين الطوائف الإسلامية ، على أساس أنها مهددة بالحصص . مع العلم أننا مهدّدون بالوجود (؟) . ان أي طرح تجزئة يعني خلق إسرائيليات » .

وقال أيضاً : « إن الشيعة ليس لهم مطالب غير المطالب الإسلامية الوطنية (؟) ، وأنا شيعي ضد أي مطلب شيعي وضد أي كيانية شيعية . . . إن طلبنا هو مساواة النـاس بعضهم ببعض » .

وما كان من الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، الذي يُعتبر بمثابة المرشد الروحي للحسيني ، إلاّ أن يقاطعه قائلاً : « إن أي مطلب شيعي يؤدي إلى هاجسٍ في نفسِ المسلمِ الآخر هو مطلبٌ شيطاني ملعون » .

ثم عاد الحسيني ليقول : « إن حالة الفلتان هي من كل الفئات بصرف النظر عن المذهبية . المسلمون يعتبرون المفتي (خالد) هو مفتي المسلمين وليس مفتي السنّة ، وليس مفتي بيروت . فلا بد من تصحيح الأخطاء ولا بد من توحيد الرؤية إلى موضوع واحد » .

رد المفتي مؤكداً : « إذا دافعتُ عن السنّة فإنما دافعتُ من موقع إسلامي » .

قال شمس الدين : « ربما تكلم المفتي لسد الطريق على كلام أكثر ، ولأجل الإمساك بالقضية » .

أجاب الحسيني : « إن موضوع الأمن هو منطلق لتعبئة جديدة نحو الأهداف الوطنية العامة ، ولا نقبل بتولي الأحزاب والفلسطينيين الأمن ، فعلى القرى الشرعية وحدها أن تتولى الأمن » .

تضايق جنبلاط فقال : « لا يجوز أن يُفتّت الصف الوطني والإسلامي . إني أدعو إلى الوعي الشديد في هذا الظرف ، لأن الأطراف المعادية ستقوى علينا . يجب معالجة الوضع الأمني برعاية سوريا . اعتبر أنه من الصعب فصل الأزمة اللبنانية عن أزمة الشرق الأوسط » . وقال أيضاً : « إن العميد ريمون اده هو الوحيد الذي تنبأ بذلك ، وان كمال جنبلاط ،

عندما دعا إلى عزل الكتائب ، فلأنه لا وجود لمشروع وطني
بوجود حزب الكتائب متسلطاً على السلطة » .

هذا ، ودعا جنبلاط إلى فصل الأزمة الداخلية عن أزمة
الشرق الأوسط ، فأيد الوزير بري طرح أي مشروع وطني ،
وقال : « لا نقبل بإخراجنا من بيروت ظل عدم وجود
هذا المشروع » .

ردّ خدام : « إن أي حل أمني جزئي هو مؤقت . يجب
تشكيل لجنة تعيدُ نظرةً شاملةً للبنانيين ، وتهيء الإجراءات
اللبنانية الشاملة ، إني أستغرب ، بعد كل هذا الوقت ، ألاّ
يكون قد نُفّذ من البيان الوزاري شيء ، لأن هناك مسألة
لبنان العام ، كيف يكون » .

واستطرد خدام يقول : « إذا تبلورت هذه المبادىء
في دستور جديد للبلاد فإن الأمور ستسير سيراً حسناً . بصراحة
أقول لكم : إنني أستغرب أن تكون حركة « أمل » مستهدَفة
بالكلام والحملات . . . والذي يثير فعلاً هو أن الكلام على
حركة « أمل » يتواكب مع الحديث عن الإرهاب الشيعي
على الصعيد الدولي » .

وتحرك السيد بري ، في مكانه ، واستأذن خدام فقال :
« ليس باستطاعتي فصل قضية لبنان عن القضية الفلسطينية لأن

ياسر عرفات يريد العودة إلى الجنوب كي يقصف بـ «الكاتيوشا» ،
وفي هذا الإطار وقف اللواء السادس مع حركة « أمل » ،
والذي حصل انه جرت مطالبة بخروج « أمل » واللواء السادس
ويعني ذلك خروج الشيعة » .

وقال أيضاً : « إن الحوار هنا يجري حول الحل الأمني ،
بينما المطلوب أن نتحدث عن المشروع الوطني ، ليتحدد هذا
المشروع الوطني ، وساعتئذ ليقولوا لي أخرجْ من بيروت ،
فأخرج » ؟ !

وما ان انتهى بري من الكلام ، حتى انتفض الرئيس
الدكتور سليم الحص وقال : « إن التجاوزات في بيروت قديمة .
ولكن هنا حد أدنى من الصمود الوطني ، والتجاوزات الآن
بلغت حداً لا يمكن احتماله إنسانياً ووطنياً » .

وتساءل الحص : « لماذا لم تكن هناك مشكلة قبل عشرة
أشهر ؟ ولماذا حصلت المشكلة بعد حرب المخيمات ؟ لأن
المخيمات تهدمت ، وأنا من الذين يقولون ان اللواء السادس
سقط كقوة أمنية مرحلية ، نحن حلفاء المصير ، فلماذا نتلهى
عن غير قضايا المصير ؟ لقد أصبح المصير الوطني في خطر ،
ولا بد من وضع حد له في أمن بيروت ، وهذا الطرح ليس
مذهبياً ، وهو طرح في وجه كل التنظيمات المسلّحة » .

وتمنى الرئيس الحص أن تدخل سوريا مباشرة في الحل .
« لأن سوريا نجحت في وقف حرب المخيمات (؟) ، فلا بد من أن يتأكد الوجود السوري في صيغة أمن بيروت ، لأننا لم نختلف على السياسة ، ولكن ما نريده وقف التجاوزات التي باعدت بيننا » .

تبسم الشيخ محمد مهدي شمس الدين وقال : « إن عنق الفتنة ينبغي أن يُمسك » .

وشاء السيد خدام أن يقفل باب المجادلة أو المماحكة فقال :

« نحن في سوريا لسنا بحاجة إلى دعم سياسي ، نحن ممسكون بقضيتنا وحقنا بأيدينا. نحن نجوّع الناس في البلد كي نصمد قومياً ، ولكن همّنا هو ما يمكن أن نقوم به تجاه لبنان » .

هل يعني هذا أن الذي يجوّع الناس في سوريا سيجوّع الناس في لبنان ؟ لماذا ؟ لأجل الصمود القومي ؟ ألم يكفِ اللبنانيين ما حدث لهم حتى الآن ؟

وكاشف خدام الحضور بالقول : « يمكن لسوريا أن تقرر اتخاذ إجراءات قد تفاجأون بها ، لنضمن بها أمننا ، كما نضمن بها خطنا السياسي ، ولكن لا نريد أن نقدّم على أي إجراء من هذا النوع ، لأننا نعتبر اللبنانيين إخواننا وأهلنا وأحبابنا ولكن الناس لم تعد تصبر على هذا الوضع ، وعليكم أن تخرجوا منه بتوافقكم وقوتكم » .

وخرج « التلامذة » ليكونوا على موعد آخر مع دمشق — مكة الجديدة ، ومع « الجوع القومي » الذي بات ينتظره اللبنانيون .

هؤلاء « الدماشقة » أو « الأسديون » المحمّديون ، ماذا نقول لهم ؟

أيهم تكلم عن لبنان ؟ بل أيهم تكلم عما هو أبعد من حيّه أو بيته أو مؤسسته ؟

لبنانيون ؟

« أسديون » ؟

« دماشقة » ؟

محمّديون ؟

في قلب كل واحد من هؤلاء كُرْهٌ لصاحبه وحقدٌ عليه . الواحد يكْرَه الكل ، والكل يكره الكل . إنهم في لبنان « معلّمون » و « عباقرة » و « علماء » و « قيـاديون » و « منظّرون » و « معارضون » ، وفي دمشق « تلامذة » و « مهرّجون » و « سطحيون » و « جبناء » و « حائرون » « بائرون » ، أي لا يطيعون مرشداً ولا يتجهون لشيء ! !

لهؤلاء ، في لبنان ، المنابر والصحافة والإذاعة والتلفزيون

ووكالات الأنباء ، وهم يشتمون الرئيس لأنه مسيحي ، ويهدّدون العالم ، كل العالم ، بالإسلام والسيْف ؟ !

وإذا ما جاؤوا دمشق ، فهم أسرى لأهوائهم ونزواتهم وأحقادهم وعقَدهم . يركعون للحاكم السوري ونائبه ، ولكل ذي نفوذ أو سلطة ، ممن حولهما ، ويتحلقون ويسألون الرحمة والرضا ، كلٌّ حسب مصالحه وأهدافه ولأجلها ؟ !

من المفتي خالد إلى المفتي قبلان إلى الشيخ شمس الدين إلى الرئيس الحسيني إلى الرئيس كرامي إلى الوزيرين بري وجنبلاط ، وحتى الرئيس الحص ، والقضية هي هي : لبنان يتلاشى . لبنان ابتلعته المصالح الإقليمية والدولية . لبنان نحرته السياسة الرخيصة . لبنان حكمت عليه « حرب علي ومعاوية » بالإعدام ، شنقاً أو رمياً بالمدافع أو جوعاً « قومياً » !

آه من « حرب علي ومعاوية » !

الفصل السادس

حقائق مريضة وملتهبة

هناك حقائق كثيرة مريضة وملتهبة ، لا يمكننا إلاّ أن نلقي الأضواء ، ولو على بعضها ، وهي تضغط بعنف شديد على عقولنا وأعصابنا وأرواحنا ، لنظل بدون إرادة ، وفي حالة اضطراب وتشنج وتقلص وارتياب هذيان واغتراب .

هذه « الحقائق » هي عدونا الأول والطبيعي ، وسجننا الضيق المظلم ، و « أفيوننا » المفضّل ، وبؤسنا ، ويأسنا ، منها:

أولاً : مواقف رِخاف (١٣٠)

في كانون الثاني ١٩٨٢ تحدّث السيد عبد القادر غوقة

(١٣٠) رخَف ورخِف ورخُف : استرخى . الرخفج =

(عضو اللجنة الشعبية في « مكتب الأخوّة العربية الليبي » — في بيروت آنذاك) من « بيت المستقبل » ، في النقّاش — المتن ، الذي أنشأه الحكم — الرئيس الجميل ، قبل أن صار رئيساً ، وأذيع حديثه من « صوت لبنان » ، وعندما فُتح باب الحوار سألتُه :

— « لماذا أنتم مع « الإخوان المسلمون »في مصر ، ضد السادات وضد الحاكم الحالي (حسني مبارك) ؟ ولماذا أنتم ضد « الإخوان المسلمون » أنفسهم ، في سوريا ؟ » .

« لكن السيد غوقة (زرته في مستشفى الجامعة الأميركية إثر محاولة اغتياله ، كيف هو اليوم وكيف صحته ؟) رفض الجواب ، فطلب من « بيت المستقبل » أن يترك (المسألة) في حقيبتي كأنها من الدهن الذي يتم هضمه في المعدة » [١٣١] .

« وقلت للسيد غوقة :

الجواب الذي في صدرك أعرفه ...

إنما هل يعرفه محسن إبراهيم ، وإنعام رعد ، وعبد الله

= رخاف : العجين المسترخي أو الزبد الرقيق ، والرخيف الحجر الهش الخفيف كأنه الخزف .

(١٣١) كتابنا « جزيرة الكلمات » الجزء الاول طبعة ١٩٨٢ ص ١٩٢ .

سعادة ، وجورج حاوي ، وجورج حبش ، وعبد الله الأمين ، ووليد جنبلاط ، والشقيقان : حافظ ورفعت الأسد ، والمنظّرون « الوطنيون » و « التقدميون »و « العلمانيون »[١٣٢]؟

أيضاً السيد غوقة آثر السكوت .

وإن سألتَ لماذا لم أحشر السيد نبيه بري مع هؤلاء ، على « وطنيته » و « قوميته » و « عروبيته » و « إسلامه » ، فلأنه — منذ غياب الإمام الصدر ورفيقيه في طرابلس الليبية — أعْرَفُ من سواه بالعقيد القذافي والمواقف القذافية الثابتة منها والمتحركة.

لقد كان بودي أن يَرِدَ اسمك الطيب مع من ذكرت ، إلاّ أن كثرة المنظّرين صرفتني عن التخصيص ، إذ القائمة كبيرة جداً والمجال لا يسمح بذلك .

ومهما يكن ، فإني أرجو منك أن تغطّي عليّ وتعفو عني .

صحيح ، لماذا القذافي مع « الإخوان » المصريين ، وليس مع « الإخوان » السوريين ؟ !

والشيخ حافظ سلامة [١٣٣] ، المسلم المصري المتشدّد ،

(١٣٢) المصدر نفسه .

(١٣٣) إمام جامع النور في القاهرة .. وقائد جماعة « المسلمين المتشددين » .

ممن يستمد العون والمساعدة والسلاح والقرآن ؟

ماذا تقول له السعودية عندما يهتف في القاهرة هو وجماعته : « جمهورية إسلامية قرآنية لا رأسمالية ولا شيوعية » ؟ « فلْيعدْ للدين مجده أو تُرق منا الدماء » ؟

وسوريا ، في رأيك ، ما موقفها منه ؟

لنبقَ في مصر... حيث حرب الشريعة « تهدد الديموقراطية » كما يقول الرئيس مبارك والذين حوله من المصريين .

من مع من ؟ من ضد من ؟

بمناسبة مرور ٣٣ عاماً على ثورة ٢٣ يوليو في مصر ، ألقى الرئيس مبارك خطاباً تذكّر فيه الرئيس عبدالناصر من دون أي إشارة إلى الرئيس أنور السادات ، علماً أنه حرص في الخطاب الذي ألقاه ، العام الماضي في المناسبة نفسها ، على ذكر كليهما والإشادة بهما [١٣٤] ؟ !

وفي هذا الخطاب هجومٌ شديدٌ ، هو الأول من نوعه ،

---

(١٣٤) النهار : ١٩٨٥/٧/٢٣ .

على الدول العربية القادرة (. . .) لعدم تقديمها مساعدات إلى مصر [١٣٥] .

ومما قاله الرئيس مبارك : « إن هناك من يتآمرون خارج الحدود لضرب هذا البناء (الديموقراطية) وتقويض أمن هذه الحياة (الآمنة) ، والأسباب واضحة والدوافع مكشوفة ، فليس ما يزعج من يحكمون بالحديد والنار (. . .) أكثر من بلد آمن بحرية أبنائه وبسيادة قوانينه وباستقلال قضائه » [١٣٦] .

وقال عن العرب والمساعدات العربية :

« كل الحقائق الاقتصادية التي سببت لنا المتاعب ، سواء بسبب الحروب التي فُرضت علينا أو بسبب الظروف العالمية ، أصبحت معروفة لدى المواطنين بالأرقام الصحيحة . وإذا كان الأخوة العرب لأسباب معلومة أو مجهولة قد وقفوا منا موقف المتفرجين فإن مصر التي كانت دائماً هي اليد التي تساعد وتعين لن تكون أبداً هي اليد التي تمتد طلباً لمساعدة أو عون وهي مصر التي تتراجع عن دورها الرائد ومسؤوليتها التاريخية . وقد ناديت وكررت النداء أنه لن يبني مصر إلاّ

---

(١٣٥) المصدر نفسه .
(١٣٦) المصدر نفسه .

سواعد أبناء مصر ولن يكون البناء إلاّ بالإنتاج وبمزيد من الإنتاج »(١٣٧) .

ولقد تلقى الرئيس مبارك برقيات تهنئة لا سيما من رئاسة مجلس السوفيات الأعلى (؟) وعمان والكويت وبغداد ، في حين بثّت الإذاعة الدمشقية تعليقاً سياسياً جاء فيه :

« لعل أولئك المعتصمين بالحبل الأميركي في القاهرة يدركون أن الشعب الذي أسقط كل المقولات الساداتية حين جعل من مصير السادات مثلاً لن يكون أقل انتقاماً لعروبته وثأراً لها من أولئك الذين قلبوا كل الحسابات الأميركية — الإسرائيلية على أرض لبنان . وأياً كان الأطراف المشاركون في تكبيل شعب مصر لينسى أنه ابن تموز ووريثُ عبدالناصر ، فإن هؤلاء الأطراف لن يقووا على وأد ثورة تموز في نفوس المصريين لأنها الأطراف نفسها التي أخفقت على أرض لبنان . ولا نقول ان معجزة هي التي تفرض الحدث والفعل ، بل ان الثورة القومية لم تمُتْ لأن السادات والساداتيين أرادوا لها أن تموت »(١٣٨)

ألا يُفترض أن يكون « المسلمون المتشددون » ، لكي

---

(١٣٧) المصدر نفسه .

(١٣٨) عن « النهار » : ١٩٨٥/٧/٢٤ .

لا نقول « الإخوان المسلمون » ، المصريون على اتصال بدمشق ولو عبر ليبيا ؟

ما يجب ذكره ، هنا ، هو أن اغتيال السادات ، كما نعرف جميعاً ، لم يكن « اغتيالاً قومياً عربياً » ، حسبما يظن البعض ، بل هو « اغتيال إسلامي »(١٣٩) فحسب ، وان ما يبذله خصوم النظام المصري « فلأجل الإسلام » و « حكم القرآن » ليس إلاّ . ولا بد أن يكون « قرآنياً » ذلك الذي اغتال السادات ، والذي سيغتال غيره ممن وُضعت أسماؤهم على « القائمة السوداء » الإسلامية .

ودائماً الانتقام للعروبة ، مهما عنف واشتدّ ، لا يقابل الانتقام للإسلام ولا يواجهه، ما يجعل « العروبيين » في ساحة الوغى « إسلاميين » و « متشددين » ، كما الملازم أول المصري خالد اللاسلامبولي ، قاتل السادات(١٤٠) ، والشيخ حافظ سلامة وغيرهما . لنا في الحرب اللبنانية دليل على ذلك لا يقبل الشك .

ودائماً أيضاً ، الخطأ لا يدوم ، والصواب لا يدوم ،

---

(١٣٩) انظر رسالتنا الى الدكتورة نجاح العطار (الوزيرة السورية) المؤرخة في ١٩٨١/١١/٢ ، المنشورة في كتابنا « جزيرة الكلمات » نفسه ص ١٣١/١١٤

(١٤٠) المصدر نفسه .

فمن كان صديقك اليوم قد يكون عدوك غداً ، والعكس بالعكس .

ونحن إذ ندرك أن الإسلام « هو ضد الوعي القومي » [١٤١] نرجو من الله أن يحمي سوريا ورئيسها حافظ الأسد من غلاة المسلمين المتطرفين ، ويحمي سائر القوميين المخلصين للعلم والفضل ، المجاهدين في سبيل فصل الدين عن الدولة .

ثانياً : ساطع الحصري يُطرد من دمشق

ماذا تقول لو أخبرتك أن مؤسس معهد الدراسات العربية العليا في القاهرة ، المفكر القومي العربي الكبير المغفور له ساطع الحصري (أبو خلدون) [١٤٢] ، قد أرغم على تقديم

(١٤١) انظر مقالتنا في كتاب « دبلوماسية التأزيم » للدكتور انطوان شيبان : « النهار العربي والدولي » العدد ٤١٤ ـ ١٤/٨ نيسان ١٩٨٥ ص ٥٦/٥٤ .

(١٤٢) وُلد في صنعاء اليمن . وهو من عائلة عربية أصلها من الحجاز وقدمت الى حلب في القرن التاسع الهجري . عمل في السلك الاداري العثماني في البلقان حيث درس على الطبيعة نشوء القوميات البلقانية قبل الحرب العالمية الاولى . التحق بالملك فيصل الاول واصبح وزيرا للمعارف في الحكم الفيصلي لدمشق . فاوض الجنرال غورو قبيل =

استقالته من مستشارية وزارة المعارف السورية ومغادرته دمشق ، إثر خروج الطلاّب في الشام بتحريض من الإخوان

= معركة ميسلون . خرج من سوريا مع الملك فيصل الاول ،والتحق به بعد ذلك في العراق حيث تولى شؤون المعارف والثقافة . جُرِّد من الجنسية العراقية واخرج من العراق عام ١٩٤١ ، وذلك لتأييده للجانب العراقي في الحرب العراقية ـ البريطانية . عمل مستشارا للجنة الثقافة في جامعة الدول العربية . اسس معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة عام ١٩٥٣ واصبح مديرا له ، والذي سمي فيما بعد معهد البحوث والدراسات العربية . توفي في بغداد عام ١٩٦٨ ودُفن في مقبرة الامام الاعظم (نعمان بن ثابت) (ابو حنيفة) .

ينشر مركز دراسات الوحدة العربية ـ في بيروت رسائله ومحاضراته ودراساته في القومية والعروبة واللغة والتاريخ وعلم الاجتماع . ويقول المستشار السياسي للرئيس حافظ الاسد الدكتور جورج جبور في دراسة له عنوانها (نحو علم « عربي » للسياسة) رفعها هدية الى الرئيس حافظ الاسد نفسه «لانه بسياسته العربية الوحدوية المناهضة للعنصرية ، وضع حجر الاساس للعلم العربي للسياسة » : « في رأيي ان افضل ما قام به مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت ، منذ تأسيسه وحتى تاريخه ، هو ما يضطلع به حاليا من نشر المؤلفات الكاملة لساطع الحصري » . « السفير » ٢٧ ، ٢٨ تموز ١٩٨٥ ص ١١ .

المسلمين ، في مظاهرات عدائية ضده ، هاتفين : لا إله إلا الله ، الحصري عدو الله[١٤٣] ؟ !

ممن أحزنهم هذا الحدث ، يومذاك ، المرحوم المفكر الإسلامي الأستاذ أحمد أمين ، الذي كتب في مجلة « الثقافة المصرية » (العدد ١٤٥) يقول لصديقه السوري (. . .) الذي نبَّأه الخبر :

« لقد قرأت هذا الكتاب (الرسالة) وقرأته فطفرَ الدمعُ من عيني حزناً على حالة هذه البلاد .

« ليست هذه الحالة يا صديقي — هي حالة سوريا وحدها ، بل حالة الشرق كله ، وعندنا مثل ما عندكم » .

وتابع أحمد أمين يقول :

« عندنا مثل ما عندكم . . . تتحكم فينا شهوة الحكم (أي سياسة « قم لأجلس مكانك ») وتقضي على كل منطق ، وعقل وخُلُق ، ولا تتورع الأحزاب تحارب بالباطل فتقلب الصحيح فاسداً ، والفاسد صحيحاً ، ولا تخجل من أن تسمي

---

(١٤٣) ساطع الحصري : صفحات من الماضي القريب ، سلسلة التراث القومي (الاعمال القومية لساطع الحصري) : (٣) ، مركز دراسات الوحدة العربية — بيروت ، طبعة ١٩٨٤ ص ٧١ .

الأبيض أسود والأسود أبيض بل لا تخجل من أن تسمي الشيء الواحد أبيض وأسود في زمنين لغرضين ، ولا تتَّعظ بما يجري في الأمم الحية من تحكيم المصلحة القومية وتقديمها على المصلحة الحزبية وتفاهم رؤساء الأحزاب إذا حزَبَ الأمر وعظم الخطب »[١٤٤] .

ألا تقول معي : فالذين طردوا الحصري ، هو لا « كافر » ، ولا « مشرك » ، بل مسلم مؤمن ، كيف لا يَطْرُدون المسيحيين إذا هم استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ؟

لماذا الحصري « عدو الله » ؟ !

ولماذا القول دائماً وأبداً : « . . . وأمين الجميل ، موقعه الطبيعي ليس موقعاً عربياً ، بل مع هذا الصف الرجعي الذي قام بصفقات منفردة ، ولا أحد يستطيع أن يبرئه أو يعطيه براءة ذمة »[١٤٥] ؟ !

بل لماذا نرى إلى أخطاء الغير ولا نرى إلى أخطائنا ؟

لماذا نلقي بالمسؤولية الكاملة المطلقة على « القوات اللبنانية » ونبرىء أنفسنا من كل ورم خبيث (. . .) فيما

---

(١٤٤) المصدر نفسه .

(١٤٥) وليد جنبلاط ـ النهار : ١٠ حزيران ١٩٨٥ .

التمزق والتآكل والهرء قد أصابنا جميعاً حتى العظم منا والعصب والروح والدماغ ، فكأننا نفعل ذلك شعوراً منا بأننا خُلِقنا لأجل ملك صهيون والصهيونية ؟ !

ما أروع أبا خلدون (الحصري) إذ يقول للأستاذ أمين جواباً عن مقالته :

« إني أعرف أن داء الأنانية متفشٍ في جميع الأقطار العربية ، والتضامن في سبيل الخير العام يكاد يكون مجهولاً فيها . ولا أجهل أن هذه الأنانية الطاغية تكوّن تربة خصبة جداً لتغذية الدسائس والمؤامرات ، التي كثيراً ما تضحّي بالمصالح العامة على مذبح الأغراض الشخصية » .

ويقول :

« كما أعرف أن النزعة القومية والوطنية ، لم تكتسب بعد — في أي قطر من الأقطار — العربية — القوة الكافية لكبح جماح الأهواء والأنانيات ولم تتجه بعد الاتجاه اللازم للحيلولة دون نجاح الدسائس والمؤامرات »[١٤٦] ! !

وما أروع الحصري إذ يقول أيضاً :

« وأعرف أن الأغراض الشخصية كثيراً ما تتقنّع بقناع

(١٤٦) الحصري : المصدر نفسه .

خدّاع من المظاهر الوطنية أو الدينية ، وتصبح بذلك أشدّ إصراراً على المصالح القومية »[١٤٧] .

أليس هذا هو واقعنا اليوم نحن أيضاً ؟ وما الفرق بين حاضرنا وماضينا ؟

أي حزب ، في لبنان وبلاد العرب كافة ، لم « يتقنّع بقناع خدّاع » ؟

بل أي حزب ، في لبنان وبلاد العرب كافة ، لم يطعن « المبادىء » و « القيم » التي يدّعي النضال من أجلها ، بألف سكين وخنجر ؟

وكما أحزابنا ، كما مذاهبنا وطوائفنا !

ذكرتُ لك هذه الحادثة ، لأن الحصري — كما تعلم — هو واحد من أولئك الذين شهدوا ويشهدون على التراجع القومي والوطني الذي لا أحسبه سيتوقف ذات يوم ، ما دامت « حرب علي ومعاوية » مستمرة ، وما دام الإسلام يأمر بالجهاد من أجل الدين الواحد ، إذ « الدين عند الله الإسلام » ؟ !

قبل محاكمة الحكم المسيحي في لبنان — إذا جاز لنا القول

(١٤٧) المصدر نفسه .

بأن الحكم اللبناني هو مسيحي فعلاً – يجب أن نحاكم ونحاسب الحكام العرب ، ذلك لأن لبنان لن يصلح ، لا ولن يتخلص من المحنة التي يعاني ، ما لم يغلِّب العربُ ، خصوصاً العرب ، المشاعر القومية والوطنية على المذهبية والطائفية ، ومتى فعلوا ذلك أنقذوا الأرض والإنسان ، وحققوا الأماني والآمال الجميلة والرائعة التي راودتْنا مسيحيين ومسلمين ودروزاً وملاحدة .

إذن ، قبل أن نطلب من المسيحي الحاكم «الإخلاص» للعروبة والقومية العربية يجب أن نترفع عن سياسة « قمْ لأجلس مكانك » ، وعن كل ما يثير المخاوف والحساسيات . وأما إذا لم نكن قوميين ، مثلما ينبغي ، فحرام التجني على كرامات الناس والإتيان بما يؤذي مشاعرهم ، وحرام أيضاً أن نؤجّر أقلامنا لمن هم أعداء الحق والحقيقة ، وأعداء الفكر القومي النبيه .

ثالثاً : القوميون والشيوعيون « يصنعون » الشهداء

كل الأحزاب القومية والوطنية والتقدمية أفزعتها « حرب المسجدين » ، فبرزت العِقدُ والمخاوف والأزمات ، ثم تلتها الانهيارات ، الاقتصادية والنفسية والخُلُقية والفكرية والعلمية والأدبية ، فإذا الذين كانت لهم أقلام كأنها « المباضع »

صاروا إما شيعة وإما دروزاً وإما سنّة وإما نصارى من عهد آريوس [148] ، وقد استأثر بهم الشعور بالخيبة أو انقطاع

---

(١٤٨) آريـوس (Arius) : كـاهن اسكندري زعم أن « الكلمة » غير مساوٍ للآب في الجوهر فحرمه المجمع النيقاوي . جاء في كتاب « تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية » للبطريرك يعقوب الثالث ، الجزء الاول ، طبعة ١٩٥٣ ما يلي :

« بعد أن تلافى المجمع (مجمع نيقية الذي عقد في السادس عشر من حزيران ٣٢٥) كل المساوىء وسنّ الانظمة والقوانين البيعية ، بحث بدعة آريوس الذي حضر بصحبة أوسابيوس النيقوميدي وثاوجانيس النيقاوي وماري الخلقيدوني وعشرة فلاسفة آخرين ، وأبرز كتاب ايمانه . فلما تُلي سدّ آباء المجمع آذانهم لدى سماع كلمات التجديف ، ثم مزقوه إربا إربا . فثار حزب آريوس حتى اضطر الملك (قسطنطين الكبير) أن يستعمل القوة لتهدئتهم ثم فنّد المجمع كفر آريوس بالبراهين الكتابيةالقاطعة ونصوص الآباء الاولين ، واليك البراهين الكتابية التي استشهد بها آريوس لدعم رأيه :
١ ـ : « الرب خلقني أول خلائقه » (أمثال ٨ : ٢٢) ٢ ـ « أبي أعظم مني » (يو ١٤ : ٢٨) ٣ ـ « دُفع الي كل سلطان في السماء وعلى الارض » (متى ٢٨ : ١٨) ٤ ـ « وأما ذلك اليوم وتلكالساعة فلا يعرفهما أحد ولا ملائكة السماء بل الآب وحده » (مر ٣٢:١٣) ٥ ـ « لا أطلب مشيئتي بل مشيئة من ارسلني» (يو٥ : ٣٠) ٦ ـ « كل شيء به كان =

الأمل ، لنا في ما تطالعنا به ، كل يوم ، الصحافة اللبنانية ، لا سيما منها « السفير » و « النهار » و « الشرق » و « اللواء » و « الشراع » و « الكفاح العربي » من مقالات وأبحاث ودراسات وقصائد ، ما يحزننا حتى الموت ! !

كيف تحولت الأقلام الوطنية والقومية والتقدمية إلى مذهبية وطائفية ؟

الجواب عن هذا السؤال نأخذه لا من الحصري ولا مما

= وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ٣) فاستنتج (آريوس) منها أن الابن مخلوق ، وأصغر من الآب ، وسلطانه منبثق منه ، وليس إلهاً والا لعرف وقت الدينونة ، وهو عبد للآب ، بل آلة بيده لعمل الخلائق ، وبالتالي ليس مساويا له في الجوهر . فانبرى الشماس أثناسيوس وفنّدها واحدة فواحدة مؤيدا ألوهة الابن ومساواته للآب في الجوهر . وكان هذا قويم الراي فصيح اللسان ، وقد حضر جلسات المجمع بالنيابة عن رئيسه الشيخ الجليل مار الكسندروس بابا الاسكندرية . قيل ، لما حمي وطيس الجدال بين المجمع والفلاسفة تقدم القديس اسبيريدون الشيخ الورع وقال لهم : « ان المسيح ورسله لم يسلّموا صناعة المنطق بل ايمانا بسيطا يُدعم بالاعمال الحسنة » فأفحمهم وسكتوا » (ص ٢٠٢ / ٢٠٣) .

كتبنا ونشرنا ، منذ مطلع الحرب وإلى الآن ، بل من ورقتك السادسة حيث تقول : « ومؤكد لو انه كانت أحزاب العمل الوطني أكثر عافية ، وأقوى نفوذاً ، وأوضح رؤية لحركة الصراع السياسي ومقتضياته وأعظم استعداداً وتنظيماً لما كان المجال انفتح فسيحاً أمام حركات تمثل الطوائف والمذاهب » (١٩٨٥/٧/١) .

أما كان عليك أن تفتش عن « حسنات » أصحاب أحزاب « العمل الوطني » قبل التفتيش عن « عيوب » الحكم الذي لم يمضِ عليه أكثر من ثلاث سنوات مع الرئاسة ؟ !

أأحزاب أم « دكاكين » ؟

أي من « الوطنيين » لم يأكل من معجن شركة « قمْ لأجلس مكانك » ؟

على أن هذا لا يعني أن الحكم ، الذي عرّيته حتى من « ورقة التوت » مثلما قلنا ، هو بريء مطلقاً ، ولعلّ « عيبه » الأكبر كونه مسيحياً ، في عالم لا يعطي غير المسلم الحق في المُلْك أو الحكم ، مما جعله هدفاً لكل من نازعتْه شهوة الحكم والصِلّة ، مسيحياً كان أم مسلماً .

لقد قرأتُ الثلاثية التي كتبها الأستاذ باسم السبع ، تحت

عنوان « الفظائع »[149] ، فأعجبتُ بدقة ملاحظات الكاتب ونظرته العميقة والثاقبة إلى القضايا الجيدة والرديئة ، فسألت نفسي : أهكذا تمضي الأحلام ؟ ولما جاء رد « اتحاد الشعب العامل »[150] عليه ، قلت : لقد اجتاح أحزابَ لبنان بؤس شديد رهيب ، ولربما انقرضت هذه الأحزاب ، أو تلاشت ، أو هي ذابت في المذاهب وانتهت أبداً .

ثم إني تألمت حين طالعت مقالة الأستاذ شوقي خيرالله « الأزمة أمراض طفولة متأخرة وأمراض شيخوخة مبكرة » إذ يقول :

« الأزمة التي تفجرت مؤخراً في الحزب (السوري القومي الاجتماعي) لا تهم الحزب وحده ولا الأعضاء ولا أصدقاء الحزب فحسب . ولكني أعتبر الحزب ملْكاً للأمة التي طالما عمل لنهضتها ، وملكاً للعروبة التي يعمل على تجديدها وإعادة صياغتها ، ولإعطائها الثقل الواقعي والوزن الحقيقي ، فالحزب ليس شأناً سرياً مكتوماً ولا عقيدته ملكه وحده ، فالأعضاء والحزب والعقيدة والحركة والنهضة والمناقب القومية ، والمنهجية الفكرية ، المذهب القومي الاجتماعي ، ملْك للأمة وللعروبة وللإنسانية » .

---

(١٤٩) انظر حاشية ٢١ .
(١٥٠) السفير : ٣٠ حزيران ١٩٨٥ .

ويقول أيضاً :

« الأزمة التي تعرّض لها الحزب ولا يزال ، والتي ذهب ضحيتها أحد أنبل الوجوه الحزبية المرحوم الشهيد محمد سليم (شيعي جنوبي من الصرفند ـــ قضاء الزهراني) ليست أزمة طارئة بل هي أزمة أمراض الطفولة المتأخرة وأعراض الشيخوخة المبكرة في الحزب المتجمد . وتعود جذورها إلى الفترة التي تلت مباشرة استشهاد الزعيم (أنطون سعادة) ، فهي إذن أزمة العقيدة في الحزب ، وأزمة المؤسسات ، وأزمة الهيكلية الدستورية ، وأزمة قيادة ، وأزمة سياسية »[151] .

إن هذه هي حالة الأحزاب اللبنانية ، اليمينية واليسارية ، كافة . وليست المنظمات الفلسطينية أقل سوءاً مما هو عليه الحزب السوري القومي الاجتماعي وغيره ، ولكن من الذي يجرؤ على رفع صوته وممارسة النقد الذاتي ، كما فعـــل شوقي خير الله ؟ حتى إن الرباعية ، أو كما أخرجتها « السفير » ، التي كتبها نائب الأمين العام لـ « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » السيد « أبو علي » مصطفى ، رداً على سباعيتكم[152] ، مع ما فيها من نقد ونقد ذاتي ، هي أيضاً من الأعمال الأدبية ،

---

(١٥١) النهار العربي والدولي : العدد ٤٢٦ / تموز ١٩٨٥ ص ٢٤ .
(١٥٢) انظر حاشية ٢٥ .

أو السياسية،التي تصدر عن الذين ينظرون إلى الأمور بعين واحدة (One sided eye) .

قلنا إن « حرب المسجدين » أفزعت الأحزاب القومية والوطنية والتقدمية ، فلهذا السبب اجتهد « القوميون » و « الشيوعيون »، في رفع الكوابيس عنهم، فراحوا «يصنعون» الاستشهاد القومي والوطني ، ليقولوا : « نحن هنا » . وصرنا من قت إلى آخر ، نشهد عبر شاشة التلفزيون شاباً قومياً أو شيوعياً ، وأحياناً فتاة قومية أو شيوعية ، في اللحظة الأخيرة التي تسبق الانطلاق نحو قوات الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب ، لتنفيذ عملية انتحارية بواسطة سيارة مفخخة ، أ بغل مفخخ — كما فعل الشيوعي جمال الساطي — تستهدف دورية إسرائيلية ، أو تجمعاً إسرائيلياً ، أو جنوداً من « جيش لبنان الجنوبي » الذي أسسه المرحوم الرائد سعد حداد ، ويقوده اليوم العقيد أنطوان لحد . ومن خلال التلفزيون يوجه الشهيد أو الشهيدة رسالة إلى الأهل والرفقاء والشعب ، غالباً ما تكون قد أعدت بهدوء وإتقان تامين تقريباً ، لغتها النارية لا تخلو من العاطفة ، وإن أبرزت صناعة تشجعنا على القول بأنها ليست من عند الشهيد ، بل جاءته من « المدرب » أو « المشرف » أو « المعلم » ، الذي يحاول أن يوهمنا بأن البطل الذي يودعنا اليوم إنما هو « عريس الوطن » و « عريس السماء » و « عريس الحق » و « عريس الحرية » ، وانه

ذاهب لملاقاة ربه ليستغفره ذنوبنا وخطايانا وعيوبنا وانكساراتنا ، ولا بد أن الله سميع مجيب ! !

قالت شهيدة القوميين ابتسام حرب (درزية) :

« إن على الأمم التي تعاني من استعمار وحشي كالاحتلال اليهودي أن تمارس البطولة والصراع ، والشهادة هي البطولة المطلقة » (١٥٣) .

وعن شعورها وهي تستعد للانطلاق العملية قالت: «عندما فكرتُ بعمل يعطي للمرء معنى ولقضيتي انتصاراً ولوطني تحريراً لم أرَ سوى الاستشهاد وهو كان اختياري الأوحد ، ويخالجني شعور بأني سأقوم بعمل يعيد لشعبي حريته » (١٥٤) .

ورجهت ابتسام تحية إلى « الرئيس حافظ الأسد وجيشه القومي الباسل » وشكرته « لتكريمه شهداء المقاومة اللبنانية ودعم مسيرة النضال » وطالبته « بإسقاط كل المشاريع التقسيمية بكل مظاهرها ليصبح هذا الوطن (السوري) موحداً » (١٥٥) .

---

(١٥٣) السفير : ١٩٨٥/٧/١٠ .
(١٥٤) المصدر نفسه .
(١٥٥) المصدر نفسه .

وقال شهيد قومي آخر هو خالد الأزرق (سنّي من حلب) :

« إنني أؤمن بهذه الأرض وبتحريرها من رجس الأعداء اليهود . ولا فرق بين لبنان والشام (سوريا) كما أنني مؤمن بقطع كل يد تمتد إلى لبنان ، لبنان أرضي كما الشام كما فلسطين » (١٥٦) .

وقال أيضاً :

« إن الانعزالية في كل مكان في الوطن هي رمز التعامل مع العدو . ففي الشام حاول « الإخوان المسلمون » إشغال الجيش القومي عن مهماته في التحرير . كما حاولوا إرباك الشعب وبذر الطائفية بمؤامرة مدبّرة مرتبطة بالعدو الإسرائيلي . وفي لبنان تعامل الكتائب مع العدو اليهودي إلى أن أفشلت القوى الوطنية بدعم من العمق القومي المؤامرة بإسقاط اتفاق ١٧ أيار » (١٥٧) .

أما شهيد الشيوعيين جمال الساطي فقال :

« وبقدْر ما كانت فرحتي عظيمة حين أجبر العدو الإسرائيلي على الانسحاب من المنطقة تحت ضربات جبهة

---

(١٥٦) المصدر نفسه .
(١٥٧) المصدر نفسه .

المقاومة ، كانت فرحتي أعظم عندما وافقت قيادةُ الجبهة على استمراري في العمل ضمن مجموعاتها ، وعندها توجت فرحتي بقرار هذه العملية الاستشهادية ، متمثلاً بشهيدنا الكبير فرج الله الحلو وملتحقاً بشهداء الجبهة الأبطال الذين اختاروا أشرف ما في الموت » (١٥٨) .

وخاطب جمال الساطي أباه وأمه « أجمل أب وأم على رجه الأرض » وإخوته وأخواته قائلاً :

« وصيتي لكم أن لا تبكوني ، ولا تحزنوا عليّ ولا تنوحوا علي بل ارقصوا لي كأني في عرْس ، فأنا اليوم عريسُ الشهادة ، وهل هناك أجمل من هذا العرْس (. . .) وكما قال المناضل والمثال غيفارا : لا يهمني متى وكيف وأين سأموت ، بل كل ما يهمني هو أن تبقى الثورة مشتعلةً في كل أنحاء الأرض كي لا ينام العالم بكل ثقله فوق أجساد الفقراء » (١٥٩) .

يستند « المعلّمون » ، صانعو هذا « الاستشهاد—الانتحار » إلى « اعترافات » من قياديين إسرائيليين أشادوا بهجمات « المقاومة اللبنانية » ، وإلى تقارير صحافية وضعها مراسلو الوكالات العالمية للأنباء والصحف والمجلات الغربية ، ويكفي

---

(١٥٨) المصدر نفسه .
(١٥٩) المصدر نفسه .

أن يقول وزير الدفاع الإسرائيلي إسحاق رابين « إن المكامن والهجمات الانتحارية التي ابتُليت بها القوات الإسرائيلية منذ سنة ونصف سنة التي حظيت بمساندة أكثرية السكان تأييدهم ، هي من أبشع أنواع الحروب وأقساها » (١٦٠) ، انُصدِّق ما يدّعيه آباء المقاومة وأساتذتها وشعراؤها الذين أينما ذهبوا ذهبت منابرهم معهم .

نعم . ولقد قال إسحاق رابين أيضاً « لا خطّ فاصلاً واضحاً بين القوة المقاتلة والسكان (...) وأنت لا تعرف إذا كانت فتاة تقود سيارة في اتجاه حاجز هي مجرد فتاة عادية أم مهاجم انتحاري . أنت لا تعرف إذا كان مدني يسير بمفرده على طريق هو مجرد مدني (...) ولهذا السبب ، لا شك لي أن الكثير من القادة والجنود يعودون من الحرب في لبنان بجروح داخلية » (١٦١) ، ولكن هلاّ سألنا أنفسنا : ماذا فعلت إسرائيل فينا ؟

لعلّ إسرائيل ترفض البقاء في الجنوب ، أو هي تؤيد الانسحاب من هناك ، إنما الغاية التي تعمل إسرائيل لأجلها هي أن تتركنا « قبائل » و « عشائر » و « حمائل » و « فرقاً » تتنازع في كل شيء غال ورخيص . فعندما سئل المنسّق

(١٦٠) النهار : ١٩٨٥/٥/١١ .
(١٦١) المصدر نفسه .

الإسرائيلي لشؤون لبنان السيد أوري لوبراني : بالنسبة إلى المستقبل وبعد أن ننسحب ، أي لبنان سنترك ؟ وما الذي حصل هناك ؟ أجاب قائلاً :

«أقول ان لبنان سيكون ممزّقاً بصورة أساسية ومبدئية ، وميزان القوى في داخله ، لا يعكس صورة الأجهزة السياسية ، ولتوضيح ذلك أقول ان لبنان اليوم والإدارة اللبنانية ، ترتكز على أساس : افتراضات صحّت أم لم تصح ، وأجد صعوبة في ذلك ، هذه الافتراضات جرى تبنّيها في العام ١٩٤٣ واليوم لا يمكن لميزان القوى بأي حال من الأحوال أن يعكس ما تمّ تحديده آنذاك أنه جهاز للسلطة (...) » (١٦٢) .

إذن ، مهما اجتهد القوميون والشيوعيون في « الأعمال الوطنية والقومية » ، فإن المذهبية هي المرجع الأول والأخير للشهداء جميعاً ، وهي التي ترفض هذا « الاجتهاد » أو تقبله ، وليس لأحد ، أياً كان ، أن يعارضها أو يخالف مقرراتها ، وقد التفّت على القياديين والأعضاء والأصدقاء فخنقتهم

(١٦٢) انظر « دروس من الغزو في حوار مع لوبراني/لبنان الدولة الاخيرة في المنطقة » حديث اجراه معه اسحق غولان ، في برنامج « مناقشة » الذي تعدّه اذاعة اسرائيل ، في ١٩٨٥/٤/٢١ ، وقد ترجمته «السفير» ١٩٨٥/٥/١٦ ص ٣ .

وأقعدتهم عن « نضالاتهم » ومنعتهم من أن يتزينوا ويتكبروا، وفرضت عليهم « الشروط العُمَرية » فنزل على المهرجانات الوطنية والشعبية ليلٌ دامسٌ لا يبدو له آخر.

ففي طرابلس قال أمير « حركة التوحيد الإسلامي » الشيخ سعيد شعبان :

« ... فكل الأحزاب التي تشكلت في بلادنا تُعتبر عملاً آثماً. لأن الإسلام يحرّم التفرق والتشتت لكن الاستعمار أغرانا بتشكيل أحزابنا من أجل أن يفوز، ذلك أن جميع الأحزاب مختلَقة وجميعها يدين بالولاء لآلهة متعددة، فالآلهة قد تكون أصناماً وقد تكون رجالاً أو مظاهر طبيعية. لذلك فإن الأحزاب هي تجمعات فكرية تناهض الإسلام في بلادنا، ومن أجل هذا فإن إسرائيل التي لا تعدّ إلاّ عدداً قليلاً بالنسبة للعرب والمسلمين استطاعت أن تقيم لها دولة على أرض أمة متفرقة إلى دويلات وأحزاب وهذا كلّه محرّم في الإسلام »[163].

وفي صُور قال عضو المكتب السياسي لحركة « أمل » السيد داود داود :

« إنني أتحدى كل الأحزاب والتنظيمات وأقول بصراحة ،

(١٦٣) السفير : ١٦/٥/١٩٨٥ .

الذي عنده قحط بالشهداء لأنه خارج المقاومة، أصبح يتبنّى العمليات، وهناك من انتحر نتيجة عاهات نفسية مثل أحمد يونس من الصرفند. واليوم نرى صوره تملأ الجدران باسم شهداء المقاومة الوطنية، كذلك محمد مونّس وهو أحد العملاء كان يقوم بتحضير عبوة لصالح المخابرات الإسرائيلية، ونتيجة خطأ انفجرت العبوة فيه فأصبح بطلاً ونُسب إلى لائحة شهداء المقاومة الوطنية »[164].

وقال داود أيضاً :

« نحن كنا ننام في المغاور بينما كانت عناصر الأحزاب (...) تلهو بلعب الورق في المقاهي ومنهم الآن من هو بيننا، فنحن نتحداهم أن يثبتوا عكس ذلك » كما « إن هناك أشخاصاً من مخيم القاسمية كانوا بلباس إسرائيلي ويحملون السلاح الإسرائيلي كانوا يهاجمون بلدة برج رحال (حيث يقيم داود داود) هم أنفسهم كانوا يتهمون أهالي برج رحال بأنهم عملاء لإسرائيل »[165].

وليس الشيخ سعيد شعبان على وفاق مع حركة « أمل » في الجنوب، برغم موقفهما الواحد من الأحزاب، مما

(١٦٤) السفير : ١٨/٥/١٩٨٥ .
(١٦٥) المصدر نفسه .

يعني أن أوري لوبراني لم يجانب الحقيقة . وإذ قال المسؤول السياسي لحركة « أمل » في الجنوب السيد محمود فقيه : « إن الإجراءات الأمنية التي اتخذناها لضبط الوضع ومنع الفلتان وتعددية السلاح وفوضى التنقل ، إنما هي لصون إنجازات المقاومة وتوفير مقومات تكفل إحراز التحرر الكامل » (١٦٦) و « إن الأصوات التي ترتفع احتجاجاً على تدابير حركة « أمل » ليس لها إلاّ هدف (واحد) هو التشويش وتشويه جهاد المقاومين » (١٦٧). وتساءل « هل المطلوب أن يتحول الجنوب ساحة عراك داخلي يتقاتل فيهـا الإخوة كما في طرابلس ، أو منطقة يسودها الفلتان مثل بيروت الغربية ، ثم تخترقها القوى المشبوهة ؟ وهل مطلوب منا حتى نكون أبناء الإسلام والوطنية أن نجعل أرضنا مكاناً لحروب الآخرين ولتعديل التوازنات المحلية والإقليمية والدولية ؟ » (١٦٨) ، أجابه الشيخ سعيد شعبان في اليوم الثاني قائلاً : « إن كل إنسان يريد انتزاع سلاحي يُعتبر معتدياً عليّ لأنه يريد أن يمهّد لقتلي وللإجهاز عليّ ومصادرة حريتي ومصادرة أموالي » (١٦٩).

وقال شعبان أيضاً : « ...على المسلمين وعلى الراعي في كل

---

(١٦٦) النهار : ١٩٨٥/٥/١٧ .
(١٦٧) المصدر نفسه .
(١٦٨) المصدر نفسه .
(١٦٩) السفير ١٩٨٥/٥/١٨ .

دولة أن يدرّب الشعب كله ، يجب أن نعتبر كل الشعب جيشاً واحداً ، إذ ليس في الإسلام جيش نظامي وجيش للأكل والشرب فقط بل للدفاع عن البلاد وعن الأعراض وهو واجب جميع المواطنين رجالاً ونساء عندما لا تكفي الرجال لأن الدفاع عن الدين والأولاد هو واجب الجميع ، وليس من حق أحد أن يمنعنا من الدفاع عن ديننا وحريتنـا وأموالنا . وبهذا الاعتبار أقول نحن لن نخرج عن حياتنا إلاّ بتطبيق شريعة الله تعالى (؟) . لقد حدد الله تعالى ان الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة ، لذلك لا يجوز أن يُنتزع السلاح من أي إنسان ، إلاّ من يد أسير ، حتّى العدو لا يُنتزع سلاحه بعد أن يُهزم ، ذلك لأن الدفاع عن النفس حق للمؤمن والكافر ، حق للجميع للإنسان والحيوان . ومن هذا المنطق نعتبر الجنوب هو المعبر لفلسطين ، ويجب ألاّ يُغلق هذا المعبر » (١٧٠) .

إذ ذاك ردّ عليه السيد داود داود فقال :

« يعتقد الشيخ شعبان أن هناك اتفاقاً حصل في الجنوب وأدى إلى انسحاب إسرائيل . هذا الكلام للشيخ شعبان وهو في إمارته يتحدث عن اتفاق لكنه لم يوضح مع من . نقول له ليبرز هذا الاتفاق ويكشفه . إننا نتحدى إسرائيل ومخابراتها

---

(١٧٠) المصدر نفسه .

وورزير دفاعها موشي أرينز أن يعلنوا أو يكشفوا أن هناك اتفاقاً مع أي عنصر من حركة « أمل » »[١٧١] .

وقال داود متسائلاً :

« من قال ان « أمل » تمنع المقاومة الفلسطينية وتسحب السلاح منها حتى تحارب إسرائيل ؟ فنحن نتحدى أي شخص جاء إلى الجنوب ليقوم بعملية ضد الاحتلال ومنعناه ، وهناك رسائل وأشخاص وصلت إلينا والرسائل بحوزتي والأشخاص موجودون عندنا ، أعطيناهم السلاح وأرشدناهم إلى الطريق الذي يؤدي إلى مقاتلة إسرائيل »[١٧٢] .

وقال أيضاً :

« . . . لكننا سحبْنا سلاح « الشبّيحة » . نعم سحبْنا السلاح المدفون تحت التراب خوفاً من أن يعود « الشبيحة » للتسليح . ونؤكد بأننا سنقطع اليد التي تمتد إلى سلاح المقاومة التي تريد أن تقاتل إسرائيل ، وإذا كان الشيخ شعبان تصله معلومات مغلوطة فإنني أتوجه إليه وأدعوه بأن يأتي إلى الجنوب ونحن على استعداد نوصله إلى الطريق الصحيح حتى يقاتل

(١٧١) المصدر نفسه .
(١٧٢) المصدر نفسه .

إسرائيل ، إذا كان هو مسلماً ، فالمسلم لا يتّهِم ، فإذا كان مسلماً ويريد الإسلام فليس هكذا يكون الإسلام »[١٧٣] .

طبعاً ، إن شعباناً لم يأتِ ولن يأتي إلى الجنوب . فهو مُسْلِم طرابلس وداود مُسْلِم صور . وليس إسلام المدينتين واحداً بكل تأكيد . الإسلامات كثيرة كثيرة ، والمسلمون بعضهم يتهم بعضاً بالمروق من « الدين الحنيف » ؟ !

وكما في الجنوب والشمال كذلك في العاصمة بيروت ، حيث لن ينفع أبداً قول نائب رئيس الحزب السوري القومي ، عميد الدفاع في الحزب ، الدكتور عبد الله سعادة : « ... وحزبنا درج منذ تأسيسه على القيم النفسية انطلاقاً من مبادئه ومن قدرة مؤسسه الذي قال : « عندما أستشهد إني أموت أما حزبي فباق » والذي أكد مقولة « إن الحياة كلها وقفة عز فقط وظاهرة الاستشهاد الطوعي لخدمة قضية الأمة هي أرقى وقفات العز التي تستهوي رفقاءنا ويتوافدون باستمرار بأعداد كبيرة يطالبون بتحقيق هذه الأمنية »[١٧٤]، فالمذهبية تعرف ، لا شك ، أنطون سعادة تماماً وتدرك خطره عليها أيما إدراك .

وإذ رأى « الطالبيون » ، الذين تحاول الحركات السنّية

(١٧٣) المصدر نفسه .
(١٧٤) السفير : ١٩٨٥/٧/٢٢ .

المسلّحة إخراجهم من بيروت ، ان الاستشهاد القومي والوطني يتصاعد ، يوماً بعد يوم ، والشهيد يتلوه شهيد ، أطفأوا المشاعل المرفوعة على القبور ، وأتلفوا الأكاليل ، وأنزلوا الأشرعة ما عدا « الحسينية » منها ، فانكفأ المولّدون بحيث انفضح الأفق ، وعُرف « سر الليل » . عندئذ اعتقدنا أن وجدي الصايغ وسناء محيدلي ومالك وهبي ووفاء نور الدين ولا لا عبود وابتسام حرب وخالد الأزرق وهشام عباس وعلي غازي وجمال الساطي هم إما « طالبيون » وإما «مسلمون متشددون » (شعبانيون) ، وكدنا ننسى ، أو نحن نسينا أن هؤلاء قد دفعهم « معلّموهم » إلى الانتحار ليشتروا لهم بأجسادهم « صكوك الغفران » التي طالما تهالكوا في تحصيلها، وليدّعوا إسرائيل إلى قصف مراكزهم ومكاتبهم قصفاً يكرّسهم « شركاء » في « المقاومة الإسلامية » رفي المآسي والنكبات ، مثلما هم « شركاء » في شركة « قمْ لأجلس مكانك » ؟ !

رابعاً : قصيدة قومية – كربلائية

في قصيدة الشاعر السوري القومي الاجتماعي محمد يوسف حمّود (سنّي من بيروت) : «وليشمخْ النداء إن قيل يا

سناء » (١٧٥) ، غير علامة على اليأس والبؤس اللذين يشغلان السوريين القوميين وسواهم من أبناء « الصف الواحد » ؟

يقول الشاعر حمّود :

« باسم الحسين بن علي

باسم انبلاج الله في وجه الشهادة

تحية يا محيدلي

وباسم صوت سعادة (١٧٦)

تحية الفداء

عليك يا سناء »

ويقول :

« تحية من كربلاء

والرملة البيضاء في شط الجناح (١٧٧)

فيها أذان الحيعلى (١٧٨)

(١٧٥) النهار العربي والدولي : العدد ٤٢٤ /٢٤ حزيران ١٩٨٥ ص ٤٨/٤٩ .

(١٧٦) انطون سعادة .

(١٧٧) حيث استشهد سعادة في بيروت .

(١٧٨) حيّ على ...

فيها هتافات الجراح

وآهة الدماء

إليكِ يا سناء » ! [١٧٩] .

إني أرى هذه القصيدة واحدة من حقائقنا المريضة والملتهبة وإليك البرهان .

جاء في كتاب « الإمام الصادق والمذاهب الأربعة » لمؤلفه السيد أسد حيدر [١٨٠] ما يلي :

« روى الشيخ عبد الرحمن النقشبندي (الصحيح : خالد النقشبندي) [١٨١] عن الشافعي (الإمام) أنه قال بوجوب الصلاة على الآل في التشهد الأخير وروى له قوله :

---

(١٧٩) النهار العربي والدولي : نفسه .

(١٨٠) ثلاثة أجزاء ، دار الكتاب العربي — بيروت ، طبعة ثانية ١٩٦٩ م — ١٣٩٠ هـ .

(١٨١) النقشبندي (١١٩٠ — ١٢٤٢ هـ = ١٧٧٦—١٨٢٧م): خالد بن أحمد بن حسين ، أبو البهاء ، ضياء الدين النقشبندي المجددي : صوفي فاضل . ولد في قصبة قره طاغ (من بلاد شهرزور) والمشهور أنه من ذرية **عثمان بن عفان** . وهاجر الى بغداد في صباه ، ورحل الى الشام في أيام داود باشا (والي العراق) وتوفي =

« يا آل بيت رسول الله حبكم

فرضٌ من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم

من لم يصلّ عليكم لا صلاة له »

و « عن أبي سعيد الخدري [١٨٢] عن النبي (ص) قال : إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض (؟) وعترتي أهل بيتي ، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروني

= في دمشق بالطاعون . من كتبه « شرح مقامات الحريري » لم يتمه ، و « شرح العقائد العضدية » ورسالة في « اثبات مسألة الارادة الجزئية » واسمها « العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والاشعري » و « جلاء الاكدار » الخ . الخ .

الاعلام — المجلد الثاني ص ٢٩٤

(١٨٢) أبو سعيد الخدري (١٠ ق هـ — ٧٤ هـ = ٦١٣ — ٦٩٣م): سعد بن مالك بن سنان الخدري الانصاري الخزرجي ، أبو سعيد : صحابي ، كان من ملازمي النبي (ص) وروى عنه أحاديث كثيرة . غزا اثنتي عشرة غزوة ، وله ١١٧٠ حديثا ، توفي في المدينة .

الاعلام — المجلد الثالث ص ٨٧

بما تخلفوني فيهما » (١٨٣) .

« وقال الإمام كاشف الغطاء (١٨٤) : « فالإمامة منصب إلهي كالنبوة ، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة فكذلك يختار للإمامة من يشاء ، ويأمر نبيّه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها ، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي ، وإنما يتلقى الأحكام منه مع تسديد إلهي ، فالنبي مبلغ عن الله والإمام مبلغ عن النبي ، والإمامة متسلسلة في اثني عشر ، كل سابق ينص على اللاحق وهو معصوم - كالنبي - عن الخطأ والخطيئة ، وإلاّ لزالت الثقة (١٨٥) » (؟) .

لا أعتقد أن هذا الكلام سوف يكون غريباً عن شمسطار ، وكل بعلبك ، وان بدا غريباً عن الشاعر حمّود وسائر القوميين .

---

(١٨٣) مسند أحمد ، ج ٢ ص ١٧ - ٢٦ ، ذكره أسد حيدر ، المصدر نفسه ، الجزء الاول ، ص ٩٦ .

(١٨٤) هو محمد حسين كاشف الغطاء (١٨٨٧ - ١٩٥٤) : فقيه شيعي ، شاعر وكاتب ، ولد بالنجف (العراق) ودرس فيها . له « أصل الشيعة وأصولها » و« الدين والاسلام » .

(١٨٥) أصل الشيعة وأصولها ص ١٠٢ ، ذكره أسد حيدر ، المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

أين هي « مسلّمة » محمد يوسف حمود ، القومي ، من « مسلّمة » الشافعي وكاشف الغطاء وكل الشيعة ؟

لا بد أن تكون الشهادة في سبيل الرسول وأهل بيته ، أي في سبيل النبوة والإمامة ، وليس مصرع القوميين أو الشيوعيين مثل مصرع « الطالبيين » ، ولن يغفر « حزب الله » ، الذي صار قوة مؤثرة في لبنان ، هذه « الغلطة » أو « الهفوة » التي اقترفها الشاعر حمود ، في قصيدته القومية الكربلائية ! كذلك « المجاهدون » و « الإخوان المسلمون » و « المسلمون المتشددون » ، فهؤلاء جميعهم ، كما قال الشافعي ، ممن يرون حب آل بيت محمد « فرضاً من الله أُنزل في القرآن » ، وشتان بين حب يفرضه الله وحب يرجوه أنطون سعادة وفرج الله الحلو وغيفارا . حتى الشهداء أنفسهم الذين سقطوا على طريق القدس والجنوب ، لن يقبلهم الله وقد اتخذ بعضهم أنطون سعادة « سيداً للشهداء » ، واتخذ البعض الآخر فرج الله الحلو (شيوعي من حصرايل - جبيل) كذلك ، فيما الحسين وحده « سيد شباب الجنة » بل « سيد أهل الجنة » جميعاً .

ولسوف تُلغى القصائد والأحاديث والبيانات القومية من دفاتر « المقاومة الإسلامية » بأمر من أولئك القائلين : « لا حرية إلاّ حرية الإسلام » و « لا وحدة إلاّ الوحدة

الإسلامية » ، ومنهم الشيخ محمد مهدي شمس الدين القائل :
«نعتبر أن الوحدة الإسلامية هي الأساس في وحدة لبنان»(؟!)
يُذكر أن الشيخ قالها في منزله في حارة حريك أمام زواره
الذين منهم : السيد مصطفى عز الدين ، من الحزب السوري
القومي الاجتماعي ، والدكتور علي الحسن ، ووفد من
« شباب الطريق الجديدة » برئاسة السيد رفعت بدوي [١٨٦] .

أية قيمة « إسلامية » لقصيدة الشاعر حمود ، وفي كل
يوم يردد الملايين من هذا العالم (الإسلامي) : « كنتم خير أمة
أخرجت للناس »(؟) و « لا شهيد إلاّ الشهيد المؤمن » (؟ !)

وأي مكان للشعر القومي ، وفي كل يوم يصيح ، من
مساجد طرابلس وبيروت وصيدا وصور وبعلبك ، أمراء شوارع ،
وشيوخ ، « علماء »(؟) ، فيزرعون الرعب في الطرقات والحقول
والبيوت والمكاتب والمشاغل والمؤسسات وكل مكان .

كلما اضطرمت نار الفتنة بين أنصار علي وأنصار معاوية ،
تدْخل الأفكار العظيمة والبنّاءة في علب مسحورة ، وتتعاظم
بلايانا ورزايانا حتى ينتحر ما بقي من رجائنا الصالح .

فإذا كان « التقدمي الاشتراكي » حزباً وطنياً وقومياً

---

(١٨٦) النهار : ١٩٨٥/٦/٣٠ .

عربياً ، فلماذا احتل الشيخ سعيد شعبان ، أمير « حركة التوحيد
الإسلامي » ، مكتب هذا الحزب في طرابلس ؟ « ما بقي
عنا حزب في طرابلس ، خلي ينبسط الشيخ سعيد بالتجربة
الرائدة التي عنده » ، قالها الوزير جنبلاط لموفق مدني [١٨٧] ؟!
ولماذا الحزب نفسه « متواضع » في بيروت و « غير موجود
في صيدا » ؟ ! [١٨٨]

وإذا كان القوميون (السوريون) والشيوعيون من
المجاهدين في سبيل العروبة والقومية العربية ، فلماذا تطاردهم
المذهبية في الشمال وبيروت والجنوب ، وحتى في الشوف ؟ !

لا تظنن أن جورج حاوي وعصام المحايري وكريم مروة
ومحسن إبراهيم ومروان فارس وعبد الله سعادة لم يتحسسوا
هذه الحالة المأساوية ، وإنما هي الأحداث التي جرت بما لا
يشتهون ، فأسقطَتْ من أيديهم الأزمّة وباتوا من القاعدين
أو المستنكفين أو المنتظرين ، ولن تكون النهاية سعيدة على
كل حال .

والثابت أن هذه المعانيات آخذة في التوسع الانتشار
لتشمل غير بلد عربي . فالأدوات موجودة ومكثفة ، هنا

---

(١٨٧) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .
(١٨٨) المصدر نفسه .

هناك وهنالك . فهي في الأردن والعراق والخليج وسوريا ومصر وليبيا والسودان وبلاد المغرب العربي ، وفي أجسام كثيرة مختلفة ومتعددة ، اتخذت مقرات لها في الغرب والشرق لكي تتحرك بطلاقة أكثر ، ولكي تظل في منأى عن الأعين التي ما زالت تتطلع إلى غد مشرق عزيز .

خامساً : أنا خائف على سوريا الأسد

لا أدّعي أنني قد عرّفتُ بكل حقائقنا المريضة والملتهبة . ولكني أستطيع القول بأن ما تقدم هو من أبرز تلك « الحقائق » ، فهل نحن ساعون إلى إنقاذ مجتمعاتنا منها ، أم إن ما كُتب قد كُتب ؟

يبقى أن أذكر حقيقة خامسة ، وهي ، في رأيي ، أكثر « الحقائق » خطراً وأشدّها التهاباً : إني خائف على سوريا الأسد ، اليوم أكثر من قبل . سوريا ، التي بيدها أوراق غير قليلة ، حُسّادُها كُثُر ، والحاقدون عليها أكثر فأكثر .

إن هؤلاء وأولئك يعتبرون الأسد « علوياً » و « انعزالياً » و « باطنيـاً » و « سفّاحاً » ، ويقـولون « إنـه سوفياتي يلاعب الأمريكيين ، وأمريكي يخدع السوفييت » . وقد يكون الرئيس الفرنسي السيد فرنسوا ميتران الزعيم الوحيد الذي استطاع أن يقبض على سر هذه الشخصية ، حينما قال ،

عقب عودته من دمشق ، لمسؤول عربي : « إن الرئيس السوري ليس سوفياتياً وليس أمريكياً . انه أسدي »[١٨٩] فحسب .

مرة أخرى نقول : إن سوريا هي حاجة عربية ... ولبنان أيضاً حاجة عربية .

أي لبنان ؟

لقد رسم الرئيس الشيخ أمين الجميل صورة لبنان وشعبه فقال :

« إن الشعب اللبناني رفض الصيغ المعلّبة ورفض ما يُدَبَّر له في الخارج ، ليفكر هو بمستقبله وليثبت هو دوره ويثبت كلمته ، ويثبت المعاني التي من أجلها قام لبنان ومن خلالها يستمر ، ألا وهي الحرية والاستقلال والطمأنينة لشعبه ونحن لسنا في صدد إنشاء وطن ، بل إحياء وطن له ماضيه وتراثه وتجربته الإنسانية »[١٩٠] .

هل بلغتك هذه الصورة ؟

---

(١٨٩) عماد الدين اديب : المجلة ، المصدر المذكور سابقا ، ص ١٠ .

(١٩٠) من كلمة للرئيس الجميل في لقاء له مساء السبت ١٩٨٥/٨/٣ مع عدد من المثقفين والفنانين ، صحف الاثنين ١٩٨٥/٨/٥ .

ويأبى الوزيران بري ـ جنبلاط ، أو جنبلاط وبري ، إلاّ تغيير النظام اللبناني ، وقد تناثرت الحروب ، على هذا الوطن ، كما رأينا، حتى أوشكت أن تجرفه مثلما جُرفت أو احتلّت بيوت المسيحيين ومنازلهم وكنائسهم وأديارهم وقراهم في المناطــق « الرطنية » و « التقدمية » « المحررة » ؟ !

قد تقول ، أو لعلك قلت : إن السيد وليد جنبلاط هو تغييري ، ومثله السيد نبيه بري .

إن هذا هو رأيك، ولا يسعني إلاّ أن احترمه وأقدره ، كما لا يمكنني إلاّ معالجته والرد عليه ، بالحرية عينها التي عندك ، أو التي أُعطيت .

« المُعارض » الوزير وليد جنبلاط ، أو « التغييري » الوزير وليد جنبلاط يقول ما يلي :

— « ليست لنا علاقة بصيدا ، وأبلغْ الجميع — الكلام موجه إلى موفق مدني — أنه في الأساس ليس هناك في صيدا حزبٌ تقدمي اشتراكي »[191] .

— « إن قصة رئاسة الجمهورية هي بين الموازنة مع

(١٩١) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .

بعضهم البعض »[192] .

— « دخيلك من « البيارتة » ، يبيعوني إياها « البيارتة » ، بدنا نعمل حصر إرث لنعرف لمن هي بيروت ، بطلع أنا من الأوائل في بيروت ، بيعطوني دروس في الأكاديمية . لن أقول ما ردده عبد الناصر عن بيروت خليني ما إحكي »[193] .

— « ذكرْنا للشباب وللكوادر في حركة « أمل » والحزب التقدمي الاشتراكي ، إنه على ماذا أنتم مختلفون في بيروت ، مختلفون على مصادرة الشمقمق ما بتحرز ، على سرقة السيارات ، ما بتحرز ، فخلينا ننظم التشبيح إذا كان لا بد من التشبيح في بيروت ، خليني ما إحكي »[194] .

— « وأنا سبق لي وقلت لن أتعاطى ولن أتدخل في شؤون الملك حسين الداخلية ، احتراماً لأصول معينة في اللياقات والصداقات والضيافات (؟) . لقد عشنا في الأردن وزوجتي تذهب إلى هناك وعائلتها هناك ، ولكن لي الحق أن أقيّم سياسة عرفات ، فسياسته الحالية لن تعطي الشعب الفلسطيني حقوقه »[195] .

(١٩٢) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .
(١٩٣) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .
(١٩٤) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .
(١٩٥) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .

ويقول :

— « ليست لي علاقة بما حصل هناك (في المنـــاطق المسيحية) (مصالحة فرنجية — حبيقة) (عرّابها الوزير السابق ميشال المر) . أنا عندي هدف واضح وسياسة واضحة ، ليست لي علاقة بما يجري هناك ، يلتقون أو لا يلتقون ، يتحالفون أو لا يتحالفون ، بيطلعوا على إهدن أو بينزلوا على زغرتا ... بيذهبوا إلى بكركي ... ما بتفرق معي » ... [١٩٦] .

— « لست معترفاً بشيء . لا أريد أن أوالي ولا أريد أن أعارض . الله يسعدهم ويبعدهم » [١٩٧] .

— « نحن لسنا حركة إصلاحية ، إذا كانت الحرب من أجل ذلك فنحن لا نريدها ، أنا قلت يا قاتل يا مقتول » [١٩٨] .

سادساً : عشائري أم تغييري قومي ؟

هذا العشائري كيف يكون معارضاً تغييرياً ؟ وكيف يكون ديموقراطياً عربياً ؟ وكيف هو اشتراكي تقدمي ؟

---

(١٩٦) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .
(١٩٧) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .
(١٩٨) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .

والمعارض الذي يقول أيضاً :

— « أنا مش فارقة معي ... بس لن أدع الدولة تعود إلى الشوف لن أدعها ، فليتنبهوا إلى هذه النقطـــة » [١٩٩] و « عندنا في بيروت فرع حزب متواضع ، وسنخفف نشاطنا ووجودنا ، وسنعمل ما يسمى بالعمل العقائدي ، إذا كان في شي عقيدة بتدخل على بيروت » [٢٠٠] ، كيف ينسجم مع المسؤولين السوريين ؟ أم إن السياسة السورية في لبنان « أصبحت بحاجة إلى منجّم مغ بي يستطيع أن يعرف حقيقتها مع كل ما تنطوي عليه من ناقص ومنقوض » عـــلى قول الرئيس شمعون [٢٠١] ؟

هذا هو وليد جنبلاط « المعارض — التغييري » ، وهذا هو وجه « المعارضة اللبنانية » . نقول وجه المعارضة لأن نبيه بري بات شريكاً لجنبلاط وحليفاً بل « أخاً » له في الاتحاد الوطني » أو شركة « قم لأجلس مكانك » الدرزية — الشيعية المساهمة المحدودة المسؤولية .

وإذ نكرر القول إن حلفاء سوريا اللبنانيين ، أو « الدماشقة » المحمديين في لبنان ، هم حائرون بائرون ، فلأنهم يضرون

---

(١٩٩) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .
(٢٠٠) السفير : ١٩٨٥/٨/٥ .
(٢٠١) النهار : ١٩٨٥/٨/٧ .

بحليفهم ويعرقلون مساعيه ويشوشون عليه . ولا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا إن هؤلاء قد يجعلون أنفسهم ، مجتمعين أو منفردين ، في حــل بين الرئيس الأسد وبينهم ، إذا هو بدا ضعيفاً أو مضطرباً ، فكيف بهم لو تراجع وانكسر ؟ ومن لا يصدق فلينظُر إلى أمير الشام الأول، بل أمير العرب ، معاوية بن أبي سفيان « الغريب » أو « المجهول » .

نأمل ألاّ يصيب سوريا الأسد أي مكروه ، ولو حدث عكس ما نتمنى ، لا سمح الله ، وسقطت الأوراق التي في قبضة الرئيس حافظ الأسد ، فإن أقصى الشدائد وافظعها سوف نشهد ، هذا إن قُدّر لنا أن نكون من الشاهدين .

آه من « حزب علي ومعاوية » !

الفصل السابع

الفلسطينيّون والسلاح الفلسطيني

« الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه »

أولاً : نظرة عامة

جاء الآن دور الفلسطينيين . . . والسلاح الفلسطيني .

آه من الفلسطينيين !

لقد صاروا « يهوداً » لا يحبّون أحداً ولا يثقون بأحد .

هل ينفع معهم الكلام ؟

شرّهم كبير قريب ، وخيرهم ضئيل بعيد ، وبرغم ذلك يوهموننا بأنهم مضطهَدون ومقهورون ومنفيّون . وأخشى ما أخشاه أن يسود هذا « الشعور بالاضطهاد » الطوائف اللبنانية جميعها ، فيصبح الأمل بالتعايش والتفاهم و« الوحدة الوطنية » أمراً مستحيلاً .

ومن أسف أن يكون السيد ياسر عرفات و « الأبوات » الفلسطينيون هم أبرز الذين يغذّون هذا « الشعور » عند الفلسطينيين — سكان المخيمات ، وأبرز الذين يغذّون ، في هذه الأيام ، « حرب علي ومعاوية » التاريخية المجرمة . ويمكننا القول ان هؤلاء قد باتوا أكثر « تخصصاً » من سواهم بتاريخية هذه الحرب وأسبابها ونتائجها ، كما باستمراريتها على الدوام ، وهم ، ربما ، أكثر إلماماً بتاريخ الدولة اللبنانية التي وُلدت والمعارضة تحيط بها من كل جانب ، مثلما قيل في الدولة الأموية . فلا عجب إذا ما أشعل ياسر عرفات ، من عمان ، « حرب المعسكرات » في بيروت ، وبالتالي « حرب علي ومعاوية » ، التي كانت مثلما الجمر تحت الرماد ، وانه على هذا لقدير .

ففي يوم الثلاثاء (١٩٨٥/٥/٢١) قالت ، في دمشق ، الوكالة العربية السورية للأنباء (سانا) : « إن عرفات يهدف من وراء التفجير في بيروت تغطية تحركه المشبوه مع النظام الأردني نحو مفاوضات الخيانة مع العدو الإسرائيلي لأنه في كل خطوة تآمرية يُقدِم عليها يحاول فيها ومعها زرع بذور الفتنة بين الأهل والأشقاء »[٢٠٢] .

ولكن سبق لعرفات أن اتّهم ، في اليوم الذي قبله ،

(٢٠٢) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٢ .

سوريا ، «بتشجيع القتال بين حركة « أمـل » والمخيمات الفلسطينية في القطاع الغربي »[٢٠٣] من العاصمة اللبنانية ، إذ صرح ناطقٌ باسمه : « إن رئيس المنظمة استدعى إلى قصر الضيافة الذي ينزل فيه في عمان سفراء ١١ دولة عربية وطلب منهم دعوة رؤسائهم إلى التدخل فوراً لوقف هذه المجازر البربرية ، وحماية سكان المخيمات »[٢٠٤] ؟ !

وأوضح الناطق «العرفاتي» ان ياسر عرفات «شرح لسفراء مصر والسعودية والكويت والجزائر والبحرين ودولة الإمارات والمغرب وقطر واليمن الشمالية وتونس والعراق وعمان ما تتعرض له (مخيمات الفلسطينيين) في بيروت على أيدي حركة « أمل »[٢٠٥] . كما أصدر مكتب « منظمة التحرير » في عمان بياناً جاء فيه « إن قوى مرتبطة بالنظام السوري وتتحرك بأوامر مباشرة من الرئيس حافظ الأسد تقوم بارتكاب كربلاء جديدة ضد مخيماتنا في بيروت في هذا اليوم الأول من رمضان »[٢٠٦]

أضاف البيان يقول : « إن حركة « أمل » دفعت قواتها ضد أطفالنا ونسائنا في مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة

(٢٠٣) النهار : ١٩٨٥/٥/٢١ .
(٢٠٤) المصدر نفسه .
(٢٠٥) المصدر نفسه .
(٢٠٦) المصدر نفسه .

نتيجة الاجتماعات بين مسؤولي « أمل » والأسد في دمشق السبت الماضي » [٢٠٧] .

وقال أيضاً : « دعا (عرفات) السيد وليد جنبلاط وزير الأشغال العامة والنقل والسياحة ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي إلى المساعدة في وقف هذه المجازر الجديدة ضد مخيماتنا في بيروت واحتواء الاشتباكـــات لصون أرواح المسلمين والفلسطينيين » [٢٠٨] .

أرأيت كيف فجّر ياسر عرفات كربلاء « النائمة » أو « المسترخية » ؟

الفلسطينيون « كربلائيون » . . . والشيعة « كربلائيون ». وهات يا إسلام الشريعة والحق والقانون والعدالة والسلام والتفسير والتأويل !

كم مرة حاول ياسر عرفات أن يلعب دور صاحب كربلاء ، الحسين بن علي ؟

وكم مرة حاول ياسر عرفات نفسه أن يكون هو « معاوية » لبنان وفلسطين ؟

---

(٢٠٧) المصدر نفسه .
(٢٠٨) المصدر نفسه .

أتراه نسي أن كربلاء هي في عهد يزيد لا في عهد معاوية؟

سامح الله نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، فهو الذي أعطى أبا عمار « الضوء الأخضر » إلى كربلاء ، بل إلى معسكر الحسين هناك ، حيث قال : « ونرى الإمام الحسين ، لا نرى فيه ، بل نراه هو في أبي عمار وفي عيون المجاهدين الفلسطينيين في داخل فلسطين وخارجها ، هؤلاء الذين يصونون شرف الإسلام والعروبة ويفدون بدمائهم الذكية مستقبل الأمة العربية هذا المستقبل الذي لن يولد في البنوك وآبار النفط وإنما ولد بالجهاد في فلسطين » [٢٠٩] .

ألا يزال الشيخ على رأيه ؟ أم تراجع ؟ أم نسي ؟

اليوم ، نبيه بري « حسين » الضاحية ، وياسر عرفات « حسين » المخيمات — « الغيتوات » ، ولكل منهما شيخ أو أكثر ! ! على أن الشيخ شمس الدين ليس مع بري .

---

(٢٠٩) من كلمة القاها بمناسبة ذكرى استشهاد الحسين ابن علي بن أبي طالب في قاعة الكلية العاملية ـ بيروت، وذلك يوم العاشر من محرّم ١٤٠١ هـ (١٨ تشرين الثاني ١٩٨٠) انظر «النهار» ١٩٨٠/١١/٢٠، انظر كتابنا « محنة العقل في الاسلام » الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ص ٤٧٢ .

ما أكثر « العلّيين » و « الحسينيين » ، وما أقل العقلاء والمفكرين ! ! ربما لأن ذا العقل يشقى بعقله كما يقول المعري ، أو لسبب ما زلنا نجهله ؟

ومهما يكن ، فإن البيان الفلسطيني الصادر عن « خبير محنّك » و « حلاّف كذاب »(٢١٠) كـــاد أن « يطيّر » بـ « الأسديّين الفلسطينيين » من كل سوريا ولبنان ، إذ أعلن المكتب السياسي لـ « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، ومن دمشق بالذات ، « ان المخيمات الفلسطينية في بيروت ما زالت محاصرة وتتعرض للقصف المدفعي والصاروخي الكثيف من قوات حركة « أمل » واللواء السادس في الجيش اللبناني »(٢١١) وأدانت الجبهة « هذه الهجمات العدوانية »(٢١٢) ، وجددت تحذيرها لـ « الأجنحة المشبوهة في حركة « أمل » والتي تُدفع في لبنان نحو نقطة أكثر تعقيداً »(٢١٣) ، كما دعت « الجبهة الوطنية الديموقراطية » (بمن بقي فيها) ، في لبنان ، وزعماء « الحركة الوطنية الإسلامية » إلى التدخل عاجلاً لوقف « العدوان » على المخيمات الفلسطينية ، ودعت كذلك الأنظمة

---

(٢١٠) كتابنا « شاهد الثعلب ذنبه » الطبعة الاولى ١٩٨٤ ص ٥٣٠/٥٣٥ .

(٢١١) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٢ .

(٢١٢) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٢ .

(٢١٣) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٢ .

الوطنية العربية ، خصوصاً سوريا ، إلى التدخل سريعاً لوقف ما يجري الآن قبل فوات الأوان »(٢١٤) .

وكالعادة راح « الكهّان » يحدّثون بأسرار ما يجري ، فبعضهم حسبها « حرب الأسد وعرفات » ، وبعضهم الآخر قال إنها « حرب الشيعة والسنّة » ، وهناك من قال إنها « الحرب للحرب » و « الله اعلم » . واعتقد الكثيرون منا أن رؤوساً كبيرة سوف تتهاوى و « موسم الحصاد » قد حان ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ؟ !

ثانياً : الصراع على « التركة العرفاتية »

لو نحن رجعنا إلى لبنان قبل هذه البيانات والنداءات والتخمينات ، لثبت لنا أن « حرب المخيمات » إنما هي واقعة من قبل أن تقع .

يعلم الأستاذ طلال سلمان ونعلم نحن أن في لبنان « مسلّمة » تقول : الفلسطينيون لن يسلّموا سلاحهم ، وحركة « أمل » لن تسلّم سلاحها . كذلك « الكتائب » و « القوات اللبنانية » و « الشيوعيون » و « القوميون » و « حزب الله » و « الجماعة الإسلامية » و « المرابطون » و « البعثيون » و « الشعبانيون » و « الحزب

---

(٢١٤) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٢ .

الديموقراطي العربي » ، و « اللقاء الإسلامي » وسائر المسلّحين.

إن أياً من أصحاب السلاح ، في لبنان ، لا يرى نفسه إلاّ مستهدَفاً من الآخرين ، كل الآخرين ، فالحق ، بالنسبة إلى المحارب ، أي محارب ، أن يبقى على سلاحه ، فإذا ما نُزع منه هذا السلاح أصبح بدون كرامة وبدون شخصية وكيان؟!

إذن ، الكل ، بشكل أو آخر ، ضد قيام الدولة القوية العادلة ، وضد إحياء الوطن الموحّد الذي يعمل له الرئيس الجميل .

ما يهمنا ، هنا ، السلاح الفلسطيني ، فهو في الوقت الحاضر « أبو » الأسلحة اللبنانية كافة ، بل رأس الأفعى وأصل الداء . وليس أدلّ على ذلك من رد نائب الأمين العام « للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » السيد « أبو علي » مصطفى ، على الأستاذ طلال سلمان . يقول « أبو علي » :

« إننا حقاً لا نعرف كيف استُخدِم السلاح الفلسطيني في غير موقعه ولا نعرف لماذا فقد الكثير من مبررات وجوده ، مع العلم أنه لم يُستعمل إلاّ في الاتجاه الصحيح ضد العـدو الصهيوني والقوى الفاشية الانعزالية التي كانت وما زالت تعمل لصهينة لبنان » (٢١٥) ؟!

(٢١٥) السفير : ١٩٨٥/٧/٢٧ من رده على الاستاذ طلال سلمان .. الحلقة الرابعة .

معنى هذا أن أحداً ، أياً كان ، لا يجوز له أن يطالب بنزع السلاح الفلسطيني أو تسليمه ، بل يجب « احترامه » و « تكريسه » و « المحافظة عليه » و « الصلاة لأجله » .

وكل من قال أو يقول بأن السلاح الفلسطيني أخطأ الاتجاه فهو « عميل » و « مشبوه » و « خائن » و « فاشي » و « انعزالي » ، قتلُه « حلال » ، وما على اللبنانيين ألاّ أن يحفظوا وإلى الأبد ، المثل القائل : أضيءْ لي أقدحْ لك، أو كن لي أكثر مما أكون لك لأن الإضاءة فوق القدْح ، والسلاح فوق الرأس ، والقضية أهم من المضيف ، والقدس أشرف من بيرت ، وحيفا أعظم من صيدا، وعكا أهم من صور ، ونابلس أغلى من طرابلس، يافا أجمل من بعلبك وكل لبنان ؟!

ويقول « أبو علي » أيضاً :

« إن سلاحنا الفلسطيني هو وسيلتنا الأساسية لانتصار قضيتنا ، أما إذا كان البعض يرى هذا السلاح يهدد أمن لبنان فنحن نقول ان هذا السلاح لم يكن ولن يكون إلاّ ضد العدو الصهيوني وفي خدمة الحل والمشروع الوطني اللبناني الذي نرى فيه مصلحة لبنان ومصلحة فلسطين ومصلحـة الأمة العربية » (٢١٦) .

(٢١٦) المصدر نفسه : أبو علي مصطفى .

لذلك يعتقد «أبو علي» أن الخطأ هو صادر عن حلفائهم (...) وليس عن السلاح الفلسطيني والفلسطينيين، إذ يقول:

«ومن حقنا هنا أن نوضح للتاريخ وللحقيقة أنه قبل بدء انسحاب القوات الفلسطينية من بيروت بأيام قليلة عقد اجتماع في أحد البيوت (البيروتية) ضم عدداً من القوى اللبنانية والفلسطينية نذكر منها لبنانياً الحزب الشيوعي اللبناني وفلسطينياً الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكان البند الرئيسي على جدول أعمال هذا الاجتماع التاريخي العمل والأشكال الملائمة للبدء بتنظيم المقاومة الوطنية اللبنانية والفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني، واتفق في هذا الاجتماع على تأسيس جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية التي وُلدت في مناخ الثورة الفلسطينية وشكلت امتداداً طبيعياً لها»[٢١٧].

إذن، ما حصل – بعد ذلك – لا ينسجم وأهداف «الاجتماع التاريخي» الذي كشف عنه «أبو علي» مصطفى. والذي جرى هوان بعض «القوى اللبنانية» قد تمرّد، فعلاً، على القوى الفلسطينية والسلاح الفلسطيني، وتمت «عملية مصادرة مقصودة لكل نضالات الوطنيين من لبنانيين وفلسطينيين

(٢١٧) المصدر نفسه.

وتوظيفها لصالح جهة واحدة هي حركة «أمل» وإظهارها أنها الوحيدة التي قاتلت الوجود الصهيوني في لبنان»[٢١٨]، و«هذا أمر يعرف الجميع انه مبالغ فيه ويتم على حساب نضالات الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين»[٢١٩].

من الواضح أن «أبو علي» نسي أو هو تناسى أن الفلسطينيين هم الذين صادروا لا «القوى الوطنية اللبنانية» فحسب، بل أكثر أجزاء لبنان، أرضاً وشعباً، فكانوا (الفلسطينيون)، في بيروت الغربية، أسياداً لا ينازعهم منازع، كذلك في صيدا والجنوب والبقاع والشمال، فلما انسحب هؤلاء «الأسياد»، والأصح أنهم طُردوا، بدأ الصراع بين «القوى الوطنية» بعضها ضد بعض، على «السلطة»، بل على «السيادة»، بل على «المصادرة».

ولا غرابة في ذلك، إذ البلاد على مرض والدولة على مرض والأحزاب على مرض. وإنما الغريب، في الحقيقة، أن لا يقع هذا الصراع، والغريب كذلك أن لا تكون حركة «أمل» هي «وريثة» الفلسطينيين، خصوصاً في بيروت والجنوب. «مصادرة» تخلف «مصادرة» و«فوضى»

(٢١٨) المصدر نفسه.
(٢١٩) المصدر نفسه.

ترث « فوضى » ، و « الحق دائماً على الحكم » بالمنطق الدرزي – الشيعي – السنّي – القومي – البعثي – الشيوعي – الفلسطيني ؟ هؤلاء هم شركاء في هذا « المنطق » وشركاء في التدمير والتخريب والتهجير والخطف ، بل شركاء في جمعية « قم لأجلس مكانك » ، ولكنهم أبداً ليسوا شركاء في الإنقاذ والإصلاح والحوار والبناء .

لقد أسقطت إسرائيل « المملكة العرفاتية الفلسطينية » التي كان مقرها في « الفاكهاني » ، فأخذت الدولة مكانها . فنشرت الجيش في كل بيروت الغربية ، خصوصاً في الأحياء التي يسكنها بري وجنبلاط وقليلات وسلام وخالد وشمس الدين وقبلان وغيرهم وغيرهم ، وكاد الأمن يعم المدينة ، والأمر يستتب ، لولا جر « العضلات الوطنية » الإسلامية ، و « حرب الجبل » و « اتفاق ١٧ أيار » وزيارات الرئيس الجميل المتكررة ، بسبب أو بدون سبب ، إلى أميركا وأوروبا والمملكة السعودية والمملكة المغربية دون سوريا ، فضلاً عن « الحنين »الفلسطيني ،العرفاتي واللاعرفاتي ، إلى بيروت السائبة والمظلومة والمجرّحة .

لهذه الأسباب وغيرها تهيّجت الرغبات « القومية » و « الوطنية » و « الإسلامية » و « الفلسطينية » على الوجه التالي :

– السرريون يريدون الرجوع إلى بيروت للانتقام من إسرائيل التي أخرجتهم منها قسراً ؟ !

– جنبلاط يحاول إنشاء إمارة له في العاصمة ، ومثله بري وقليلات وسلام . الأول في « فرن الحطب » ، الثاني في « البربور » ، الثالث في « منطقة الجامعة العربية » ، والرابع في «المصيطبة » .

– دار الإفتاء تمارس السياسة والدين ، بأسلوب الصدّيق أو علي ، من أجل أن تبقى بيروت الغربية سنيّة الوجه واللسان . عندها « مطحنة » للمشكلات والقضايا السنيّة يديرها النفط السعودي أو الماء المصري أو الهواء الفلسطيني أو البخار السوري، وأحياناً تعمل بهذه العناصر كلها مجتمعة ، والنتيجة : دقيق ثم دقيق ثم دقيق ثم ثوابت ثم خطبة العيد ثم صمْت ثم « خلّصينا يا شام » .

– المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى يحاضر وينظّر ويعتصم ويصدّر الفتاوى إلى أبناء الجنوب ، ومرات إلى الضاحية، وينتقد الحكم والمارونية السياسية وبعض العرب ، ويحيّي الثورة الإسلامية الإيرانية ، ويلمّع أعضاءه ، النواب والوزراء الحاليين والسابقين ، نكاية في نبيه بري . يغازل المفتي خالد ودار الإفتاء حتى لا يُتهم بالمذهبية أو الشعوبية .

— السيد محمد حسين فضل الله ، مسجد الإمام الرضا في بئر العبد ، يندّد بكل الأفرقاء ، وبكل العرب ، ويبني مدينته الفاضلة على قواعد استعارها من الأئمة الاثني عشر ومن بعض آيات الله الفارسيين .

— « القوميون » و«الشيوعيون » و « الناصريون » ، على اختلاف أجنحتهم ، مثلهم مثل الذي له منطق لا يساعده عقل .

— ياسر عرفات منذ ضاعت منه بيروت وطرابلس ، وهو يرفع شعار : « الضرورات تبيح المحظورات » .

— المعارضة الفلسطينية تؤمن بالمثل القائل : ربما صحّت الأجسام بالعلل .

جميع هؤلاء وأولئك يعرفون أن الذي يسيطر على بيروت يسيطر على كل لبنان . وليس دقيقاً القول بأن الصراع على المخيمات هو شيعي — فلسطيني فحسب ، بل الكل يصارع الكل ، تماماً كما حرب علي ومعاوية ، على بيروت كما على « الشركة العرفاتية » الفلسطينية . ونحن لن نتعب كثيراً في البحث عن المنتصر الأكبر ، فهو واضح ومعروف ، وشاغل الغرب والشرق ، عنيت به الرئيس حافظ الأسد ، «معاوية القرن العشرين » ، وربما عنْد ، غداً ، الرئيس سليمان فرنجية (الماروني) « العاقل الأول » ، في لبنان ، كونه أخلص الولاء للأسد وحفظ له العهد والود ، ولكن هل الرياح

تجري ، دائماً ، بما نشتهي ونرغب ؟ وأما الرئيس الجميل فلأن تحالفه مع الأسد ليس معناه الولاء ، أو التسليم بكل شيء للرئيس السوري ، ظلّ (الجميل) هدفاً لسهام الجميع ، منهم الذين أطاعوا الأسد ، ومنهم الذين عصوه ، وهم في الأمر سواء .

المهم أن « المملكة العرفاتية » تهشّمت وتطايرت أجزاؤها ، والصراع عليها ، كما يبدو ، سيستمر عنيفاً شرساً ، لينتهي إما إلى لبنان الوطن الحر السيد المستقل ، وإما إلى لبنان « السوري » . ومما لا ريب فيه أن « المعارضة اللبنانية » هي « عشيرة » عمياء تعجِّل السقوط في وادي الدموع حيث لا ينفع البكاء ولا الندم ، بل الانتحار ، والانتحار فقط .

ثالثاً : كيف كان الصراع

في هذا المناخ « الثوري » كما يحسبه كل من « الأقطاب » المتحالفين والمتحاربين ، قال الوزير بري :

« قرأنا دعوات عدة بالنسبة إلى موضوع « الردع » . في رأيي ان مجيء « الردع » إلى لبنان هو نتيجة من نتائج الوفاق الوطني وليس العكس . قد يكون البعض يريد استغلال موضوع مجيء « الردع » ، أن تُبتزّ سوريا في لبنان كما ابتُزّت عام

١٩٧٦ ، أن تُبتَزّ سياسياً وأمنياً ، ظناً منهم أن يتم استنجاد بالسوريين لمصلحة طرف ضد طرف آخر . من خلال محادثاتي في دمشق ومن خلال رؤيتي للأمر ، هناك شروط سورية مطلوب توافرها قبل أن تتخذ القيادة السورية خصوصاً الرئيس حافظ الأسد أي قرار بالمجيء إلى لبنان ، سواء إلى العاصمة أو من حيث انتشار « الردع » من جديد » .

أضاف :

« ما هي هذه الشروط ؟ هما اثنان ، الأول أمني ، والثاني سياسي . الشرط الأمني أن يكون هناك استعداد لدى جميع الأطراف من دون استثناء لتسليم الأسلحة الثقيلة منها والخفيفة ، إذ بعد مجيء الردع يجب أن يكون الوضع الأمني داخل لبنان كالوضع الأمني داخل سوريا ، فإذا لم يتحقق هذا الشرط فالإخوة السوريون ليسوا على استعداد لأن يأتوا وبعد قليل يحصل ما حصل من قصف لهم واعتداءات على جنودهم وضباطهم وآلياتهم . ليس السوريون برتقالة يمتصها شخص ثم يبصقها بعد ذلك ليقذف بها على الآخرين » .

وقال أيضاً :

« أما من الناحية السياسية ، فالسوريون في نظري ليسوا ورقة نجدة أو زورق نجدة لتغليب فئة من اللبنانيين على الآخرين. بمعنى آخر لن يأتوا وليس من واجبهم العمل ومنع التقسيم

وعروبة لبنان ومن أجل تكريس الوفاق الذي يجب أن يتم قبل مجيء « الردع » ، هذا الوفاق السياسي الذي يجب أن يبنى على العدالة والكفاية والمساواة بين جميع اللبنانيين يسمح للشقيقة سوريا بأن تتدخل لتكريسه » [٢٢٠] .

هل إن السيد بري هو ناطق باسم الرئيس الأسد أم باسم بري نفسه ؟

من الذي يريد عودة « الردع » إلى بيروت ؟

إذا كان الرئيس شمعون على يقين من « أن السلطة السورية إذا بذلت جهوداً كافية » و « بذلنا نحن جهوداً كافية » لوضع حد للقتال ، فإن « المشكلة » لا بد أن تنتهي ، و « عندئذ يمكن إحياء المؤسسات الدستورية » [٢٢١] ، فإن الرئيس فرنجية يناشد الأسد التدخل عسكرياً ، إذ « الأزمة اللبنانية تبدو كل يوم مستعصية عن يوم » و « اللبنانيون مشرذَمون تتقاذفهم الرياح من هنا وهناك » « والأشقاء كالغرب يبيعوننا كلاماً بكلام » و « الأمن يزداد تدهوراً » و « الاحتلال ، لولا ضربات المقاومة الوطنية اللبنانية الباسلة ، لبقي جاثماً على أرضنا المقدسة يساند عملاءه » و « التقسيم الواقعي تتسع

(٢٢٠) النهار : ١٩٨٥/٥/١٧ .
(٢٢١) السفير : ١٩٨٥/٥/١٥ .

رقعته » و « الفرز السكاني مستمر » و « الأزمات الاجتماعية والمعيشية بدأت تظهر »[٢٢٢] ويظهر خطرها معها .

ويرى الرئيس فرنجية أن هذا الواقع المأساوي المستمر منذ سبع سنوات متتالية (أي منذ حادثة اهدن ١٩٧٨) والذي «أصبح يهدد كل شيء في لبنان من الإنسان إلى الأرض إلى المؤسسات إلى الكيان وحتى إلى الوطن » و « هذا الفراغ الرهيب في الحكم الذي يجعل المعالجة المفروضة معدمة إن لم يكن هذا الحكم هو الضالع في تخريب لبنان تنفيذاً لأوامر الأسياد (...) »(؟)و « التخوف من وقوع مذابح وكوارث أعظم تنعكس سلباً وخراباً على لبنان والمنطقة » يفرض عليه ، انطلاقاً من « التزاماتنا القومية المشتركة ومصيرنا المشترك » أن يتوجه « بنداء من القلب والعقل إلى الرئيس حافظ الأسد حفظه الله » مستحلفاً إياه « بدماء الشهداء السوريين واللبنانيين الذين سقطوا على أرض لبنان فداء عن وحدته وعروبته واستقلال لبنان » أن « يهبّ وينقذ لبنان اليوم كما هبَّ وأنقذه عام ١٩٧٦ ، وأن يعيده إلى حياته الطبيعية ، اليوم ، كما أعاده في العام ٧٦ عندما أُغلقت في وجهنا كل الأبواب وكاد كل شيء ينهار »[٢٢٣] ؟!

(٢٢٢) فرنجية : صحف ١٩٨٥/٥/١٥ .
(٢٢٣) المصدر نفسه .

ولكن « الردع » لم يتدخل حتى الآن ، مع أن القيادات السنيّة هي أيضاً التمست من الرئيس الأسد « إنقاذ » بيروت ، « عاصمة العروبة والإسلام » (؟) ، من « الفلتان الأمني » و « الفوضى » و « التشبيح » و « التطاول » على الأشخاص والمؤسسات وأماكن العبادة[٢٢٤](*) . فهل إن

(٢٢٤) يقتضي التنويه بـ « مشروع قرار » للاستعانة بالجيش السوري الذي قدّمه النائب ناظم القادري، يوم الجمعة الموافق ١٩٨٥/٥/١٧ ، الى رئيس المجلس النيابي ، السيد حسين الحسيني ، وهو يقضي بأن يدعو المجلس الحكومة الى اجراء اتصالات مع سوريا للاستعانة بقوات الجيش العربي السوري لانتشاره على كل الاراضي اللبنانية باستثناء عمل قوات الطوارىء لمدة ستة أشهر يصار خلالها الى اعادة تنظيم الجيش اللبناني ، ووضع قانون جديد للدفاع الوطني » .
واستند القادري في « مشروع القرار » الى المواثيق الاقليمية والدولية وفي مقدمتها معاهدة الدفاع العربي المشترك والمواد ٣٣ و ٥١ و ٥٢ من ميثاق الامم المتحدة » .
نشر هذا « المشروع » في صحف السبت١٨/ ١٩٨٥/٥ .

(*) واما المفتي خالد الذي « يرى الكثير من المراقبين (انه) أصبح المرجع السياسي الاول للمسلمين السنة في لبنان ، انطلاقا من النشاط الذي يقوده والمواقفالتي يعلنها بجراة في كل المناسبات، فضلا عن قيادتهللقاء =

الرئيس الأسد لم يستجب للرئيس فرنجية والسنّة ، كون الرئيس الجميّل لم يبدِ رغبة في ذلك ؟ أم لأن « الملك المخلوع » — ياسر عرفات — كان هو « الفزاعة » على « جبل الحسين » ؟ أم للسببين معاً ؟

يقول المنسّق الإسرائيلي لشؤون لبنان أوري لوبراني الذي مرّ ذكره :

« ثمة شيء واضح تماماً وهو أن الفلسطينيين موجودون في لبنان ، وأنا واحد من بين كثيرين عندنا ممن لا يؤمنون بأن الفلسطينيين سيتمكنون من إعادة بناء الركيزة التي كانت لهم ليس فقط في جنوب لبنان ، بل أيضاً في بيروت نفسها .

= الاسلامي الذي يضم معظم الفاعليات الاسلامية في لبنان » كما تقول مجلة « الشراع » — البيروتية ، فقد رد ، اثر عودته من دمشق (من اللقاء الاسلامي في دمشق) على سؤال المجلة نفسها : وبالنسبة الى دخول الردع ، هل تمّ بحثه في دمشق ؟ قائلا : « لم يُبحث بشكل معمّق . ولكن كانت هناك تساؤلات جانبية وردود سريعة ، ولكن غير مدروسة . ولكنها لا تعطينا فكرة دقيقة وصحيحة عما اذا كان السوريون يريدون العودة أم لا كقوى ردع . وهذا امر يكتنفه بعض الضباب » .
انظر مجلة « الشراع » ، السنة الرابعة ، العدد ١٧٤ ، ١٥ تموز ١٩٨٥ ص ١٢ .

لكن هذا لا يلغي بأية حال من الأحوال إمكان ان يكون للفلسطينيين وللإرهاب مكان في لبنان ، وإنني بأية حال لا أستبعد هذا من الحسبان » (٢٢٥) .

إذن ، الذي أعاق الردع عن الرجوع إلى بيروت هو الرئيس الجميل والرفض المسيحي من جهة ، و « الشبح » العرفاتي الفلسطيني من جهة أخرى ، وليس من السهل إزالة هذه « العقبات » أو تذليلها ، وهنالك تجارب كثيرة مؤلمة لا يمكن القفز فوقها .

فلكي يعود الفلسطينيون ، وبخاصة « العرفاتيون » إلى بيروت وطرابلس والجنوب ، ويتحولوا من « شبح » إلى حضور سياسي وعسكري ، ينبغي لهم أن يحطموا البندقية الشيعية والبندقية « الأسدية » معاً ، غير أن هذا ، كما يظهر ، لا يمكن تحقيقه الآن ، وهو ما حدا « الملك المخلوع » أن يعلن الحرب على حركة « أمل » ، التي هي أيضاً كانت راغبة في ذلك ، لا لينتصر على « أمل » ، وهو يعرف تماماً أنه مهزوم مكسور ، بل لتأمين عودته إلى الأردن مع ضجة اعلامية أُعدت لتثير « الغضب الساطع » العربي والإسلامي ، على الشيعة والأسد ،

(٢٢٥) دروس من الغزو في حوار مع لوبراني ، المذكور سابقا ، السفير ١٦/٥/١٩٨٥ .

وتهدىء « الحساسيات » الأردنية الهاشمية في آن معاً .

والحقيقة هي أن عرفات عاد إلى عمان ليشارك الحسين في الملْك ، حتى تتبخر المملكة الهاشمية والعائلة المالكة ، وينفّذ المشروع الصهيوني : « لا يمكن أن تكون هناك أكثر من د لتين بين البحر (المتوسط) والصحراء (الأردنية) »[٢٢٦] .

إن هذا المشروع الصهيوني يؤكد على ضرورة « المتفجّر (الفلسطيني) (من لبنان) » إلى الأردن »[٢٢٧] ، و « هناك سيحتدم الصراع ثانية بين الفلسطينيين والملك »[٢٢٨] الهاشمي ، إذ إن « المطلوب واحد : إما رأس المقاومة فيستقر الملك وشعبه والفلسطينيون الذين اتعبتهم « الثورة » في دولة واحدة ، يكون الملك الحسين هو السيد والرئيس وصاحب العرش ، وإما رأس الملك ، فيجلس عرفات على العرش رئيساً »[٢٢٩] سعيداً .

وهل يفرّ الفلسطينيون من هنا ، إذا لم تكن البندقيـة

---

(٢٢٦) انظر كتابنا « في سبيل وطن وقضية » طبعة ١٩٨٠، الموضوع : « الى الاردن .. دُرْ » ص ٨١/٧٦ .

(٢٢٧) المصدر نفسه .

(٢٢٨) المصدر نفسه .

(٢٢٩) المصدر نفسه .

« الشيعية » والبندقية « الأسدية » صاحبتي « السيادة » في بيروت الغربية والجنوب ؟

نسارع هنا إلى التذكير بما قالته صحيفة « تشرين » السورية يوم الخميس الموافق ١٩٨٥/٥/١٦ ، في تعليق لها تحت عنوان « ثوابت لبنانية » ... قالت الصحيفة :

« لقد أصبح واضحاً أن الكانتونات ومحاولات التقسيم والتجزئة في لبنان قد سقطت إلى الأبد لوجود استحالة مادية وسياسية في تمزيق لبنان » .

أضافت :

« إن قضية وحدة لبنان تشكل مسألة أساسية جوهرية وان تهديدها يشكل خطاً أحمر في سياستنا السورية ، نتيجة لذلك فإننا نقول انه إذا كانت هناك بعض الأوهام لدى الذين سقطت روح الوطنية من نفوسهم فإننا في هذا القطر سنتخذ كل ما يجب اتخاذه من إجراءات لمنع تحقيق مثل هذه الأوهام » .

وختمت تشرين تعليقها بالقول :

« وإذا كان خيار ١٧ أيار قد أنهى العصر الإسرائيلي ليبدأ بعد ذلك العصر العربي المتبني لخيار المقاومة ، فإن متابعة الطريق على الهدف نفسه ومن أجل تحقيق المبادىء الوطنية

والقومية من شأنه أن يصهر كل اللبنانيين في وحدة وطنية متماسكة تضع الولاء للوطن فوق كل شيء »[٢٣٠] .

« أياً يكن رأي « تشرين » فإنه عندما تسقط « الكانتونات ومحاولات التقسيم والتجزئة في لبنان » يُطلب إلى الفلسطينيين « العرفاتيين » و « الأسديين » أن يرموا سلاحهم ، ويسلّموا بسيادة الدولة اللبنانية وحق لبنان عليهم ويرحلوا إلى حيث يشاؤون . ان هذا ، لم يحدث بعد ؟

وأياً يكن رأي « تشرين » فإنه عندما تسقط « الكانتونات ومحاولات التقسيم والتجزئة في لبنان » يُطلب إلى حركة « أمل » و « التقدمي الاشتراكي » و « القوات اللبنانية » والمسلّحين جميعاً ، أن يرموا هم أيضاً سلاحهم ، ويسلّموا بسيادة الدولة اللبنانية ويعودوا إلى حياتهم الطبيعية العملية . ان هذا أيضاً لم يحدث بعد ؟

صحيح أن كل الأسلحة في لبنان مرشحة للسقوط ، و « الردع » مرشّح للرجوع إلى بيروت . ولكن هذين الأمرين يُفترض أن يسبقهما تصعيد لا مثيل له — يعمل بمنطق « حمّل وارحل » (!) والغاية هي « تحجيم » أصحاب الأسلحة (...) ودفعهم إلى دمشق دفعاً ، وهناك سيطوّب لبنان ، في احتفال مهيب ، « سورياً » » .

---

(٢٣٠) نقلته « السفير » ١٩٨٥/٥/١٧ .

ويُطوى ملف الحرب اللبنانية إلاّ من العقول والنفوس ، وأما « حرب علي ومعاوية » فلن يلتفت إليها أحد ، لأنها لن تذهب إلى الاحتفال ، إذ هي ستلبس « قبعة » التاريخ وتجلس في مكانٍ قصيّ ما به عينٌ .

لماذا يكابرنا « أبو علي » مصطفى وغيره على حقنا ؟

إن السلاح الفلسطيني لم يفقد الكثير من مبرراته فحسب ، بل هو فقد كل مبرراته ، وما على حامليه إلاّ أن يلملموا « بقاياهم » ويتركوا الأرض لأهلها ، فأمرهم لاعنٌ ، أي جالبٌ للّعن وباعث عليه ، وعملهم تافه وسخيف وهدام .

يدّعي « أبو علي » مصطفى العداء لياسر عرفات ونهجه السياسي فيقول :

« إن من العدل والواجب القول بأن ياسر عرفات خرج لوحده من بيروت إلى اليونان ثم إلى تونس وكان في ذلك يتناقض مع غالبية فصائل الثورة الفلسطينية الذين انتقلوا إلى دمشق وفي ذهنهم مواصلة الكفاح بإصرار عنيد لتحرير الأرض واستمرار القتال عبر تعميق التحالف والنضال المشترك السوري — الفلسطيني — الوطني اللبناني » .

ويقول :

« وكان هذا الخروج لياسر عرفات إلى اليونان ثم إلى تونس هو الشرارة الأولى التي كانت تنذر بتفاقم الخلافات في الساحة الفلسطينية بين نهج الانحراف والاستسلام ، الذي بدأ يتنازل مع الحلول الأميركية بعد الخروج من بيروت — وبين نهج الكفاح المسلّح واستمرار الثورة الذي كان من نتيجته الإعلان عن تشكيل جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني بعد توقيع اتفاق عمان الذي لا نوافق على انه اعلان رسمي فلسطيني عن انتهاء عصر الكفاح المسلح كطريق لتحرير الأرض المحتلة ، بل هو إعلان عن تخلي القيادة المنحرفة في منظمة التحرير عن هذا الكفاح »[٢٣١] .

ماذا فعلت « جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطينية » في « حرب المخيمات » سوى انها زادت القضية تعقيداً ، حتى بتنا لا نعرف « الفلسطيني الوطني » من « الفلسطيني المنحرف » ؟ !

من الذي قصف الضاحية بالصواريخ من الجبل ؟ هل هم « العرفاتيون» ؟ أم جبهة الإنقاذ ؟ أم الجنبلاطيون ؟ أم السوريون ؟ أم القوميون ؟ أم الشيوعيون ؟ أم « حزب الله » ؟ أم جميع من ذكرنا ؟

لقد قالت السياسة الفلسطينية إن « المنحرف » هنا هو

(٢٣١) « أبو علي » مصطفى : السفير ١٩٨٥/٧/١٧ ص ٣

مستقيم هناك ، و « الخائن » في تونس أو عمان هو « وطني » في بيروت ، لا سيما إذا المعركة مع المسيحيين أو مع الشيعة ! !

في تاريخ ١٩٨٥/٥/١٤ عقدت الهيئات القيادية في حركة « أمل » اجتماعاً رأسه رئيس الحركة وحضره رئيس المكتب السياسي ورئيس الهيئة التنفيذية وأعضاء الهيئة وأعضاء مكتب هيئة الرئاسة والمكتب التنظيمي ، وبحث المجتمعون في الأمور السياسية والأمنية ، وصدر في نهاية الاجتماع بيان ، ومما جاء فيه :

« يؤسف الحركة أشد الأسف أن تنهمر صواريخ الراجمات في الجبل في شكل عشوائي حصد مئات الأبرياء في المخيمات وخارجها ودمّر ذخر الجنى للمواطنين ، وكنا نقدر أن الاخوة في « جبهة الإنقاذ » قد تعلموا الدرس من فشل عرفات في استقطاب الحالة الوطنية إلى جانب القضية ، وانهم يعون دروس الماضي بحيث يكون موقفهم موقفاً مختلفاً وتصرفهم مختلفاً . غير انه يبدو أن التصرف بقي هو ذاته »[٢٣٢] .

لماذا يا « جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني » ؟

أراكم خفتم على « العرفاتيين » ... ولم تخافوا على

(٢٣٢) صحف ١٩٨٥/٥/٢٥ .

« شعور الناس الطيّب الذي جرّحتْه وأدْمَتْه قنابل الانتقام الأعمى »[٢٣٣] .

الفلسطينيون هم فلسطينيون ، سواء آمنوا بعرفات أو بأحمد جبريل أو بجورج حبش أو بنايف حواتمة أو بإسرائيل . والفلسطينيون هم فلسطينيون أيضاً إن قاتلوا مع « أبو إياد » أو مع « أبو موسى » أو في « جيش الدفاع الإسرائيلي » أو حتى في الجيش السوري .

فمن « انتفاضة فتح » إلى « الجبهة الديموقراطية » إلى « الجبهة الشعبية – القيادة العامة » إلى « جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني » إلى « جبهة النضال الشعبي الفلسطيني » والجميع قالوا بأن حركة « أمل » قد « تنكرت للدم الفلسطيني الذي أريق في الجنوب والجبل » و « لن نسمح لها بالتطاول على ثورتنا وعلى شعبنا ،وسنرد الصاع صاعين مهما كان الثمن»[٢٣٤] .

ها هو الأمين العام لـ « الجبهة الشعبية – القيادة العامة » السيد أحمد جبريل يقول في رسالة وجهها إلى الفلسطينيين : « لا شك في انكم تقفون كالأبطال في وجه المؤامرة والعملاء ، وان التاريخ لن يرحمهم مهما كانوا عملاء الصهيونية ومهما

---

(٢٣٣) المصدر نفسه .
(٢٣٤) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٦ .

رفعوا من شعارات وطنية زائفة . اصمدوا واعرفوا أن الحياة وقفة عز وكرامة »[٢٣٥] .

من هم أولئك العملاء يا ترى ؟

هل انه يقصد حركة « أمل » ؟ أم « عرفات » ؟ أم « الكتائب » ؟ أم « القوات اللبنانية » ؟ أم«الجنبلاطيين» ؟ أم سوريا ؟ أم الجميع ؟

وقال بيان « انتفاضة فتح » الذي وُزّع في طرابلس :

« تتعرض مخيماتنا الفلسطينية في بيروت منذ أيام لمجزرة تقوم بها حركة « أمل » وما يسمى اللواء السادس في الجيش اللبناني تحت غطاء وابل من الشعارات المضللة والمغلفة ، تركز على أن ما يجري يستهدف ضرب رموز عرفات ونهجه على الساحة اللبنانية ، غير أن الحقيقة الصارخة التي لم يعد يرقى إليها شك بعد افتضاح الجرائم التي اقترفتها القيادات المشبوهة في تلك الحركة ، تشير بكل وضوح إلى تصفية الثورة الفلسطينية والوجود الفلسطيني في إحدى أهم ساحات المواجهة أمام العدو الصهيوني »[٢٣٦] .

---

(٢٣٥) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٦ .
(٢٣٦) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٦ .

وجاء في بيان وزعته ، في طرابلس أيضاً ، « الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين » :

« نستنكر العدوان الوحشي المتواصل الذي تتعرض له مخيمات بيروت من قوات حركة « أمل » واللواء السادس في الجيش اللبناني بدعم مباشر من قوات اليرزة »[٢٣٧] .

وفي بيروت ، وزعت « جبهة النضال الشعبي الفلسطيني » بياناً قالت فيه :

« إن « جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني » رفضت الشروط التي طرحها (الوزير) نبيه بري ، والتي تقضي بأن يدخل اللواء السادس المخيمات ويتسلم أسلحة المقاتلين الفلسطينيين »[٢٣٨] .

واعتبرت هذه الجبهة أن ما تقوم به حركة « أمل » ومن يساندها (سوريا) هو أبعد من قتال ضد الفلسطينيين ، بل هو إحباط المشروع الوطني والقومي في لبنان ، وتنفيذ لمشروع كمب ديفيد ، وتكريس للمشروع الصهيوني — الأميركي على الساحة اللبنانية ، وتؤكد جبهة الإنقاذ على حقها في الدفاع

---

(٢٣٧) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٦ .
(٢٣٨) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٦ .

عن المخيمات وأبناء شعبنا الذين تشن عليهم حرب إبادة جماعية ومجازر وحشية »[٢٣٩] .

كما « الرجل الواحد » وقف الفلسطينيون ضد حركة « أمل » . أما بالنسبة إلى المسيحيين فلا مجال للمقارنة . كل الذين يتقاتلون ويتحاربون هم ضد المسيحيين . حتى « أمل » التي « صعّبوا الأمر (عليها) ، وصعّبوه كثيراً »[٢٤٠] لم تنظر إلى « محنة » المسيحيين ، بل هي تعلقت بأهداب العشائري جنبلاط وكأنها لا تعلم أن الخلي[٢٤١] لا يساعد الشجي[٢٤٢] على ما به ويلومه .

---

(٢٣٩) النهار : ١٩٨٥/٥/٢٦ .
(٢٤٠) من بيان حركة « أمل » : صحف ١٩٨٥/٥/٢٥ .
(٢٤١) الخلي : من كان خاليا من الهم . والمقصود هنا أن الوزير وليد جنبلاط يحسب نفسه منتصرا في الحرب ومالكا للشوف وعاليه والاقليم .
(٢٤٢) الشجي : الحزين المشغول البال ، أي الوزير نبيه بري الذي يعاني أزمة ثقة وأزمة سياسة في بيروت الغربية ، وعنده شعور بالقوة أو التفوق يمازجه شعور بالقلق على مصيره ، وليس يدري ما اذا كان يستطيع الرجوع الى الجنوب ، مع التذكير بأن الوزير بري قد انتزع الزعامة الشيعية انتزاعا ولم تأته من أبيه أو جده ، فهو من عائلة شيعية فلاحية متواضعة في تبنين ـ الجنوب .

وأعود لأكرر : ماذا كان سيحدث للشيعة (اللبنانيين) – في بيروت – لو أن دمشق قلبت لهم ظهر المجن ، أو هي تغيّرت عليهم وعادتهم ؟

رابعاً : سوريا أنقذت « أمل »

كم دعت سوريا فصائل المقاومة الفلسطينية « إلى التنبّه إلى مآرب ياسر عرفات وأغراضه الدنيئة وعدم الانزلاق في مؤامرة التسوية التي أعدّت للتغطية عليها »[٢٤٣] !!

ففي تعليق لصحيفة « الثورة » السورية جاء ما يلي :

« ما يجري على الساحة اللبنانية مؤامرة إسرائيلية – أميركية يقوم بتنفيذها ياسر عرفات ، متوهماً أنه عن طريق هذه المؤامرة يمكن أن يحقق لأميركا ولإسرائيل ونهج الخيانة والانحراف والاستسلام عدة أهداف دفعة واحدة . وأول أهداف هذه المؤامرة محاولة إجهاض مسيرة الوفاق الوطني في لبنان وعرقلتها » .

وتستمر الصحيفة في فضح ياسر عرفات فتقول :

« ولهذا السبب فقد حرص ياسر عرفات على تفجير هذه المؤامرة الدنيئة ، في الوقت الذي بدأت فيه قوات الغزو

---

(٢٤٣) السفير : ١٩٨٥/٥/٢٤ نقلا عن جريدة « الثورة » السورية .

الإسرائيلي تستعد لتنفيذ المرحلة الثالثة من انسحابها من لبنان ، وكأن عرفات يريد أن يشارك في تسويق ادعاءات إسرائيل القائلة بأن الانفجارات والمجازر الدموية تقع في لبنان بعد انسحاب إسرائيل من المناطق التي كانت تحتلها »[٢٤٤] .

هذا هو الهدف الأول « لمؤامرة ياسر عرفات – الأميركية – الإسرائيلية » كما تراه « الثورة » . أما الهدف الثاني فهو « محاولة التغطية على طبخة المؤامرة التي أعدّها عرفات ويقوم الملك حسين بتسويقها أميركياً وإسرائيلياً لتصفية القضية الفلسطينية »[٢٤٥] و « إذا كانت فصائل الثورة الفلسطينية ممثّلة بجبهة الإنقاذ الوطني والحركة الوطنية اللبنانية قد تنبهت لمخاطر المؤامرة وتحرّكت لتطويق مضاعفاتها ومحاصرتها وإحباط أهدافها فإنه من المفيد أن تتنبه فصائل المقاومة الفلسطينية إلى مآرب ياسر عرفات وأغراضه الدنيئة وعدم الانزلاق في هذه المؤامرة لأن ذلك يشكّل نكسة للقضية القومية برمتها وبخاصة أن كل وطني فلسطيني ولبناني لا بد وأن يشم رائحة المؤامرة القذرة من سلوك عرفات وممارساته وتحرك زملائه »[٢٤٦] .

وانتهت « الثورة » إلى القول : « ولا بد هنا من التذكير بأن حركة « أمل » هي فصيل وطني قاتل ويقاتل إسرائيل

---

(٢٤٤) المصدر نفسه .
(٢٤٥) المصدر نفسه .
(٢٤٦) المصدر نفسه .

بكل شجاعة ويعمل على دحر قواتها من لبنان مسهماً بذلك في دحر مخطط التصفية والاستسلام التي ينغمس عرفات في مستنقعها الآثم »[٢٤٧] .

وبرغم ذلك ظلت راجمات الصواريخ « الفلسطينية الإنقاذية الوطنية » تدك أهداف حركة « أمل » وتقصف الناس في الضاحية (النوارة) وبيروت الغربية ، من دون أن تنسى المناطق المسيحية الشرقية .

من الواجب القول ، هنا ، ان دعم سوريا لحركة « أمل » هو الذي أجبر أحزاباً وجمعيات وهيئات لبنانية كثيرة ومتعددة المناهج والمآرب ، لا على تأييد حركة « أمل » بل على إدانة عرفات ، الأمر الذي جعل الشيعة اللبنانيين في مأمن تقريباً ، وسبحان الذي يقول للشيء كن فيكون .حتى إن المفتي خالد، الذي كان يحسب الفلسطينيين هم« جيش المسلمين في لبنان » قال : « نحن أساساً قلنا للأخ أبي عمار عندما كان في بيروت إن الظرف لم يعد مؤاتياً لبقائه . وقلنا له كذلك عندما كان في طرابلس ، لتفويت الفرص على الذين يريدون هدم المدينة . الآن دخل العدو الإسرائيلي بيروت وهدم العاصمة ، ولا يزال يثير الفتن . وعودة أبي عمار إلى بيروت كأنما هي استدعاء للعدو لكي يجتاح من جديد ويلعب دوره القذر والظالم »[٢٤٨]؟!

---

(٢٤٧) المصدر نفسه .
(٢٤٨) المفتي خالد : الشراع المصدر المذكور سابقا .

وقال عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني السيد كريم مروة : « إن سبب الأحداث الجارية في بيروت الغربية يكمن في الأزمة التي أدت إلى انقسام في منظمة التحرير الفلسطينية وسببها الاتجاه اليميني في المنظمة ومحاولة بعض القوى الرجعية لتوظيف ذلك في الصراع الداخلي اللبناني »[٢٤٩]؟

وهكذا صار يلزمنا مكبّر عصري وحديث ، لنعيّن « حسنات » هذا الفريق أو ذاك ، و « سيئات » هذا الفريق أو ذاك ، وربما لن نقدر على ذلك مهما يكن هذا المكبّر متطوراً ومتقدماً .

ماذا كان سيحدث للشيعة (اللبنانيين) — في بيروت — لو أن سوريا قلبت لهم ظهر المجن ، أو هي تغيّرت عليهم وعادتهم ؟

يذكر المرحوم ساطع الحصري (أبو خلدون) أن« كنغسلي مارتن » (Kingsley Martin) ، أحد أركان الصحافة الانكليزية ، قال في أحد اجتماعات لجنة التعاون الفكري التابعة لعصبة الأمم ما مؤداه :

---

(٢٤٩) قال السيد مروة ذلك في حديث الى التلفزيون الفرنسي وزع نصه الحزب الشيوعي اللبناني ، عن « السفير » ١٩٨٥/٥/٢٢ .

« إن الحرب تبيح للإنسان أن يخرج على الكثير من المبادىء الأخلاقية التي شبَّ عليها ، وتحتّم عليه أن يقدم على أعمال كثيرة ، تعتبر من المحظورات في الأوقات الاعتيادية ، فلا غرابة إذا ما جعلت الكذب مباحاً ، بل إذا ما أظهرته بمظهر الواجب في بعض الأحيان . . . » (٢٥٠) .

وكتب الدكتور سامي مكي العاني يقول :

« ويتولى الخلافة الإمام علي ، وتندلع الحرب بين المسلمين يوم الجمل ، حيث خرجت السيدة عائشة راكبة جملاً ، مطالبة بدم عثمان ، والاقتصاص من القَتَلَة ، وتطورت الأمور وتعقدت ، وحاول كثير من العقلاء الإصلاح فلم تفلح جهودهم ، واشتعلت الحرب بين الفريقين ، وسالت دماء المسلمين ، وكان الشعر العين الساهرة لتسجيل وقائع تلك الأيام السوداء من تاريخ المسلمين ، ومن تلك الصفحات التأريخية التي حفظها الشعر ان محمد بن طلحة كان في جيش السيدة عائشة ، فجعل لا يحمل عليه أحد إلاّ حمل عليه وهو يردد : حمٓ لا يبصرون . فتقدم إليه أحد أنصار علي فطعنه طعنة قاتلة ، ثم قال أبياتاً مزج فيها بين رأي جماعته السياسي ،

---

(٢٥٠) الحصري : صفحات من الماضي القريب ، المذكور سابقا ، من حديث اذيع من راديو بغداد سنة ١٩٤١ عنوانه « أصول ستر الحقائق » .

وبين ما عرف من تعاليم الدين ، حيث وصف ضحيته بالتدين ، وقلة الأذى للآخرين ، فالشاعر يعرض هنا الصراع النفسي الذي كان يعانيه المقاتلون ، لأن الطرفين في القتال من المسلمين.

يقول :

« وأشعثُ قوّامٌ بآيات ربه
قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكتُ له بالرمحِ جيب قميصه
فخرّ صريعاً لليدينِ والفم
يذكّرني حمٓ والرمح شاجر
فهلاّ تلا حمٓ قبل التقدم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً
علياً ، ومن لا يتبع الحق يندم »

أضاف الدكتور العاني يقول :

« وما تكاد تنتهي أيام الجمل السوداء حتى تقرع وقعة صفين الدامية أبواب الفتنة من جديد ، وتطول أيامها وتتوالى ضحاياها من الفريقين المسلمين » (٢٥١) .

---

(٢٥١) د. سامي مكي العاني : الاسلام والشعر ، المذكور سابقا ص ١٨٨/١٨٩ .

إذا كان هذا هو حال المسلمين ، بعضهم مع بعض ، فماذا نقول للمسيحيين إذاً ؟

كان الله في عون المسيحيين ... إذا حاربوا مقتولون وإذ صالحوا مقتولون ؟

إن الرماح الفلسطينية شواجر ، أي مختلفة الطعن ، كذلك الرماح « الوطنية » و « التقدمية » و « القومية » و « الإسلامية » فيما الرئيس الجميل يقول ، كل يوم ، ألف «حتم لا يبصرون»

وبيروت أيضاً تقول كل يوم ألف « حم لا يبصرون » .

وكما بيروت كما طرابلس وصيدا وجزين وزحلة وصور ، وكل المدن والقرى اللبنانية .

ومع ذلك هتكها الفلسطينيون ثم هتكها الذين حملوا السلاح سواء معهم أو عليهم .

في كل حي وشارع ومنزل من لبنان ، زرع السلاح الفلسطيني و « اللبناني » الحزن والحقد والخوف والوجع والبغضاء .

وفي كل حي وشارع ومنزل من لبنان ، يصرخ أطفال

ونساء وشيوخ : كفى . كفى . كفى . ارحمونا . ارحلوا عنا . دعونا نعيش ! ! !

فلسطيني آخر كبير لم نستعرض مواقفه حتى الآن ، هو الأمين العام لـ « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » الدكتور جورج حبش ، نائبه « أبو علي » مصطفى . ولقد تعمدنا تأخير الكلام عنه ، لأن « المشوار » معه أطول وأكثر إثارة.

فإلى الدكتور جورج حبش ، الموضوع الأخير في بحثنا الذي طال ربما واستطال ، وإلى الخاتمة .

رابعاً : الدكتور جورج حبش يهيّج الخليج

لا أرى اختلافاً بين « الملك المخلوع » — ياسر ع فات وبين الأمين العام لـ « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » الدكتور جورج حبش ، إلا كون الثاني « مسيحياً » أي ممن«لا حق لهم في ملك ولا إمارة » .

إلى الكويت جاء ، للمرة الأولى ، الدكتور حبش ، واتصل بأميرها ومشايخها ، وقبل أن يغادر الأراضي الكويتية عقد مؤتمراً صحافياً قال فيه : « إنني أعتبر سوريا مسؤولة عن « حرب المخيمات » في بير ت ، وإنني ككثيرين آخرين من الفلسطينيين لست قادراً على الاعتقاد أن (حركة) « أمل »

تجرؤ على اتخاذ مثل هذا القرار (. . .) من دون الحصول على الضوء الأخضر من سوريا » (*°) (٢٥٢) .

لقد أضحكني الدكتور حبش العائد إلى دمشق ، بعدما غاب عنها حوالى الشهرين (٢٥٣) ، ليستقبل طائرة ليبية خاصة وصلت إلى العاصمة السورية تقل مجموعة جديدة من الفلسطينيين واللبنانيين الذين أفرجت عنهم إسرائيل في عملية تبادل مع « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — القيادة العامة » . ماذا

---

(٢٥٢) النهار : ١٩٨٥/٦/١١ .

(*°) وكان سبق للدكتور حبش ان اعلن من الجزائر ، يوم الخميس ١٩٨٥/٥/٣٠ ، ما اعلنه في الكويت ، اذ قال يومذاك ما حرفيته : « ان الهجمات الشرسة التي تشنها حركة « أمل » على المخيمات الفلسطينية في بيروت تحظى بضوء اخضر من سوريا وتجري بالتواطؤ مع السلطة اللبنانية التي تزج فيها كل قواتها » . وحضَّ حبش « كادرات حركة « أمل » ومقاتليها على رفض الاوامر القاضية بمواصلة المؤامرة على الثورة الفلسطينية » ودعا « كل القوى اللبنانية وسوريا الى وضع حد لهذه الهجمات » . وأشار حبش في مؤتمر صحافي الى ان استمرار « أمل » في هجماتها (على الفلسطينيين) سينعكس سلبا على العلاقات الفلسطينية ـ السورية ، وكرر ان الهجمات ما كانت لتقع « من دون الضوء الاخضر لسوريا » .
انظر النهار ١٩٨٥/٥/٣١ .

(٢٥٣) رجع اليها يوم السبت في ١٩٨٥/٧/٢٠ .

قالت لهد مشق ؟ ماذا قال هو للدمشق ؟ لست أدري . وعلى كلٍ يقول المثل : « ظاهر العتاب خير من باطن الحقد » . و « ليس من العدْل سرعة العذْل » . إلاّ انني ما زلت أضحك وأضحك ، من حبش كما من دمشق .

وعلى كلٍّ ، فإن الخليج خائف من الشيعة ، الذين قد يتحولون هناك إلى قرامطة ، وخائف من الفلسطينيين أيضاً . بيد أن الفلسطينيين هم أهون من الشيعة على الخليج والخليجيين ، بل « أفضل منهم » و « أقربُ مودة » إلى الله والمسلمين .

ويمكننا القول إن الخليج هو ودُّ الفلسطينيين وهم أوداده .

و « تأديباً » للشيعة اتخذت دولة الكويت تدابير وإجراءات ضد الرعايا اللبنانيين الشيعة نجم عنها طرد المئات بل الألوف من العائلات الشيعية ، مما حدا الأمين العام للجامعة اللبنانية الثقافية في العالم السيد فؤاد غندور (شيعي — من النبطية — الجنوب) أن يوجّه برقية إلى أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح يطالبه بالعودة عن هذه التدابير والإجراءات « كي تبقى العلاقات الطيبة والأخوة بين الشعبين » (٢٥٤) كما وجّه برقية مماثلة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد

---

(٢٥٤) النهار : ١٩٨٥/٨/١ .

الشاذلي القليبي ناشده فيها التدخل السريع لوقف حملة ترحيل اللبنانيين (الشيعة) من الكويت » [٢٥٥] !

و « تأديباً » للشيعة أيضاً ، دخل الدكتور حبش دولة الإمارات العربية مثلما دخل الكويت . وعلى خطى الشيخ جابر الصباح سار الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان « المتعاطف جداً مع الفلسطينيين والمساند » والقائل فيهم : « انهم إخواني أولادي بل هم أعزّ من إخوتي وأولادي بحكم فقدانهم الوطن وفقدانهم الدولة » [٢٥٦] ؟ !

وبهذا يكون الخليج كله قد مشى على خطى الملك فهد ابن عبد العزيز الذي يعطي «الملك المخلوع » — ياسر عرفات ، بسخاء وبدون حساب .

صدّقْ أو لا تصدّقْ !

المهم أن يبقى الصراع الفلسطيني — الشيعي ، أو الفلسطيني المسيحي ، أو المسيحي — الإسلامي ، أو هذه الصراعات جميعها ، في لبنان ، بشرط أن يبقى الخليج آمناً مطمئناً .

---

(٢٥٥) النهار : ١٩٨٥/٨/١ .
(٢٥٦) الشراع : المصدر المذكور سابقا .

والمهم أيضاً أن يظل « البعبع الأكبر » الخميني بعيداً عن مهد الإسلام والنفط والقرآن .

والمهم أيضاً وأيضاً أن تبقى المخيمات — « الغيتوات » حيث هي ، فيأخذ كل من « أبي عمار » وحبش ونايف حواتمة وأحمد جبريل « حصته » من المال العربي و « الدعم العربي » و « التأييد العربي » ، و « من بعدي الطوفان » حسبما يقول الخليج .

ويقول الخليج أيضاً :

ليحترقْ لبنان !

وليحترقْ العراق !

لكل شيء حسابه . الدم له بديل : إما الزيت وإما المال . القاتل « حقه » محفوظ والمقتول « حقه » محفوظ . اللبناني مثل الفلسطيني مثل العراقي ! إما قاتل وإما مقتول ، سواء على «الطريقة الجنبلاطية» (ذبْح العِدا كارنا) (والكا هو العادة) أو غيرها . لا أحد «يخسر» . لا يضيع « ربح » — « حق » — وراءه مطالب . ودائماً « التعاون » يتم بالسر والكتمان . بل يجب أن يكون « التعاون » بـأقصى السر وأقصى الكتمان .

سئل المفتي خالد : هناك من يعتقد أن أموال ياسر عرفات

تلعب دوراً في إثارة الفتنة . . . فكيف تنظرون إلى هـــذا الموضوع ؟

أجاب المفتي : « انا أسمع الآن الكثير من هذا القول في بيروت ودمشق . وهناك من يقول ان هناك ٢٠٠ مليون دولار صُرفت وأدت إلى سقوط سعر الدولار . . . هذا شيء قد يكون موجوداً ، ولا أستطيع أن أحكم بوجود هذه الدولارات لأنني لم أرَ ولم أحمل هذه الدولارات ولم أتعامل مع أصحابها » .

وقال أيضاً :

« قد تكون هناك إرادات لجهات سياسية متعددة فلماذا لا تكون لنا نحن إرادة كمواطنين ، لنبني وطننا على صورة أمانينا ؟ لماذا نترك المجال للآخرين للعب بنا ؟ . . نحن جادون في العمل على جعل لبنان بلداً للسلام والاستقرار . وهناك كثيرون من أمثالنا ، فلماذا لا يحسب لهؤلاء المخلصين حساب ، بل يُقام الوزن لأولئك الذين يدفعون الأموال ، لطالما ط حنا أفكارنا وتوجهاتنا ، ولكن كانت هذه الطروحات تمنع من الوصول إلى أهدافها . . . وقد يكون ذلك من قبل الذين يصرفون الأموال لغيرهم . فلماذا لا تكون هناك فئات لا تصرف الأموال ، وتعمل على بذر الشقاق مثلاً ؟... » [٢٥٧] .

---

(٢٥٧) الشراع ، المصدر المذكور سابقا .

وما دمنا في الحديث عن الأموال « العرفاتية » و« الخليجية » فلماذا لا نسأل عن الأموال « الخمينية » الفارسية أيضاً ؟

خامساً : من هيّج إيران ؟

إن ما يدعو إلى التساؤل ، فعلاً ، هو أن الزعامة الإيرانية الدينية قد تحركت ولكن بعد ثلاثة عشر يوماً من اندلاع « حرب الغيتوات » ، لوقف « الحرب الداخلية بين المسلمين والفلسطينيين وجماعة من الشيعة اللبنانيين المناضلين » [٢٥٨] ، داعية إلى « التمييز بين الشعب الفلسطيني المسلم المظلوم وبعض قياداته وسياسييه » [٢٥٩] ، ومعتبرة أن « نزع الأسلحة من الفلسطينيين ذريعة ومؤامرة » [٢٦٠] ؟ !

صدر هذا الموقف عن آية الله حسين منتظري ، الذي كلف وفداً من كبار المسؤولين في « مجلس الشورى الإسلامي » ووزارة الخارجية الإيرانية برئاسة آية الله مهدي كروبي ، ممثل الزعيم الإسلامي آية الله الخميني في المجلس ، التوجه إلى دمشق وبيروت لنقل الموقف الإيراني « الذي يعتبر أن الأحداث الجارية في بيروت مؤامرة من صنع أعداء الإسلام » [٢٦١] ،

---

(٢٥٨) النهار : ١٩٨٥/٦/٢ .
(٢٥٩) النهار : ١٩٨٥/٦/٢ .
(٢٦٠) النهار ١٩٨٥/٦/٢ .
(٢٦١) النهار : ١٩٨٥/٦/٢ .

والسعي إلى « حل هذه القضية بالتعاون مع القيادات الدينية والسياسة في لبنان »[٢٦٢] .

لقد فهمنا أن الخليج هيّجه الدكتور جورج حبش ، الذي جاء إلى الكويت ودولة الإمارات العربية ، ونائبه « أبو علي » مصطفى ، إذ صرح في دبي « ان قوات الحزب التقدمي الاشتراكي منعت القوات الفلسطينية المرابطة في الجبل من استخدام مدفعيتها وراجمات الصواريخ لدعم المدافعين عن المخيمات الفلسطينية في بيروت بسبب تعرضها لضغوط »[٢٦٣] إلاّ اننا لم نفهم من هو مهيّج إيران غير آية الله منتظري الذي ألقى كلمة لدى استقباله وفداً من الطلاب والعلماء اللبنانيين ممن يتابعون دراستهم في مدينة قم ، ومما قاله :

« بعد أمر القرآن بوحدة الكلمة بين طوائف المسلمين في زمن النبي (ص) وبعد السعي الحثيث من قِبَل النبي الكريم (ص) إلى تثبيت هذه الوحدة (؟) ، بعد هذا كله قام اليهود في ذلك الوقت والذين كانوا هم العدو الرئيسي للإسلام والقرآن بمؤامراتهم ضد الإسلام ، وذلك بدس اشخاص ذوي ميول معروفة بين طائفتي الأوس والخزرج ليذكّروهم بالأحقاد الماضية التي كانت بينهم قبل الإسلام ويستفيدوا هم من ذلك .

---

(٢٦٢) النهار : ١٩٨٥/٦/٢ .
(٢٦٣) النهار : ١٩٨٥/٦/٢ .

وعلى أثر هذه الإثارات كادت الحرب الداخلية أن تقع بين المسلمين وتؤدي إلى إراقة الدماء ، وعلى أثر ذلك نزلت الآية الشريفة : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »[٢٦٤] تحذر المسلمين من تفرقة الكلمة والنزاعات الداخلية وتدعوهم إلى الاتحاد في مقابل العدو » .

تابع يقول :

« إن إسرائيل والدول العظمى الاستعمارية قد غُلبت أمام مقاومة المسلمين اللبنانيين ولاذت بالفرار ، ولأجل ذلك فإن إسرائيل وأميركا ركزتا جهودهما تجاه وحدة الكلمة للمسلمين اللبنانيين وهما تعلمان جيداً أن هذه الوحدة بين المناضلين المسلمين الشيعة والسنّة الفلسطينيين واللبنانيين إذا استمرت هكذا فإن كل جهودهما الاستعمارية تبوء بالفشل ولأجل ذلك حركت أشخاصاً معينين لهم أهداف سياسية معينة وذلك بحجج بسيطة تحت ستار الشيعة فدفعوا مجموعة من الشيعة لتصطنع الحرب الداخلية بين المسلمين والفلسطينيين وجماعة من الشيعة اللبنانيين المناضلين ليختلقوا حوادث في لبنان ما زال مبتلى بإسرائيل وحلفائها وليكون ذلك حرب الإسلام والتشيّع » .

---

(٢٦٤) آل عمران : ٣ .

وقال أيضاً :

« وأما نزع الأسلحة من الفلسطينيين فإنه ذريعة ومؤامرة من إسرائيل وأميركا لأنهما تريدان بذلك ألاّ تبقى في المنطقة قوة مسلّحة ، باستثناء الصهاينة والكتائب لكي يتمكنوا من القيام بأي ظلم وجناية ويريدونها من دون أن يقاومهم أحد »[٢٦٥] .

على هذا أوفد منتظري إلى بيروت آية الله كروبي ، ولا بد أن الأخير حمل معه « المساعدات الإسلامية » العجمية من كل حجم ولون . من الذي قبض ؟ من الذي صرف ؟ لا نعرف طبعاً ، وإن كان بعض من الذين يقبضون ويصرفون معروفاً تماماً . أليس « التعاون » بين « المؤمنين » بالسر والكتمان ، أقصى السر وأقصى الكتمان ؟

ولعلّ المسألة الأهم هي : ممن استقى آية الله منتظري هذه المعلومات « الشاملة » « الكاملة » ؟

الواضح أن الطلاب « والعلماء » اللبنانيين ، ممّن يتابعون دراستهم في قم ، هم الذين بلّغوه هذا « الدرس الوطني » و « الإسلامي » . إلاّ اننا لا نستبعد أن يكون السيد محمد حسين فضل الله أو نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ،

(٢٦٥) النهار : ١٩٨٥/٦/٢ . ان نص هذه الكلمة وزعته سفارة الجمهورية الاسلامية في بيروت .

الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، أو السيد حسين الموسوي ، أو الشيخ الطفيلي (الأخيران مسؤولان عن « حزب الله ») ، أو الأربعة معاً ، هم الذين أعطوا هذه « التعليمات » إلى آية الله منتظري ، إما مباشرة وإما بالواسطة ، وعلى قول المثل العامي « البغض بالأهل والحسد بالجيران » ! !

والواضح أيضاً أن منتظري وكروبي والذين أمدوهما بهذه الأفكار والآراء إنما هم من الكارهين للوزير بري بكل تأكيد . ولست أدري ما هو الفرق بين مهيّج الخليج (الدكتور جورج حبش) ومهيّج ، أو مهيّجي ، إيران وكل العرب والمسلمين ، كما لا أدري ما هو الفرق بين الإسرائيلي والفارسي ، على صعيد العداء للعرب والمصالح العربية . ومن عجائب الدهر أن يرى منتظري إلى « الإسرائيليات » في الإسلام –يبدو أنه لم يفطن لعبد الله بن سبأ وما له من أثر في الشيعة والتشيع –[٢٦٦] ولا يرى إلى « الفارسيات » في الدين

(٢٦٦) عن الشيعة وعبدالله بن سبأ اليهودي ، أنظر « الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان » بقلم :محمد الصادق عرجون (شيخ علماء الاسكندرية) الصادر عن الدار القومية للطباعة والنشر بمصر ، بدون تاريخ ، من ص ٢٠ الى ٣٢ . ومما قاله المؤلف : « كان رأس هذا اللون المعتم من التشيع ذلك الرجل=

نفسه ، فيما الخطر الذي نتج عن تدخل الفرس في الإسلام والشؤون الإسلامية ، ما كان أقل من خطر اليهود ! !

أما أن يزعم منتظري أن اليهود « دسّوا رجالاً من الأوس والخزرج » و « ذكّروهم بالأحقاد الماضية التي كانت بينهم قبل الإسلام » فهذا من الأخطاء التي طالما كررها الكثير من المؤرخين والمفكرين . وإذا شاء آية الله منتظري أن يدرك الحقيقة مثلما هي ، فليقرأ معنا حوار السقيفة ثم تعليقنا عليه !

= اليهودي الخبيث عبدالله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وكان من يهود اليمن ، انتحل الاسلام لاغراض كان يسترها ، وقد كشفت عنها دعوته المارقة » (ص ٢١) .

ترى ما الذي يميز بين كعب الاحبار ، الذي مر ذكره ، وبين ابن سبأ ، وكلا الاثنين يهودي يمني ؟

واذ يُعتبر كعب الاحبار ، في نظر السنّة ، « تابعيا » وقد « اخذ عنه الصحابة اخبار الامم الغابرة » ، فان الشيعة لا يرون راي السنّة هذا بل يحسبون كعبا « خبيثا ومارقا وكذابا » ، فكأن الاختلاف بين السنّة والشيعة هو للاختلاف فحسب.

جاء في كتاب « مفاهيم قرآنية » [٢٦٧] لمؤلفه الدكتور محمد أحمد خلف الله ما يلي :

« حدثَت عند وفاة النبي عليه السلام ، وقبل أن يُدفن ويُوارى جسده في التراب ، ان اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليستخلفوا سعد بن عُبادة زعيم الخزرج نائباً عن رسول الله .

« كان سعد يخطب في قومه الأنصار عندما سمع أبو بكر عن هذا الذي يحدّثُ في السقيفة فذهب إلى هناك وبصحبته عمر بن الخطاب وأبو عبيدة .

« كان ختام مقالة سعد للأنصار : فاستبدوا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون الناس .

« وردّ عليه أبو بكر مقالته ، وكان مما قال في شأن المهاجرين (الأولين) : فهم أول من عبد الله في الأرض ،

---

(٢٧٦) مفاهيم قرآنية : ٢٢١ صفحة من القياس الوسط، منشورات « عالم المعرفة » الكويت رقم (٧٩) شوال ١٤٠٤ هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٤ . ننقلها كما هي مختصرة ، ومن اراد التوسع فليرجع الى « السيرة النبوية » لابن هشام ، الجزء الرابع ، موضوع « سقيفة بني ساعدة » ص ٢٢٥/٢٢٨ .

وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك ظالم . . .

« وردّ أحد الأنصار على أبي بكر ، وكان مما قال : يا معشر الأنصا ، املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم ، ولن يجترىء مجترىء على خلافكم ، ولن يصدر الناس إلاّ عن رأيكم . . .

« وردّ عمر قائلاً : من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلاّ مدلٍ بباطل ، أو متجانف لإثم ، أو متورط في هلكة . . .

وردّ الحبّاب بن المنذر على عمر قائلاً : يا معشر الأنصار ، املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبَوا عليكم ما سألتموهم فاجلُوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم . . .

« واحتدم الجدل إلى حد امتشاق السيوف فيما يحكي الطبري وغيره من المؤرخين المسلمين . وعند هذا الحد تدخل أبو عبيدة وقال موجهاً القول للأنصار : يا معشر الأنصار ، كنتم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدّل وغيّر .

« واستجاب نفر من الأنصار لمقالة أبي عبيدة ، وكانت ردود الفعل عندهم ما انتهى إليه الأمر من قولهم : ألا إن محمداً صلى الله عليه وسلّم من قريش ، وقومه أحق به وأولى . . .

« وعندئذ قال عمر لأبي بكر : ابسطْ يدك . . . وبسط أبو بكر يده ، فبايعه عمر قائلاً : ألم يأمرْك النبي بأن تصلي يا أبا بكر بالمسلمين ، فأنت خليفة رسول الله ، فنحن نبايعك لنبايع خير من أحب رسول الله منا . . .

« وبايع الحاضرون في السقيفة أبا بكر بعد عمر ، وفي اليوم التالي بايع الناس أبا بكر في المسجد . . . » [٢٦٨] .

لن نستطرد تفسير هذا « الحوار » ، إذ إنه واضح وصريح . الأنصار هم « أول من نصَر وآزر » كما قال أبو عبيدة الجراح ، بل هم الذين فتحوا قلوبهم ومنازلهم لمحمد وأصحابه ، بل هم سيف النبوة ، ولولاهم ربما ما بقي محمد والمهاج ون الأولون والإسلام .

ولكن هؤلاء لا يكون لهم سلطان محمد وإمارته !

لأنهم ليسوا من قريش !

---

(٢٦٨) مفاهيم قرآنية : ص ٥٩/٦٠ .

المهم أن المسلمين « اعتصموا بحبل الله » . . . أي بحبل قريش ، ونزلوا عند رغبة المهاجرين الأولين ، ولو لم يفعلوا ذلك لحدث ما حدث .

ولكن ، ألمْ تُصرف الأموال الطائلة في تلك « المعركة » ، لتغليب المهاجرين على الأنصار ، كما تُصرف الدولارات ، اليوم ، لتغليب هذا على ذاك أو ذاك على هذا ؟

لقريش وحدها « الحق » في سلطان محمد وإمارة محمد ...

ولقريش وحدها « الحق » في « السلطان الإلهي » و « الإمارة الإلهية » .

إذن ، فالويل ثم الويل لمن خالف هذا « الأمر الرباني » العظيم .

وما حدث في سقيفة بني ساعدة يحدث مثله في كل قطر ... وكل زمان .

إن سياسة « قمْ لأجلس مكانك » هي قديمة العهد ولن تموت . ومن يملك القوة فله الحق دون سواه ! !

لقد تدخل آية الله منتظري في « حرب المخيمات » عشوائياً ، تماماً مثلما تدخل أصحاب الخليج والقذافي والحسين

وصدام حسين وحسني مبارك والشاذلي القليبي وغيرهم وغيرهم من العرب الذين « كعادتهم خافوا على العار أن يُمحى » (٢٦٩) كما خافوا من « الحَوَل » الفلسطيني الذي قد لا يميّز ، إذا ما ضاقت حدقتا عيني « الثورة » ، بين لبنان والخليج ، فتساوى العرب والفرس ، كما تساوى مهيّج الخليج الدكتور جورج حبش ، والذين هيّجوا إيران من الشيعة اللبنانيين . ان هؤلاء جميعاً قد تساووا أيضاً و « الملك المخلوع »— ياسر ع فات ، صاحب الدولارات .

إن الفلسطينيين ، على كل حال ، مطلبهم « واضح » جداً جداً . فهم لا يريدون من العرب سوى « الدعم المالي الدائم » ورأس الحسين (الملك) . ولكي ينولوا مطلبهم هذا أرادوا رأس الموارنة ثم رأس الشيعة ، وربما طالبوا غداً برأس الدروز .

والأسف، كل الأسف، هو أن ذوي « الرؤوس المطلوبة » قد علّمتهم « حرب علي ومعاوية » أن لا يتفقوا أبداً ، فكأنهم ذئاب لا يرعوون حتى يعمل السيف فيهم .

آه من « حرب علي ومعاوية » !

---

(٢٦٨) نبيه بري : النهار ١٩٨٥/٥/٢٦ اخذه عن الشاعر عمر أبي ريشة .

الخاتمة

نصل إلى الكلمة الأخيرة ، وفي الدار البيضاء قمة عربية « بمن حضر » ، وفي دمشق قمة سورية – لبنانية هي الثامنة وليست الأخيرة .

عن العرب صدر بيان يؤكد « الالتزام الكامل بجميع بنود ميثاق التضامن العربي الذي أقرّه مؤتمر القمة الثالث المنعقد في الدار البيضاء في شهر أيلول ١٩٦٥ » .

وفي الدار البيضاء أيضاً صمّم العرب « على حلّ الخلافات بين بعض الأشقاء » .

كيف ؟

يقول « البيان العربي » :

« فتسعى لجنة مؤلفة من المملكة العربية السعودية والجمهورية التونسية للتوفيق بين المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية ، وبين الجمهورية العراقية

والجمهورية العربية السورية ، وتسعى لجنة مؤلفة من المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة والجمهورية الإسلامية الموريتانية للتوفيق بين الجمهورية العراقية والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية ، وكذلك بين منظمة التحرير الفلسطينية والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية .

وتقدّم اللجان تقاريرها إلى رئيس المؤتمر جلالة الملك الحسن الثاني .

ويناشد المؤتمر الأشقاء التجاوب مع هذه المساعي بروح الأخوّة العربية الصادقة » .

ليتهم قالوا بالتوفيق وتنقية الأجواء بين كل العرب وكل العرب .

وبعد « حرب الخليج » و « اتفاق عمان » يأتي الكلام على لبنان ، فيقول المجتمعون ، والصحيح يقول البيان :

« ونظراً لما عانته المخيمات (الغيتوات) الفلسطينية بعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ، وما تلا ذلك من مجازر ومذابح ، واتقاء لخطر التهجير والتشريد الذي يهدّد الوجود الفلسطيني في تلك المخيمات ، وحرصاً على سلامة هذا الوجود وعلى حق الشعب الفلسطيني في العمل والتنقل ، وتمتيناً لأواصر الأخوة اللبنانية – الفلسطينية (؟) يدعو المؤتمر الحكومة اللبنانية (؟) ومنظمة

التحرير الفلسطينية (؟) إلى التعاون والتنسيق بينهما ° ما يتعلق بالشؤون الفلسطينية وحماية المخيمات الفلسطينية الموجودة في لبنان طبقاً للاتفاقات المعقودة بينهما » (؟) .

كان هذا من العرب وعنهم ...

فماذا عن لقاء دمشق ومنه ؟

قيل « إن قمة دمشق هي ردّ على قمة الدار البيضاء » ، وقيل « إن الرئيس الجميّل عاد من العاصمة السورية متفائلاً » و « الرئيس الأسد ضحك كثيراً كثيراً » ! !

وقيل أيضاً : « إن دمشق أبدت ارتياحها للمواقف التي صدرت عن رئيس الجمهورية الشيخ أمين الجميل في مؤتمره الصحافي الذي عقده في قصر الضيافة قبل أن يغادر إلى بيروت ».

وقيل أيضاً وأيضاً : « والأهم من هذا وذاك أن وسائل الإعلام السورية أكدت يوم الجمعة الموافق ٩ آب ١٩٨٥ أن سوريا « عازمـــة أكثر من أي وقت مضى على طي الملف اللبناني ، حتى يتسنى لهذا البلد استعادة مكانته في العالم العربي » .

جيد ...

إذن لنحاول أن ننسى « حرب علي ومعاوية » ، القديمة

منها والحديثة ، بل يجب أن ننسى هذه الحرب وتاريخيتها . فلأجلها رأينا العجائب والغرائب ، ولأجلها أيضاً ينقلب الحلال حراماً والحرام حلالاً ...

ولكن ، هل إذا نحن نسينا هذه الحرب ، سينساها العرب والمسلمون ؟ !

قد تقول : ما لنا وما للمسلمين . ما يهمنا هنا العرب ... والعرب فقط .

عال .

ولكن العرب بعضهم لا يحب بعضاً ، أو كما تقول في ورقتك السابعة :

« وهكذا حين تم الانفصال الكامل بين أجزاء الأمة ، فلم يعد أحد مهتماً بأحد غيره ، بل ان البعض أخذ يفرح ويسعد بمصائب غيره لتوهمه أنه سيجني مردوداً طيباً ، نتيجة غياب الآخر ، ان على مستوى السياسة والزعامات أو على مستوى الاقتصاد والخيرات ، أو على مستوى المكانة الدولية واعتباره قطب المفاوضات ومرجعها » (١٩٨٥/٧/٢) .

أجل . أنت قلت هذا . والعرب ، في الدار البيضاء ، قالوا مثله وأكثر .

فلماذا نحمل على الحكم في لبنان ، والعرب هم المصيبة الكبرى ، بشهادة العرب أنفسهم ؟

ولماذا نحب للحكم ، في لبنان ، والكتائب و « القوات » ما نكرهه لأنفسنا ؟

من عند العرب يبدأ «إصلاح» لبنان . وكلما استمر العرب في خلافاتهم ونزاعاتهم فإن لبنان لا شفاء له ، بل الأنكى والأخطر هو أن البقاء سيكون لإسرائيل ، التي ندّعي محاربتَها والعملَ على إزالتها .

قالت صحيفة « تشرين » السورية :

« إن المسألة اللبنانية التي هي من أكثر عناصر الصراع العربي في المنطقة أهمية ، أريدَ لها أن تكون جزءاً من الصفقة التي يرتّبون لها الآن لتمرير المخطط الخطير الذي سيقود إلى كارثة قومية إذا استطاع إنهاء الصراع العربي – الإسرائيلي» (١) .

وأعربت « تشرين » عن « دهشتها إزاء كون عواصم الردة العربية قد جعلت من تخريب لبنان وتدميره مركز التقاطع لكل اهتماماتها والمحرق الذي يصب فيه كل هذا الكلام

---

(١) عن « السفير » : ١٩٨٥/٧/٢٨ .

الرجعي مالاً يتدفق بلا حساب وأزلاماً ما كانوا يوماً يتجرأون على قتل لبنان » (٢) .

لذلك ،

وبناء على ما قاله العرب في الدار البيضاء

وبناء على ما قاله « أبو علي » مصطفى في رده عليكم

ولأن الرئيس الأسد هو في وضع يُحسَد عليه

ولأن « الملك المخلوع » – ياسر عرفات – هو في صدد البحث عن « مملكته » الضائعة أو المهدّمة أو المصادَرة .

ولأن الحسين (الملك) رأسه مطلوب

ورأس الموارنة وكل المسيحيين مطلوب

ورأس الشيعة مطلوب

ورأس الدروز مطلوب

ولأن إسرائيل « وُجدت لتبقى »

ولأن « الشرق شرق » و « الغرب غرب »

ولأن اليسار يسار واليمين يمين

---

(٢) المصدر نفسه .

ولأن الحرية « كفْر » أو « زندقة » أو « إلحاد » .

ولأن المغرب يطارده المشرق

ولأن المسلمين والعرب يبنون أمجادهم على « حرب علي ومعاوية »

ولأن معاوية بن أبي سفيان هو غريب في عاصمته أو مجهول

فإن الثورة الفلسطينية لن تكون في « الـداخل » ولا « لشعب الداخل » ... حتى ولا في أي مكان . وكما الثورة الفلسطينية كذلك « الإصلاح » اللبناني والأمن اللبناني والسيادة اللبنانية ... أيضاً الوحدة العربية التي هي أملنا جميعاً . ان هذه ، يا للأسف ، أضغاث أحلام ليس إلاّ .

حقاً ، لقد تصرفت القيادةُ الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في لبنان ، بمنطق « آخذه أنا أو أخرّبه على غيري » (ما رأيك بمنطق « قمْ لأجلس مكانك » ! أو « حمّلْ وارْحَلْ » « أو ملصق « الباخرة أو الآخرة » ؟) كما تقول في ورقتك السابعة نفسها .

إذن ، ما الفرق بين « المنطق الفلسطيني » و « المنطق الإسرائيلي » ؟

وبالتالي ، ما الفرق بين أي من هذين المنطقين و « المنطق

الجنبلاطي » : « يا قاتل يا مقتول » . و « ذبْح العِدا كارنا » ، أو المنطق « الأمَلي » (الشيعي) : « لقد انتهى حكم الطائفة أو الطائفتين » ؟

لكي ننقذ أنفسَنا من اليهود لا بد أن نتحرر من شر الفلسطينيين ، والعكس صحيح .

ولكن ، هل تسمح بذلك « حـ ب علي ومعاوية » ؟

قلنا : يجب أن ننسى هذه الحرب القديمة والحديثة

إلاّ أننا لم نقل : يجب أن يسكت الشيخ سعيد شعبان وكل نجوم « حرب الحج والوحدة الإسلامية » ومن معهم ، في الداخل والخارج .

لأجل « حرب علي ومعاوية » تتساقط « أشياؤنا العزيزة الغالية » وتندحر الأفكار العظيمة البنّاءة ، لتصبح مهمتنا فقط نبش القبور وجرف البيوت وتهجير الناس وتجويعهم وقتلهم حتى في الملاجىء ، ومن قصّر في هذا الأمر أو تدانى أو فتَر فهو « كياني » و « شوفيني » و « شعوبي » و « انعزالي » و « كافر » ، « عليه لعنة الله إلى يوم الدين » ؟ !

آه من « حرب علي ومعاوية » !

وألف آه من اليهود والفلسطينيين !

صحيح أن في سباعيتك مـــا يشبه أقوالاً لنا كثيرة ، أطلقناها ونشرناها يوم كنتم في حمى « ملك الفاكهاني » المخلوع – ياسر عرفات – الذي خدعكم كما خدع العرب وملوك العرب ورؤساء العرب ومذاهب العرب وأحزاب العرب وأئمة العرب وفقهاء العرب ، إذ قال ويكرّر القول : « أنا أواجه أميركا ورأس رمحها إسرائيل » ؟ !

ولكن الذي لا يعزّيني هو ان « القوميين » و« الوطنيين » و« التقدميين » قد تحوّلوا إلى « مجرد مذهبيين » على ما جاء في ورقتك الأخيرة .

آه من « حرب علي ومعاوية » !

فهي أمّ لحروبنا كافة، بما فيها حرب الدروز والموارنة، وحرب «الغيتوات»، وحرب المسلمين والمسيحيين ، و « حرب المسجديْن » و « حرب الوظائف » و « حرب الحـــج » وحرب الفلسطينيين والفلسطينيين ، وحرب طرابلس ، وحرب الرمال ، وحرب الماء ، وحرب الثغور ، وحرب النفط ، وحرب الرغيف ، وحرب الخليج ، وحرب العرب والعرب ، وحرب النظام والدستور اللبنانيين .

نحن نعرف أن « حرب علي ومعاوية » بدأت من سقيفة بني ساعدة، حيث تَقاتل « المهاجرون الأولون » و « الأنصار » ولكننا لا نعرف متى ستنتهي وأين وكيف .

آه من « حرب علي ومعاوية » !

* * *

أكرّر خوفي على « السفير » وطلال ... والطِلال ، كما على الأعناق والأرزاق وسائر المواضع المرتفعة .

حماكم الله !

بيروت – السبت ١٠ آب ١٩٨٥

مصطفى جحا

الكتاب الثاني

سُباعيّة طلال سَلمان

دَعوة الى الانقاذ... بالحوار

المحتويات

- ١ -

عن محنة "السفير" والصحافة
كتعبير عن الأزمة في العمل الوطني والقومي

اخطر المفارقات التي فرض علينا أن نعيشها في أيام التعاسة هنا ، انه بمقدار ما تتزايد مواضيع الخلاف والاختلاف والتعارض في وجهات النظر حول الاساسي من شؤون البلاد والعباد ، تضيق دائرة الحوار الديموقراطي ، ساعة بعد ساعة،ويضيق هامش الصراع بل والعمل السياسي بأشكاله المألوفة والمشروعة والضرورية ، ويصبح السلاح وحده هو الحكم وحامله فقط صاحب الحق بالكلام ،وكلامه هو القرار النافذ .

وبقدر ما تضيق دائرة الحوار يتضاءل ، طردا ، دور الرأي والمنطق والحجة ، وبشكل عام كل ما هو « علني » و « شامل »،وكل ما له طابع الاستقلال في التفكير والاجتهاد، ويتضاءل دور المؤسسات الديموقراطية من الحزب الى النقابة فالى الجمعية والرابطة ، ومن البرلمان (حيث يوجد!) الى المجالس البلدية والهيئات الاختيارية والمخاتير (حيث ما يزال المنتخبون منذ بداية السبعينات احياء يرزقون ويبصمون !) . . .

وفي هكذا مناخ فان الصحافة تكون بين أولى الضحايا التي تسقط توكيدا لغلبة الرأي الواحد والصوت المفرد ،

ولضمان انضباط القاعدة من خلف قياداتها الملهمة والمعصومة !

وبالمقابل فان هيئات ومؤسسات أخرى ستتقدم ، بالضرورة ، لاحتلال المساحات المفرغة من النشاط السياسي والحزبي والفكري والدعاوي العلني .. وفي حالة لبنان فان « الفراغ » الذي خلفه غياب او تغيب الدولة ومؤسساتها المدنية والعسكرية ، التشريعية والتنفيذية ، وغياب أو تغييب الاحزاب والهيئات السياسية والنقابية قد احتلته ثلاث « مؤسسات » من طبيعة مختلفة تماما وهي :

١ ــ الميليشيات ، وهي شيء آخر غير الاحزاب حتى لو استعارت اسمها وبعض شعاراتها ، فالحزب تنظيم سياسي له برنامجه المعلن وله قياداته المعروفة بمؤسساتها وتسلسلها الهرمي ، أما الميليشيا فمجاميع من الانصار والمحازبين يأتون مدفوعين بالعاطفة والحمية فيتم تدريبهم (عسكريا) على عجل ، أما تثقيفهم وتوعيتهم والزامهم أو حتى تعريفهم الجدي ببرنامج الحزب أو التنظيم فيرجأ الى « ما بعد حسم المعركة » التي تحتاج « الى مقاتلين وليس الى فلاسفة ومنظرين »...وهكذا فان رجال الميليشيا يصبحون « قوة مقاتلة » علاقتها بالسياسة رمزية الى حد كبير ، يتوحدون مع السلاح ومع الشعارات الايمانية البسيطة والمطلقة ، قياداتهم موضعية ومحلية تتصرف وفق «الحالة على الارض » أمامها اكثر مما بقرار مركزي . ولذا فان قادة « المحاور » و « السرايا » و « الفصائل » يملكون في العادة من السلطة الفعلية (سلطة النار) أكثر مما لرجال الصف الاول من« سياسيي » التنظيم ، هذا باستثناء القائد أو الامين العام أو الرئيس الذي لا بد من الحفاظ على مكانته

حرصا على « شرعية الانتماء أو الارتباط » بالتنظيم ولو عبر خط مباشر به شخصيا أو بمكتبه حيث مركز السلطة المطلقة ومصدرها .

اذن « فالارض » لا السياسة هي التي توجه فصائل الميليشيا وقادة « المحاور » الذين لا يعرفهم الا القلة القليلة، في حين لا يملك « سياسيو » التنظيم حق التوجيه دائما ، وهكذا يضيع الناس فلا يعرفون الى من يتجهون : الى صديقهم صاحب الصورة ام الى « صاحب الامر » الذي لا تكاد تظهر له صورة ، ولا يضطره موقعه الى تحديد موقف. ولا يصل منه الى الناس الا اسمه الحركي ، بينما مسؤولياته تشمل أمن منطقتهم ومصالحهم وارزاقهم وحياتهم ذاتها؟!

على ان الاخطر في هذا المجال يظل ان الحكم يتحمل مسؤولية كبرى في تحويل الجيش الى ميليشيا مثلها مثل الميليشيات الاخرى في ارتباطها وتوجهاتها وممارساتها وصولا الى الاسماء الحركية .

٢ ــ أجهزة المخابرات وفيها المحلي والاجنبي ، وفيها الصديق والعدو وصديق العدو وعدو الصديق . واذا كانت حوادث الشهور القليلة الماضية واحداثها قد كشفت بعض عمليات المخابرات الاميركية والاسرائيلية (وحتى الفرنسية) في بيروت وصيدا وأنحاء من الجبل والبقاع والجنوب والشمال ، فان عمليات أخرى معروفة قد كشفت تورط جهاز المخابرات اللبنانية ، وصدرت اتهامات علنية وعن مراجع رسمية وشعبية تحمّل هذا الجهاز المسؤولية المباشرة عن محاولات اغتيال بعض الشخصيات (الرئيس الحص مثلا) وتفجير سيارات مفخخة والتحريض على الفتن واشعال نارها في غير مكان .

وفي ظل تعطل دور الدولة ، الجهة ذات المسؤولية الشاملة عن امن الوطن والمواطن ، وفي ظل البطالة السياسية السائدة وانحسار دور الاحزاب والهيئات الشعبية ومؤسسات الاعلام والتنوير ، كالصحافة ، تكاد تنعدم الرقابة العامة ، فيسرح رجال المخابرات ويمرحون، مستغلين حالة التمزق التي تعيشها البلاد فيندس بعضهم هنا وبعضهم هناك يعبىء ويحرض وينفخ في النار كلما صارت الى همود، ويضرب حيث يعرف أن ضربته ستهيج العواطف والغرائز والاحقاد ، مما يعطل دور العقل وليس فقط العمل السياسي ويدفع الناس الى اتون الاقتتال الاهلي مستعيدين في ظل تصاعده تقاليد الجاهلية والغزو والحملات الصليبية وتراث التتار والمغول جميعا ودفعة واحدة .

وفي مجال تبرير القصور كان بعض مسؤولي جهاز المخابرات اللبنانية يردد ان ثمة ٢٢ جهاز مخابرات اجنبية تنشط في لبنان عموما ، وفي بيروت الغربية خصوصا ،بينها ١٦ جهاز مخابرات غير عربي (بما في ذلك اجهزة الدول الكبرى) ، تضاف اليها أجهزة المخابرات الاسرائيلية .

على ان ما يلفت في وضع المخابرات اللبنانية هو الدور السياسي العلني الذي اناطه بها الحكم ، فندر أن رأينا أو سمعنا عن تكليفات سياسية مباشرة لبعض رجال هذا الجهاز كالتي كلفوا بها في لبنان (رسائل الى ملوك ورؤساء والى مراجع سياسية وروحية وحزبية في الداخل والخ) . وطبيعي ان يرى الناس في هذه التكليفات انتقاصا من دور الحكومة والمسؤولين السياسيين وامعانا في تغييب من وما هو سياسي لمصلحة التفرد في الحكم والقرار ، واغراء للآخرين باعتماد الاسلوب ذاته وكأن « لبنان » موضوع أمني اولا واخيرا .

٣ ـ المراجع الروحية لمختلف الطوائف والمذاهب التي اتاحت لها البطالة السياسية وسيادة المناخ الطائفي والمذهبي المتزايد خطورة واتساعا أن تلعب دورا متزايد الاهمية والتأثير في الحياة السياسية في لبنان .

ومع التقدير لدور بعض هذه المراجع التي حافظت على كرامة الرسالة التي تنتدب نفسها لها ، ودابت على مقاومة رياح الفتنة والتوكيد على وحدة الوطن شعبا وارضا، فان عددا من رجال الدين قد راى الفرصة سانحة للقفز الى المسرح السياسي ، مفيدا من ثوبه وعمته والقلنسوة ،ليقول ما لا يجوز قوله ، وليعيد تحديد الحلال والحرام وفق رؤية او مصالح او ارتباطات محددة ، مباريا السياسيين التقليديين في مباذلهم ، مستنفرا في الناس أسباب الانقسام والاختلاف حول امور الدين بدل أن يعزز فيهم عوامل الوحدة الطبيعية على قاعدة الانتماء الوطني والترابط المصيري امس واليوم كما غدا .

واذا كان في النموذج الذي قدمته الثورة الاسلامية لدور رجل الدين ما يبهر ويغري باتباع القدوة ، فمن اسف ان بعض رجال الدين في لبنان قد اساؤوا فهم ذلك النموذج ولعلهم اساؤوا اليه ، الا قلة لعبت وما تزال تلعب دورا متميزا وفذا في الربط بين قضايا الدين وقضايا الدنيا واعطائها مضمونا نضاليا شاملا يتسع للوطنية كما للقومية، للقدس كما للرغيف ، وللحرية الشخصية كما لعداء الامبريالية الاميركية .

ومن أسف أيضا ان بعض رجال الاكليروس وقد بهرتهم تصرفات البابا يوحنا بولس الثاني وتحركاته حاولوا تقليدها

فجانبهم النجاح خصوصا وانهم تجاهلوا تاريخ منطقتهم وطبيعة اهلهم وضرورات الوحدة والاندماج في محيطهم الطبيعي ، وكان ملفتا ان ينحو الفاتيكان سياسة توحيدية في لبنان والمنطقة ، بينما بعض الطامحين الى دور الزعامات السياسية من رجال الاكليروس عندنا ينهجون نهجا انفصاليا لا بد ان يحمل شبهة الفتنة طالما ان قاعدة الانقسام هي الانتماء الديني وليس الانتماء الوطني او القومي .

ومفهوم ان رجال الدين عموما ، ولا سيما الكبار منهم ، كانوا يقاربون السياسة ويتعاطونها من مقارهم ، باستمرار ، لا سيما في الاساسي من الشؤون ، لكنهم كانوا يحرصون على ابقاء مسافة بينهم وبين العمل السياسي المباشر ، ربما بدافع الوقار او التهيب او الترفع عما في سوق السياسة من تكتكات ومناورات ومساومات والاعيب، لا يتقنها غير « تجار الهيكل » . لكن بعض الجيل الجديد من رجال الدين متعجل في ما يبدو ، للعب دور مباشر وهكذا امتلأت صفحات الصحف والمجلات ، ونشرات اخبار الاذاعة والتلفزيون ، بالتصريحات والنشاطات اليومية ، والخطب والتوجيهات والتعاليم الصارمة التي لا تترك شأنا الا وذكرته ولا حادثة الا وقيّمتها وحددت منها موقفا .

وليست البطالة السياسية وحدها مسؤولة عن هذا الواقع ، بل هناك ايضا الحكم الذي لعب ورقة رجال الدين ايضا ، فاحتضن بعضهم وفتح لهم ابواب القصر ، وحاول تحريضهم ضد الزعامات السياسية التي ناصبها او ناصبته العداء ، وكلفهم بمهام كانت تغريهم بالايغال في النزعات الانقسامية او التقسيمية ، لا فرق .

ولقد استنفرت لعبة القصر رجال دين من مختلف الطوائف والمذاهب ، على فترات وبحسب موجات العداء للسياسيين ومواقع نفوذهم .

ولقد يقال في مجال التبرير او التفسير ان الحكم كان الخطورة في مثل هذه العلاقة ، نتيجة لاختلافه مع معظم السياسيين او لرغبته في الاستغناء بنفسه عنهم ، لكن المسؤولية تظل مسؤوليته اساسا عن البطالة السياسية العامة التي تعيشها البلاد ، ثم عن البدائل التي ارتضاها او اعتمدها او تركها تحتل كل هذه المساحة التي تحتلها في حياة البلاد العامة ، والتي لم تستثنه من قيودها واحكامها الصارمة و (الظالمة) التي فرضتها على الآخرين .

فعلى اختلاف ما بين هذه « المؤسسات » الثلاث ، اي الميليشيات والمخابرات وبعض رجال الدين المتصدين لقيادة العمل السياسي بمفاهيم انقسامية ، فان صفة محددة تجمع بينها : انها تملك القدرة على محاسبة الآخرين دون ان تخشى ان يحاسبها احد . الكل يراك وانت لا ترى احدا، بالوضوح الكافي لمطالبته او تحميله المسؤولية ، فالميليشيا لا ترى منها الا سلاحها والعواطف المستثارة ، والمخابرات لا ترى الا نتائج عملها (اذا قدر لك ان تبقى لتشهدها !) ورجل الدين من هؤلاء يعصم نفسه بثوبه كما بالغرائز الهاجة ويحيل الحساب على الله سبحانه وتعالى ، فاذا انت ضائع بين السماء والارض ولا مغيث او مجير !

* * *

من هنا ان الصحافة في لبنان ، وهي التي تكاد تكون

القلعة الاخيرة للراي وسائر الحريات الديموقراطية في الوطن العربي ، تفقد اكثر فأكثر دورها وزخمها ووهجها وقدرتها على التأثير ... فمع غياب او تغييب الصراع السياسي ، وفي ظل تغليب ما هو انقسامي وتقسيمي ، اي طائفي ومذهبي ، على ما هو وطني وتوحيدي وعام ، تتحول الصحف الى اوراق نعي غير رسمية ، والى نشرات باهتة ابرز ما فيها « التفاصيل الامنية » ، كأسماء القتلى والجرحى والمفقودين ، في هذا الاشتباك او ذاك ، ورسائل التطمين الى الاهل ، ثم تعليقات « المعنيين » مدرجة بحسب مواقع تأثير هؤلاء ، اي بحسب قدرة اتباعهم على المحاسبة والمعاقبة والاقتصاص من متجرىء على حذف صورة او اجتزاء مقطع من تصريح خطير (فعلا ، ولكن على الناس) ، او الاخلال بالاصول والمراتب ، كتقديم مرجع على آخر في الصفحة ، او في الاعمدة ، او في عدد الاسطر او البنط المستخدم في النص ، ناهيك بالعناوين ودلالاتها الكثيرة .

ونعترف ، بداهة ، اننا في « السفير » نعيش ازمة سياسية — مهنية خانقة تعكس نفسها بوضوح وفي الصفحات والاقسام كافة ، سببها الاول ، اننا نعيش حالة غربة كاملة عن هذا الواقع المقيت ، الذي يثقل بوطأته علينا يوما بعد يوم .

فنحن ابناء جيل تربى على قيم ومبادىء وشعارات ومفاهيم ولغة مختلفة تماما عن السائد اليوم : كان تطلعنا وما يزال الى الامة لا الى الكيان ، الى الوطن لا الى الطائفة ، الى الدولة — دولتنا جميعا — لا الى المذهب او الى ميليشيات «جماعتنا» .

كان واحدنا ، وما يزال ، يحضن في بؤبؤ العين خريطة لوطن كبير ينداح ما بين المحيط والخليج ، مفترضا في جيله القدرة على تحقيق وحدة هذه الاقطار جميعا على قاعدة من وحدة التاريخ والمصير ، اللغة والتراث ، الدين والمصلحة ، الدور الحضاري والوجدان والحق بدور يتناسب وامكاناتها وقدرتها على استيعاب روح العصر ... وكنا نلقي على انفسنا ، ايضا ، مهمة تحرير اشقائنا واصدقائنا والمظلومين مثلنا في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، ونرى في ذاتنا الاهلية لاقامة مجتمع الاشتراكية ، حيث الكفاية والعدل والكرامة ، فاذا واحدنا الآن ممزق بين بيروتين ممزقتين ، وبين المزق الاخرى التي توزعت بينها المساحة القليلة للبنان الجميل .. اما احلامنا في الحرية والاشتراكية والوحدة فقد تغلغلت في اعماق الوجدان ، خوفا من اتهامنا بأننا من «اهل الكهف» ، او بأننا نكفر بالكيانات السرمدية ذات الخصوصيات الخالدة .

واذا كنا قد اصطدمنا ، ومنذ اليوم الاول بالروح الانعزالية لحزب كالكتائب الذي اوصل مولوده « القوات اللبنانية » الى علاقات تحالف مع العدو الاسرائيلي ، فاننا لا نستطيع ان نفهم او نقبل ان يتم (في بيروت الغربية وبعلبك وانحاء اخرى) تحطيم تماثيل لاعظم قائد انجبته الامة في تاريخها الحديث ، ثم لا يحاسب المعتدي على كرامة الامة وانسانها ورمز وحدتها ونضالها المجيد من اجل التحرر والوحدة ؟!

وما قيمة القول ، مثلا ، بعروبة لبنان (وهي التي تطلبت حروبا ومعارك ضارية بعضها ما يزال مستمرا حتى

اليوم) اذا جاءتنا تلك« العروبة » نصا جامدا في ميثاق مفرغ من مضمونه سلفا ؟!

ثم ما قيمة الاعلان عن عروبة لبنان ، رسميا ، بينما يندس في تظاهرات شعبية حاشدة في صور ، فرحا بالتحرر من قيد الاحتلال الاسرائيلي ، من يطلق هتافا كريها ومريبا مثل « لا اله الا الله ، والعرب عدو الله » .

وكيف لجريدة مثل « السفير » ، تحمل على صدر صفحتها الاولى شعارها الرسالة « جريدة لبنان في الوطن العربي ، جريدة الوطن العربي في لبنان » ، ان تسكت عن مثل هذا الهتاف الاستفزازي المجافي لطبيعة صور المجاهدة واهلها ، كما لاهل الجنوب عموما وشعب لبنان الذي اكد بالدم ـ انه الاكثر عطاء وبذلا في المعركة القومية الاعظم قداسة، المعركة ضد العدو الصهيوني ؟!

ثم كيف لجريدة مثل « السفير » أن تفضح مثل هذه الاعمال المشبوهة في ظل مناخ مسموم تصبح فيه الطائفة فوق الامة ، والمذهب فوق الوطن ، والعصبية التنظيمية او الجهوية (كذا) فوق الشعب، مما يطمس طبيعة العدو وهو بعد قاب قوسين او ادنى من الهاتفين ضد طبيعة انتمائهم وهويتهم واساس وجودهم ومنطلق نضالهم المستميت من اجل ان يعودوا هم ؟!

* * *

ثم اننا تعلمنا مهنة الصحافة واخترناها بوصفها اداة تنوير وتثقيف ووسيلة اخبار واعلام مهمتها ايصال الوقائع

الى الناس وتحليلها والبحث عن حقيقة ما يُخفى عنهم أو يخفي عليها ، وارض حوار تتلاقى وتتقاطع وتتصارع فوقها الآراء المختلفة والاجتهادات المتعارضة والطروحات المتمايزة، تزيد من معارف المواطن وتضيف اليها وتساعده على التمييز وصولا الى اختيار الحلول الاسلم والاكمل للمشكلات التي تعرض له .

فاذا ما تعطلت لغة الحوار ، وحظر على الصراع السياسي ، وغيب البعد القومي وحتى الوطني للعمل العام، واعتبرت الطائفية أو المذهبية أساسا للتقييم والتصنيف ، وصار السلاح هو الحكم في اي نزاع ، سواء على مستوى الافراد أو الجماعات أو الهيئات ، انتفى دور الصحافة ، واصابها الشلل ، بل انها تتحول ـ في الغالب الاعم ـ الى نقيض ما يفترضه الناس ويتوقعونه منها مما هي مهيأة له اصلا ؟

فما هي قيمة صحيفة تعرض ولا تنقد ، تغفل الاشارة الى السيئة وتبرز الحسنة وحدها ، تسكت عن فضح المخطىء (اذا كان صديقا ؟!) وتشهر بالخصم (خصم من؟!) ولو كان على صواب ، تنساق وتندمج في المناخ المسمم بالطائفية والمذهبية بدل ان تظل تدعو وتعمل لاعلاء راية القضية الوطنية ووحدة الارض والشعب ، وتوكيد الانتماء القومي ؟!

وهل كانت للصحف والصحافة في لبنان ، يوما، قيمة خارج نطاق دورها في التوعية والترويج للفكر القومي والترابط المصيري بين العرب جميعا ؟!

وها اكتسبت هذا الوهج وهذه المكانة المميزة الا لانها

كانت « صحافة العرب » تعرض من بيروت وفيها بالذات ، همومهم ومطامحهم جميعا ، تعبر عن أشواقهم الى الحرية والوحدة ، تساهم في اضاءة الطريق امامهم وهم يخوضون معاركهم ضد الاستعمار والصهيونية والامبريالية ، من أجل التحرر والكرامة والاستقلال ؟!

فبيروت اللبنانية ـ السورية ـ المصرية ـ الجزائرية ـ الليبية ـ اليمنية ـ السودانية ـ العراقية ـ الفلسطينية ، بيروت كل العرب جعلت الصحافة فيها صحافة العرب جميعا من المحيط الى الخليج .

لهذا كله نعترف اننا في «السفير» كما في سائر الزميلات ، وبغض النظر عن التمايزات السياسية ، نعيش حالة مريعة من انعدام الوزن والضياع وافتقاد الجدوى ، والدور ... حتى لنحس وكأننا نعيش ايامنا الاخيرة كصحافة وصحافيين .

وكل ذلك نتيجة النقص في كمية الهواء المتاح للتنفس ، بعد ، وبعد سريان السم في المناخ من حولنا (جميعا) ، سم الطائفيات والمذهبيات ، وسائر أصناف العصبيات وافرازات الغرائز ، بما فيها الشوفينية والعرقية ، كتلك التي أطلقتها « حرب الفقراء والمحرومين من وطنهم أو في وطنهم » في المخيمات ومن حولها .

* * *

ومع اعترافنا بالتقصير والارتباك والضياع والعجز عن ايجاد حل ذاتي لهذه الازمة التي تتهدد المهنة ، كونها واحدا من وجوه الازمة الوطنية العامة ، يبقى ضروريا

التوكيد على ان حالة البطالة السياسية ومجافاة المذهبية والطائفية لروح العمل الوطني والقومي وهي الحالة التي تعيشها البلاد الآن هي التي حدت من قدرتنا على اداء دورنا الطبيعي .

من هنا فان هذه الكلمات ليست لمجرد الاعتذار عن قصور أو تقصير في الايام ، أو الاسابيع القليلة الماضية ، بل هي دعوة لانعاش الحوار الديموقراطي ، واعادة الاعتبار الى الكلمة والراي والحجة ، ومحاولة تحريض او استدراج للساكتين والمستنكفين من أجل أن يرفعوا أصواتهم ، بالاعتراف أو بالتأييد لا فرق ، والى أن يقول الكل علنا وعلى رؤوس الاشهاد ما يهمسون به في الغرف المغلقة ، أو ما يهمهمون به في سماعات الهاتف ، أو ما يفكرون فيه بصمت اليائس لوحدهم لعل ذلك كله يحد من الآثار المدمرة للبطالة السياسية السائدة والتي تخلي الجو لنمط وحيد وقاتل من « الحوار » هو : الحوار بالسلاح !

ولقد دفعنا جميعا ثمنا فادحا للاشتباك بالسلاح عند اي خلاف حول اي موضوع ، وسندفع أكثر واكثر كل يوم ، ما لم نستعد ، وبجهد خارق ، قدرتنا على الحوار وحقنا في ممارسته وفي اعتماده أسلوبا لحل الاشكالات وحسم الخلافات والوصول الى تصور مشترك للصيغة المفتقدة ولطريق الخروج من هذه الازمة الخانقة ، التي لا يكابر أحد في انها ستنهي لبنان والكثير من اللبنانيين واخوانهم العرب ، محققة ما عجزت وتعجز عنه الامبريالية والرجعية والصهيونية العالمية الخ الخ الخ .

هي دعوة للحوار ، اذن ، حول المواضيع جميعا ، وحول

مسؤوليات الاطراف كلها ، في بيروت والجبل والشمال والبقاع وجنوب الصمود الوطني والقومي .

دعوة لا تستهدف الحساب ولا هي تقدر عليه أصلا ، بل تستهدف محاولة تحديد معالم الطريق لكسر الحلقة الجهنمية التي حوصرنا في داخلها فأخذنا نتعارك على حق القيادة ، وأخذ واحدنا يفرح بأنه اكمل طوق الحصار على الآخر ، ويرفع يديه بعلامات النصر ، ناسيا او متناسيا ان خطر الموت اختناقا داهم وجدي ولن يبقي لاحد فسحة الاستمتاع بنصره اليتيم !

انها ، اولا وأخيرا ، دعوة للانقاذ ، وعبر الحوار ، أي عبر الكلمة والراي والحجة ، ودائما بعيدا عن السلاح وحملة السلاح ...

عن « السفير »
١٩٨٥/٦/٢٦

- ٢ -

حتى لا تُغرق دمشق في التفاصيل
ويبرئ المتشاكون المسؤول الأول عن أزمة الوطن

للمرة الثانية في خلال شهرين اثنين ، يتوافد رجالات المسلمين في لبنان على دمشق ليمثلوا أمام « محكمة الصلح » فيها ، وقد أعد كل مطالعته : البعض من موقع المجني عليه او المدعي وذي الظلامة ، والبعض الآخر من موقع المدعى عليه والمتظلم ، وبعض اخير من موقع المدعي العام ... وقد يتواجد بينهم ايضا من يصلح لدور « شاهد الملك » المستعد لان يقول كل شيء وامره لله ورزقه على المحكمة .

واغلب الظن أن هؤلاء جميعا يأتون هذه المرة وهم ابأس حالا مما كانوا قبل شهرين ، فالهاجس الامني تفاقم قبل أن يتناقص ، لا سيما بعدما كان في المخيمات الفلسطينية ومن حولها ، والقدرة على الوصول الى تصور مشترك يكون قاعدة ومنطلقا لمشروع وطني للتغيير والاصلاح باتت اقل بدلا من أن تتعزز بالحوار الصريح والاتفاق على جدول الاولويات والتحديد القاطع للحلفاء والخصوم وصولا الى التفاهم على التكتيك اليومي !

فليس سرا ان العلاقات ، حتى الشخصية ، بين أطراف هذا اللقاء الاسلامي الموسع تعاني من اختلال بيِّن ، وان بين

فوائد قدومهم الى دمشق انهم سيتلاقون وسيستأنفون الحوار المباشر ، فيها وبواسطتها ، بعدما تقطعت أو تكاد تتقطع سبل التلاقي والحوار في ما بينهم حيث يعيشون جميعا ، أي في بيروت .

على ان الاخطر والاهم من معطيات الوضع الراهن في لبنان سيبقى خارج البحث ، الى حد كبير ، فان عرض له البعض ، فمن « باب الواجب » او من باب استكمال الموضوع ليس الا ، وذلك لان حجم الهواجس والمشاغل والهموم المباشرة التي تقلق اطراف هذا اللقاء لن تترك مساحة اهتمام كافية لاساس الموضوع وجوهره ، اي للمسألة اللبنانية بأبعادها كافة ، ومن ثم لتصور الحل المرتجى والمفتقد لهذه الحرب الاهلية المفتوحة وكأنما الى الابد .

● واولى المفارقات وأطرفها ان المتهم الاول والمسؤول الرئيسي عن الوضع القائم في لبنان كله ، واستطرادا في بيروت ، لن يمثل أمام « المحكمة » ، وقد لا يذكر الا عرضا ؟!

لا الحكم ، كحكم ، ولا الحاكم كشخص ، ولا حزب الكتائب بكل دوره في اشعال الحرب الاهلية وتأمين أسباب استمرارها ، ولا « القوات » اللبنانية » بكل تراثها الدموي في بيروت (الغربية كما الشرقية ، والمخيمات كما الاحياء والشوارع جميعا لمن وهنت ذاكرته فنسي او تناسى) ،وفي الضاحية ، ثم في الجبل ، وأخيرا لا آخرا شرقي صيدا وعلى الطريق الساحلي جنوبا ، من دون أن ننسى الطريق الساحلي شمالا وصولا الى حاجز البربارة الشهير الذي ما زال يحرّم على رئيس « حكومة الوحدة الوطنية » (ناهيك بأهلنا في

طرابلس وزغرتا واهدن وبشري والضنيه وعكار) أن يسلك الطريق الطبيعي بين بيروت وانحاء الشمال .

لا الحكم ، ولا كل تلك القوى الرديفة والحليفة له ستكون موضع مساءلة أو اتهام ، لا عما كان من مآس ، وعما سيكون ، ولا خاصة عما لم يتم تنفيذه من اتفاقات وتعهدات على امتداد المسافة بين مؤتمر لوزان واتفاق دمشق وصولا الى اتفاق بكفيا الذي مات في مهده ، وهي بين ابرز اسباب المآسي التي كانت والتي ستكون ما لم يتم تداركها، « بالعودة الى الاصول » .

● ثانية المفارقات المفجعة ان الكل سيثير مشكلة الامن في بيروت ، قافزا من فوق حقيقة ان اول سبب لاختلال الامن او حتى انعدامه هو ان العاصمة ليست واحدة ،وانها لم تكف يوما عن ان تكون جبهة قتال تفصلها خطوط تماس يمترس من خلفها الى الشرق ، معظم الجيش ومعه « القوات اللبنانية » ، ويطلق النار باسم « الشرعية » ، والى الغرب ميليشيات « أمل » والحزب التقدمي الاشتراكي ومعها بعض الجيش (اللواء السادس) الذي ما يزال يعيش حالة تمرد على قيادته « الشرعية » كنتيجة لاستمرار غياب الحل السياسي أو الحل الوطني العام ، ولغياب التسليم الكامل بشرعية هذه « الشرعية » .

يتصل بذلك ان لبنان ليس واحدا بعد ، وان انحاء البلاد ما تزال ممزقة بين الطوائف والمذاهب وميليشياتها ، وان الهدوء لم يتوفر الا حيث يسود لون طائفي واحد يعطي الغلبة ــ حكما ــ للتنظيم الاقوى ضمن الطائفة المعنية، اما حيث يعيش « لبنانيون » من مختلف الطوائف

والمذاهب « فالصراع على السلطة » ضمن الحي ، وضمن الشارع ، وضمن المدينة ككل ، مفتوح وسيبقى مفتوحا في انتظار أن يحسم الصراع الاكبر على « الصيغة السياسية العامة » وهي التي يفترض أن تتضمن تحديدا جديدا لمواقع الاطراف جميعا في « النظام الجديد » !!

● ثالثة المفارقات ان الآتين الى دمشق ، اليوم ، لن يتوقفوا طويلا امام واقعة محددة وهي انهم سلكوا طريقا أخرى غير الطريق الطبيعية (والرسمية) بين بيروت ودمشق .

فطريق الشام ، كما يعرفها اللبنانيون منذ قديم الزمان ، والتي استمرت هي هي أيام العثمانيين ثم أيام الفرنسيين ، ما تزال امامهم اليوم ، وبعض مشاكل أطراف اللقاء الاسلامي ومعظمهم في سن الكهولة او انه تجاوزها قليلا (مد الله في اعمارهم جميعا) نابعة من اضطرارهم الى تحمل مشاق السفر على طرق اخرى بديلة ، أطول وأعقد واصعب ... كل ذلك في ظل سياسة رسمية يعتمدها الحكم علنا تحت شعار « الاخذ بالخيار العربي » ، والسوري على وجه التحديد !!

● رابعة المفارقات ، ولعلها الاكثر خطورة ، انهم اسقطوا من حسابهم الحكم ومسؤوليته عن الوضع في لبنان ، وفي بيروت الغربية ذاتها ، في حين انهم — بمجملهم — ما يزالون يسلمون بشرعيته .

وهذا يلقي على دمشق حملا لا يجوز أن تحمله ، فهي تبدو المرجع في حالة الشكوى والتذمر من حالة التسيب

الامني ، و « المخفر » الذي يتلقى تظلمات المتظلمين من تجاوزات بعض التنظيمات السياسية المتحالفة مع سوريا ، اما اذا طرح موضوع تشكيل حكومة جديدة فان الطامحين جميعا الى رئاستها او الى تولي الحقائب فيها فيهرولون الى القصر الجمهوري في بعبدا (وقد يقصدون دمشق من ثم ، لاستدرار تأييدها ، او التمني عليها بعدم المانعة ، أو ربما لتحميلها مسؤولية الفشل من بعد ، ان فشلت المحاولة !!)

فلا يجوز أن تبدو دمشق وكأنها المرجع السياسي لامين الجميل ، والمرجع الامني فحسب لحلفائها واصدقائها « والمحسوبين عليها » وفق اللغة السائدة .

ولا يجوز قطعا ، وبالمقابل ، ان يصبح « التسيب الامني » في بيروت الغربية وصولا الى محنة الجميع في المخيمات ومن حولها ، ورقة قوة في يد الحكم على دمشق ، وعذرا اضافيا للتملص من تعهداته لها (وللبنانيين) بتحقيق الحد الادنى من مطالب الاصلاح السياسي ... ولقد غطى الحكم على استمرار الوضع الشاذ في الفيتو الكتائبي ، وعجزه عن حسم موضوع « القوات اللبنانية » وعلاقتها بالحكم وتوجهاته الجديدة ، باستغلال « حرب الاشقاء » في المخيمات ومن حولها ، وكان لسان حاله على امتداد لقاءاته المطولة ، خلال زيارته الاخيرة لدمشق : لا مشكلة عندي ، فدعونا اذن نتعاون على انهاء المشكلة في بيروت الغربية !!

وهكذا يبدو ، للحظة ، وكأن امين الجميل وأطراف اللقاء الاسلامي يتلاقون على مطلب واحد من دمشق : أن تستخدم عصاها في تأديب حلفائها الاساسيين في لبنان ، بكل

ما يتضمن هذا المطلب من خطر تغييب القضية السياسية والمسؤوليات السياسية عن الوضع السائد .

ولا يتعلق الامر بتبرئة هؤلاء الحلفاء او ادانتهم ،ولكن باشغال دمشق وارباكها واغراقها في مسائل تفصيلية هي ، مهما بلغت خطورتها ، بعض النتائج المباشرة لوضع قائم منذ حين ، وليست بين اسباب قيامه .

ولا يناقش احد حق اطراف اللقاء الاسلامي ، وسائر القوى ، بل والمواطنين انفسهم ، في مناقشة امور حيوية تمس امنهم ورزقهم وهناءة عيشهم ، كمسألة الامن في بيروت الغربية ، ولكن ما ينتظره الجميع ان تكون لقاءات دمشق اشمل فائدة ، نظرا لدور العاصمة السورية الحاسم والذي لا بديل عنه في ايصال اللبنانيين الى شاطىء الامان ...

وما يتمناه اللبنانيون هو ان ترتفع المناقشات ، في دمشق ومعها ، الى المستوى المطلوب ، وان تعرض للاسباب وتحدد المسببين ، لا ان تتعاطى فقط مع بعض النتائج، فيأتي العلاج قاصرا ، يسكّن ولا يشفي ولا يفتح كوة للضوء والهواء في السرداب الذي نكاد نختنق فيه .

ولن يرضي اللبنانيين ، وحتى اهل بيروت وما حولها، ان يعود هؤلاء السادة غدا ، وكما عادوا مرة من قبل ، بمشروع حل امني مرتجل ومؤقت لجزء من بيروت ، وبمصالحة تحفظ الحد الادنى من علاقات التحالف المفترض في ما بينهم .

لن يرضيهم ان تقتصر « الحفلة » على ان يتصدى

البعض لمحاسبة نبيه بري وحركة « أمل » حول «التجاوزات» و « الارتكابات » وسائر وجوه التسيب الامني الذي يوظف لتسعير نيران الفتنة المذهبية .

ولا ان تمتد يد المحاسبة لتشمل وليد جنبلاط والحزب التقدمي الاشتراكي .

ولا حتى ان يثير بعضهم موضوع المخيمات،او السلاح الفلسطيني ، وصولا الى الوجود الفلسطيني ، ومسؤولية حركة « أمل » واللواء السادس والاطراف الاخرى،وعرفات تحديدا ، عن المحنة التي عاشها وعانى منها الجميع وسيعانون طويلا .

ذلك كله مطلوب ، في بيروت اولا ، وقبل دمشق،ولكنه في نظر الكثرة من اللبنانيين بين النتائج لا الاسباب ، ثم ان المدخل الى المناقشة فيه يجب ان يكون صحيا وصحيحا.. ولكي يكون صحيا يجب ان يكون بالضرورة وطنيا لا هو بالطائفي ولا هو بالمذهبي ، ولكي يكون صحيحا يجب ان ينطلق من صميم المسألة ، لا من جوانبها ، اي من طبيعة النظام السياسي وصيغته المستقبلية ، متخطيا محاولات الترقيع والتستير على مكان الخلل ، وهي محاولات لا تعني غير ادامة الحرب الاهلية في لبنان ككل ، وغير توفير مزيد من الذرائع والوقود لنيران الفتنة بين المسلمين على وجه الخصوص .

* * *

الصيغة ، النظام السياسي ، الدولة ، الحكم المحقق للتوازن الوطني ولمطامح اللبنانيين والقادر على ادارة الصراع

السياسي في البلاد ، تلك هي الموضوعات التي يجب أن تحظى بالاهتمام الكافي ، وبالجهد الكافي ، وبالدراسة الكافية، وبالعمل الجدي والمتصل الذي يشكل ارض لقاء حقيقي بين القوى ذات المصلحة في التغيير جميعا .

ان لبنان بعد الاحتلال الاسرائيلي هو غير لبنان ما قبله بأي حال .

واذا كان البعض قد رفع هذا الشعار مجتزءا ومشوها للمطالبة بضبط السلاح الفلسطيني مرة ، ولتبرير الانفراد بالقرار في هذه المنطقة او تلك ، مرة اخرى ، فان الدلالات الكاملة لهذه الحقيقة يفترض ان تمتد لتشمل مختلف وجوه الحياة السياسية في البلاد .

فلبنان ، اليوم ، هو أكثر عروبة قطعا ، ولا يغيّر من هذه الحقيقة أو ينتقص منها تزايد المرارة في نفوس اللبنانيين وتزايد يأسهم من الانظمة العربية عموما ، بسبب تخليها عن دورها الطبيعي في المعركة القومية الام (وهي عنوان تخليها ، بشكل عام ، عن مطامح الامة ومصالحها وكرامتها وحقها في خيراتها) .

ولان احساس اللبناني بعروبته قد تعاظم ، من خلال مواجهته المباشرة وبالامكانات الذاتية المحدودة (معززة بقليل قليل من الدعم العربي) ، للعدو الاسرائيلي فلقد تنامى لديه شعور بالجدارة والقدرة على محاسبة الحكام العرب ، وباسم المحكومين عموما ... فالانظمة التي خذلته وهو يواجه العدو بلحم صدره العاري هي هي ذاتها التي منعت وتمنع مواطنيها من اداء دورهم الطبيعي في معركة تحرير فلسطين كما في سائر معارك التحرر القومي والاجتماعي .

ولبنان ما بعد الجلاء الاسرائيلي هو لبنان الذي لا مجال فيه لهيمنة فئة ، ولا موقع فيه لمهيمن وصاحب امتياز ، مهما كانت الذرائع والحجج والادعاءات المزورة للتاريخ ، وبينها على سبيل المثال الخوف من الاكثرية وضمان الذات ضدها برهن البلاد لارادة الاجنبي ، او حتى العدو ، كما فعل حزب الكتائب اللبنانية عشية الغزو وتمهيدا له ، مقابل أن يقفز الى سدة الحكم بقوة مدافع المحتل ودباباته .

ولبنان ما بعد الجلاء الاسرائيلي يكون واحة الديموقراطية (العربية هذه المرة) وموئل الحريات والاحرار ، من وطنيين وقوميين وتقدميين ومحافظين ويمينيين ، ايضا ، او لا تكون المبررات كافية لوجوده واستمراره .. فان لم تكن له مثل هذه الطبيعة تحوّل الى مستنقع آسن للطائفيات والمذهبيات تدمر آخر ما تبقى من رموز العمل القومي والوطني ليس في لبنان فحسب ، بل في مختلف ارجاء الارض العربية .

فبعد اليوم سيكون الشعار « لا فضل لمواطن على مواطن الا بمقدار جهاده ضد العدو الاسرائيلي ، لتحرير الارض ، والا بمقدار جهده من أجل بناء وطن الحرية والمساواة والتقدم ، لتحرير الانسان » .

وكما انه ليس من حق احد احتكار شرف القتال ضد جيش الاحتلال الاسرائيلي ، او تنصيب نفسه وصيا على قضية تحرير الارض ، فليس من حق احد بالمقابل أن يحتكر شرف العمل الوطني العام ، وأن يدعي لنفسه العصمة والمعرفة المطلقة بخير الناس وهدايتهم الى سواء السبيل

التي اضاعها الآخرون جميعا او ضاعوا عنها فما عادوا يستحقون لا أن يكونوا قيادة ولا حتى ان يكونوا في عداد الرعايا الطائعين الآمنين !

واذا كان اللبنانيون قد انكروا على حزب الكتائب تفرده بالسلطة والراي (أي بالقيادة) في الشرقية ،واتهموه بالفاشية وسائر التهم اللاحقة بالتفرد والفرض وقهر أصحاب الراي الآخر ، فمن باب أولى ان يطالبوا حاملي راية التصدي لمشروع الهيمنة الكتائبي بأن يؤكدوا صدقهم وجديتهم وذلك يكون – اولا – باثبات ديموقراطيتهم وايمانهم بالحرية كشرط للوطنية وللتوجه القومي .

ثم انه لا مجال للحديث عن انتماء لبنان القومي في غياب الديموقراطية ... واذا كان حزب الكتائب قد احتاج « الفاشية » لقهر ارادة الاكثرية الساحقة من اللبنانيين وهو يندفع لاقامة التحالف مع العدو الاسرائيلي ، فان هذه الاكثرية ذاتها كانت حريصة على وصول جمهور الكتائب الى الاقتناع – عبر دروس الحياة ذاتها ، كما عبر حقائق العمل السياسي – بحتمية الخيار العربي والحل العربي ، للازمة في لبنان ، بوصفه بداية وانتهاء بلدا عربيا هو بعض محيطه العربي .

* * *

تلك بعض عناوين المواضيع والمسائل ذات الاهمية التي يتمنى اللبنانيون ان يطرحها القاصدون الى دمشق على انفسهم اولا ، وان يتفقوا على ان يتضمنها برنامجهم المشترك للنضال من أجل حل وطني وديموقراطي للمسألة اللبنانية،

برعاية دمشق وبدعم كامل منها ومن سائر العرب الحريصين على عروبة لبنان .

وفي ظل مناخ كالذي يطلقه بحث جدي وعميق لمسائل العمل الوطني والقومي في لبنان ، يصبح ممكنا بل ومطلوبا محاسبة الجميع : الحكم والحاكم ، الحكومة ومن فيها ، الفاعليات السياسية (والدينية) جميعا ، المسلح منها وغير المسلح ، القادر وشبه القادر والمتماسك بعد والمتمسك بصحة تمثيله لجمهوره (أو لبعض الاكثرية الصامتة) .

فمن حق اللبنانيين ان يطلبوا من الجميع الحساب ، على ما كان وعلى ما سيكون .

ومن حق دمشق أن تسأل هذه القيادات ، مجتمعة ومنفردة عما فعلته وتفعله لتأمين النجاح للخيار العربي ، والسوري تحديدا ، خصوصا وكلها « يدعي وصلا بليلى » عبر توكيده شبه اليومي على تحالفه الابدي مع دمشق وايمانه المكين بالخيار العربي (والسوري تحديدا) .

فاذا ما تم ذلك حصلت معجزة أولى وذلك بتصحيح مسار النقاش ، وبات ممكنا بالتالي ترقب معجزات أخرى كبلوغ هذا النقاش غاياته في تحديد ركائز التحالف وبرنامجه السياسي الشامل وخطة عمله وجدول الاولويات فيه وصولا الى التكتيكات اليومية .

ولسنا نطلب من الذاهبين للتلاقي أمام «محكمة الصلح» في دمشق اكثر من هذا ، في الوقت الحاضر .

أما الباقي فيحتاج مزيدا من الحوار ، بهدف الانقاذ وتحديد ملامح الحل الوطني المرتجى .

عن « السفير »

١٩٨٥/٦/٢٧

- ٣ -

عن دور الحكم وسياسة "التواطؤ" في الفتنة المذهبية وتجديد الحرب الأهلية

لماذا يهرول الناس ، رؤساء ومسؤولين رسميين ، سياسيين وقادة احزاب وفاعليات ومراجع روحية ، الى دمشق ، عند كل حدث ، صغير أو كبير ، وبحثا عن حل لكل مشكلة ، أمنية كانت أم اقتصادية ، محلية أم اقليمية (باللغة الدارجة الآن) ؟!

مفهوم ان لسوريا علاقات مميزة مع لبنان (لم يحددها أحد ، بالدقة ، حتى اليوم ، على الاقل) ، وان لها دورا حاسما في الحل العتيد للمسألة اللبنانية ، اضافة الى دورها الاكيد والذي لا بديل عنه ولا مفر من اخذه بالاعتبار في أي مشروع حل مفترض لما يسمى بـ « ازمة الشرق الاوسط » ، أي لما يتوقع أن تكون عليه صورة الطور الجديد من اطوار الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ضمن المعطيات الدولية والعربية والاسرائيلية الراهنة .

على ان هذا كله هو جزء من الجواب وليس الجواب كله .

بين الاجزاء الناقصة من الجواب : ان الكل يذهب الى دمشق لانها ، اضافة الى اساسيات دورها ، تشغل موقع « بدل عن ضائع » بالنسبة للدولة في لبنان .

لا دولة في لبنان ... والدولة المعنية – بالرغبة والقدرة وقوة الامر الواقع العربي الاقليمي – هي سوريا ، فهي اذن المرجع ومركز القرار .

لا حكم فعليا في لبنان يرتضيه ويسلم بشرعيته اللبنانيون بفئاتهم المختلفة ، وفي دمشق حكم قوي ترجع اليه كثرة اللبنانيين ، اما عن اقتناع ، واما عن اضطرار ، واما عن تسليم بقدرته على أن يمنع ويمنح ، داخليا ، يقبل ويرفض ، اقليميا ، يُسأل ويسأل ، دوليا ... وهكذا فان من اراد « الحكم » قصد اليه .

ومن المفارقات ان رموز الحكم في لبنان ، المسبوقة اسماؤهم بألقاب الفخامة ، يقصدون هم ايضا دمشق طلبا للدولة والحكم – المرجع !

لذا غدت دمشق مقصد الظالم والمظلوم ، الشاكي والمشكو منه ، الجاني والضحية ، في آن .

واذا كان هذا الوضع ، في جانب منه ، يضيف الى معنويات دمشق ويعززها ، فانه في جانبه الآخر يعرضها لمخاطر ومزالق كثيرة ليس اقلها أن يحاول البعض خداعها فيتمسكن امامها حتى يتمكن ، أو ينافقها ليغريها بمساعدته على ضرب خصومه ، أو يستعديها على بعض حلفائها ليقترب منها على حساب المباعدة بينها وبينهم ، مما يضعفها ويضعفهم ويقوي المتقرب الطارىء .

ولقد عرفت دمشق ، في الماضي ، محاولات خبيثة لاغرائها بالتواطؤ مع طرف واحد ضد سائر الاطراف ،وهي

تتعرض اليوم لمحاولات من هذا النوع ابرزها تلك التي بذلها ويبذلها الحكم ، مرة بصيغة التمني ، ومرة بصيغة الطلب ، ومرة ثالثة باظهار المطلب وكأنه شرط لازم لانجاح الخيار العربي ، والسوري تحديدا ، في لبنان .

ويمكن ايراد سلسلة لا حصر لها من الامثلة والنماذج التي تندرج في هذا السياق ، قافزين من فوق الوشايات الرخيصة والتقارير الكاذبة ، ومحاولات الدس المفضوحة التي شملت تفاصيل عائلية من حياة « الخصوم » لنركز فقط على الاستهدافات السياسية للحكم في علاقته مع دمشق ...

● الحكم يريد من دمشق حكومة .

في البدء كان لا بد من التسليم بحكومة « القوى المخاصمة » ، ليستعيد الشرعية وموقع الرئاسة . لكنه كان لا يريدها ان تنجح ، فنجاحها يعني انه هو مصدر الفشل والمتسببفي حروب المرحلة السابقة عليها والاخفاقات المريرة . وهكذا بدأ الحرب ضدها وعلى جبهات متعددة اهمها جبهة دمشق .

وحين قدر أن الظرف بات ملائما ارسل موفديه بتشكيلة حكومة جديدة ، ثم بتشكيلة اخرى ، وثالثة .كان المهم أن يحصل على الموافقة بالخلاص من حكومة « الرؤساء الآخرين » ، طالما انهم يرفضون المصالحة والعودة الى بيت الطاعة بشروطه .

ونتيجة لهذا كله فلقد تسبب في أن تبدو دمشق ، في

بعض الحالات ، وكأنها السبب في عدم وجود حكومة،وبالتالي حكم في لبنان ، ليصل ، من بعد الى تحميلهـا مسؤوليـة الوضع السياسي برمته وكأن لا دور له ولا يد في ما كان او ما سيكون !!

● والحكم يريد من دمشق جيشها ليقوم مقامجيشه، ولكن بشروطه هو : يغطيه حيث يريده او حيث يحتاجه ، واجمالا حيث لا تطول يده ، وبعدما يفرغ من المهمة التي ينتدبه اليها او يكلفه بتنفيذها ، ووفق رؤيته او مصلحته السياسية المباشرة ، وليس الا بعد التنفيذ في اي حـال ، بمعنى ان مسؤولية التنفيذ تقع على « الغازي » السوري ، اما النتائج فيحصدها « الرئيس المحرر » او الرجل الذي أوقف الغزو أو حد من مخاطره باستيعابه عبر « تشريـع » حركته !

وبغض النظر عن موقف الطرف السوري ، فان هذه المحاولة تستهدف حجب الاسئلة عن مسؤولية الحكم في لبنان عن فرط جيشه واستعدائه على شعبه ، وزجـه في مجموعة من الحروب المدمرة انهكت الشعب ، وانهتالجيش كمؤسسـة ، والحقت بالبلاد اضرارا تفوق ما لحق بها مـن جراء الاحتلال الاسرائيلي .

واذا كـانت سياسة الحكم قـد حولت الجيش ،في السابق الى ميليشيا ، كما كان يقول قائده السابق العماد ابراهيم طنوس ، فان هذه السياسة ذاتها قد حولتالجيش الآن الى مجموعـة من الميليشيـات الرديفة للميليشيـات « الحزبية » القائمة ، وعلى أساس طائفي ومذهبي .

كان اللبنانيون يشكون ، في الماضي ، من ان الجيش بكليته ، يوظف كقوة رديفة للقوات المارونية المسلحة ،ممثلة بالكتائب و « قواتها » ، وجاءهم الحكم بحل فريد: فلتأخذ كل طائفة وليأخذ كل مذهب أتباعه ، وليتركوا كتلة الجيش الاساسية وقوة نيرانه كميليشيا مرتبطة بالحكم الماروني ، بوصفه رأس الدولة والقيِّم على الدستور والسيادة .

● والحكم يريد من دمشق أن تعوضه ما يفتقده من تأييد سياسي ، سواء في أوساط المسلمين ام فـي أوساط المسيحيين ، وهو يستخدم رصيده لديها ، باعتبارهالمتعاون المخلص الذي اعلن التوبة وتراجع عن الخطأ فألغى اتفـاق ١٧ ايار وقطع العلاقة مع العدو الاسرائيلي ، وهجر الكافل والضامن والشريك الاميركي ، كل ذلك ليجعلها تقبل«توبة» جماعته في « القوات اللبنانية » وبالرمز الاكثر فجاجة في علاقته بكل ما هو معاد للعرب ، ايلي حبيقة ... ومنطقهفي ذلك : ان قبول دمشق بقوات حبيقة يوفر الضمانة المطلوبة الجواب على خوف المسيحيين من الاكثرية العربية فيالخارج، والاكثرية الاسلامية في الداخل .

هذا على صعيد العلاقة مع دمشق ، اما في الداخـل فقد تميزت حركته الرديفة بالسعي دائما الى التواطؤ مع اي طرف لديه الاستعداد للتواطؤ ، ضد الاطراف الاخرى .. وذلك :

* * حاول الحكم بداية التواطؤ مع « السنة » ، انطلاقا من المسؤولية التاريخية المشتركة للموارنة والسنة عن صيغـة ١٩٤٣ ، وبوصفهما جناحي الـوطن وطرفي التحاور في « الميثاق الوطني » الشهير .

ولما اكتشف ان« السنة » يعانون من ضمور في دورهم السياسي لم يتردد في الاندفاع الى « القوى الجديدة » للتواطؤ معها على السنة !

✻ ✻ بعد الهزيمة التي منيت بها «القوات» والجيش في حرب الجبل ، اندفع الحكم في اتجاه الدروز يعرض عليهم عروضا صريحة بالتواطؤ ، مذكرا بأن لبنان ككيان سياسي هو تراث درزي ، اصلا ، وان الاساس في قيامه تلك العلاقة الفريدة بين الموارنة والدروز ... اليسوا هم الجبل ؟ واليس الجبل هو لبنان ؟ اذن « فالصيغة » تكون بين طرفي المعادلة الجبليين ثم تعرض على الآخرين !

وفوجىء الناس بالتحول في موقف الحكم من وليد جنبلاط ، تحديدا ، فهذا المتهم « بالخيانة العظمى » و « الواجب محاكمته وادانته واعدامه » كونه هاجم «مقامات لها العصمة » ، تحول في غمضة عين الى ضيف العشاء في المنزل الشخصي ومع افراد الاسرة ، بعيدا عن ضوضاء القصر وحسد الحاسدين !!

✻ ✻ وبعد فشل المحاولة مع وليد جنبلاط ، كان منطقيا ان يندفع الحكم باتجاه الشيعة ، وأن يحاول التواطؤ معهم ... جرّب بداية ان يتواطأ مع كل المتضررين من تنامي حركة « امل » وتعاظم دور نبيه بري ، فلما ثبت له بؤس التجربة اخذ يمد الشباك لجذب نبيه بري والحركة ، مستذكرا ايام الصداقة مع « الاستاذ » من ايام اتحاد الطلبة وسحب من التداول ما كان يصفه به قبل ايام ، وهي اوصاف لا تقال عن البني آدم ، في العادة ، بل عن الاشياء ، والاشياء الوضيعة !

✻ ✻ حتى من قبل ان تصل تجربة التواطؤ مع « الشيعة » الى نهاياتها ، كان الحكم يحاول التواطؤ مع السنة والدروز مجتمعين على الشيعة ، مستنفرا في السنة الشعور بالاحقية في رئاسة الوزارة ، وبالشراكة مع الماروني في لعبة الحصص ، ومستنفرا في الدروز الشعور بقلة العدد والتخوف المفترض من طغيان الكثرة الشيعية « المتزايدة كالفطر والمتقية سياسيا مع سوريا وعاطفيا مع ايران الخميني مما يحولها الى قوة اقليمية أنى لها ان ترضى بدور محدود » ؟!

وغني عن البيان القول ، كم أسهمت مثل هذه السياسة في تغذية أسباب الفتنة الطائفية والمذهبية التي يتجرع لبنان مرارتها الآن .

انه التواطؤ دائما ، التواطؤ على حكومته ، التواطؤ على جيشه ، كما على الجيش السوري ، التواطؤ على الطوائف الاخرى ، والبعض يضيف ، والتواطؤ على حزبه بدليل ما أصاب حزب الكتائب من ضعف وتمزق في الفترة الماضية ، وحتى من قبل ان يموت الشيخ بيار الجميل (وموته كان ، على أي حال ، اعلان وفاة رسمي للحزب) ، ثم التواطؤ على « القوات » ، حتى لا ننسى المحاولة الانقلابية التي أوصلت فؤاد ابي ناضر الى رئاستها ثم انتهت بسرعة على يدي سمير جعجع الذي سرعان ما انتهى على يدي ايلي حبيقة الذي يرشحونه للانتهاء مع أول هدنة جدية وطويلة بين المقتتلين لاي سبب في بيروت الغربية .

✻ ✻ ✻

على ان الموضوعية تقتضي القول ان الحكم ليس الطرف

الوحيد الذي يحاول ان يغري دمشق بسياسة قوامها « التواطؤ » وليس التحالف على اساس برنامج سياسي واضح ومحدد .

ان كثيرا من الاطراف السياسية اللبنانية تعتمد مثل هذه السياسة ، تارة بحجة الرد على لعبة الحكم ، وطورا بذريعة ان التحالف مكلف وقد يكون في بعض الحالات محرجا ، اما « التواطؤ » فتحميه سريته ، وفي مرات اخرى تكون الحجة الحرص على مصالح دمشق ذاتها والمحافظة على حرية حركتها وحقها في الاتصال بمختلف الاطراف المتصارعة .

بل ان « التواطؤ » يكاد يصبح سمة عامة من سمات السياسة في هذه المرحلة ، تواطؤ الحليف على الحليف ، والحليف مع خصم مفترض على خصم آخر ، ناهيك بتواطؤ الخصم على الخصم ، وتواطؤ الحكم على الكل وصولا الى احتمال ان تحين لحظة تواطؤ الكل على الحكم .

الرادع ، حتى اليوم ، هو دمشق ذاتها ، وذلك لمليون سبب اولها واهمها انها في وضع يسمح لها بتحديد سياستها وتحالفاتها بوضوح ومن دون حاجة الى اعتماد التواطؤ .

هذا بالنسبة الى دمشق ، اما بالنسبة الى اطراف عربية اخرى ، وبالذات ياسر عرفات ومن معه ، فان اكثر من طرف سياسي محلي قد انخرط معه في لعبة التواطؤ التي يقودها منذ حين ضد الوجود السوري وضد النفوذ السوري ، في لبنان ، وبالتالي ضد « الخيار العربي » ـ

وهو في حالة لبنان خيار « سوري » بالاساس ـ كمدخل للحل ، ومن ثم للفصل بين المسألة اللبنانية وتلك « الازمة الخالدة » المسماة زورا وبهتانا : ازمة الشرق الاوسط ، تحاشيا لاعطائها اسمها الصريح : « الصراع العربي ـ الاسرائيلي » ، ربما للهرب من موجباته القومية .

ومن المفارقات الفجة ان الحكم كان لا يفتأ يبدي تعاطفه مع « الفلسطينيين » ، امام من التقاهم او اتصلوا به مستوضحين او مستفسرين او متسائلين عن موقفه وموقعه ـ وموقع الدولة ـ من « حرب الاشقاء » التي دارت في المخيمات ومن حولها .

وكان ملفتا ان يتبنى الحكم ، الكتائبي اصلا وفصلا ، منطقا مناقضا لذلك الذي اعتمدته الكتائب مبررة به دورها في تفجير الحرب الاهلية .

فلقد ردد رئيس الجمهورية امام غير واحد من زواره، في الفترة الاخيرة :

«ليس من حق احد ان يطالب بنزع سلاح الفلسطينيين بينما الكل في بيروت الغربية ، مدجج بالسلاح » !..

وكانت الحجة الكتائبية لتعطيل الحل في اية مرة ،على امتداد سنوات الحرب الاهلية : « ليس من حق احد المطالبة بنزع سلاح الكتائبي ، طالما ظل الفلسطيني مسلحا ... فسلاح الكتائبي رديف لسلاح الشرعية ، وهو يأتمر بها وفي خدمتها ومن اجل حمايتها،اما سلاح الفلسطيني(والمتحالفين معه) فهو مرفوع في وجه الشرعية وضدها ومن اجل اسقاطها » !!

والدلالة الاساسية للمنطق الذي يعتمده الحكم اليوم، وفي هذه القضية تحديدا ، تتجاوز « التكتكة » ، ومد اليد الى من يعتبره « عدو عدوه » ، لتصبح دعوة صريحة لتجديد الحرب الاهلية بما يكفل أن يحترق في نارها اللبناني والفلسطيني ومعهما السوري .

وغير مهم ، من بعد ، التوقف طويلا ، عند الحكايات التي ترددت وما تزال تتردد عن اتصالات جرت وتجري بين الحكم وقيادة ياسر عرفات، وعن وجوه التعاون والتسهيلات « التكتيكية » و « اللوجستية » التي قدمتها بعض أجهزة الحكم مباشرة لقاعدة جماعة عرفات الخلفية في قبرص ، ثم في جونيه وعبر خطوط التماس وصولا الى بيروت الغربية .

بالمقابل فان بعض القوى السياسية المحلية قد انخرطت في التواطؤ مع جماعة عرفات وبالتالي مع الحكم ، مرة بحجة العمل للحد من تفرد « أمل » بالقرار في بيروت الغربية ، واستطرادا في الجنوب ، ومرة أخرى بحجة ضرورة اضعاف النفوذ السوري بحيث تصبح متعذرة عودة « الردع » بكل ما تعنيه مثل تلك العودة المظفرة للجيش الذي خرج من بيروت مكرها تحت ضغط جيش الاحتلال الاسرائيلي قبل ثلاث سنوات فحسب .

ولنا على اي حال عودة الى الموضوع الفلسطيني تفيه ما يستحق من عناية واعمال للعقل والفكر ، ولكن هذه الاشارة كانت ضرورية للتوكيد على ان « التواطؤ » منهج من اخذ به أو احترفه سيعتمده مع الناس ، ومع القوى جميعا ... فمن يتواطأ اليوم مع دمشق لن يتورع عن التواطؤ عليها غدا ، ومن يتواطأ معها على عرفات لن يضيره

كثيرا ان يتواطأ مع عرفات عليها ، بل لعله يحاول أن يتواطأ مع الاثنين معا وفي الوقت نفسه ، ثم يكون أول مهنىء للمنتصر ، وأول مهنىء لنفسه على شطارته النموذجية ... باللغة السياسية اللبنانية الرائجة .

ثم انها اشارة سريعة الى منطق المستفيدين من الحرب الاهلية والعاملين على ادامتها ، ما أمكن .

فمستخدم ذريعة السلاح الفلسطيني بالامس لتبرير استمرار الكتائبيين في حمل السلاح ، يستخدم اليوم ذريعة حمل « أمل » السلاح لتبرير استمرار الفلسطينيين في حمل السلاح ، وهو في المرتين يبرر قيام « الغيتو » ، ويحاول ان يضفي الشرعية على وضع الميليشيات .

ثم ان هذا المنطق يعاكس ، بخط مستقيم ، السياسة الرسمية المعلنة والقائلة بضرورة العمل على الفصل بين « مسألة لبنان » و « ازمة الشرق الاوسط » .

ومن الطريف والملفت ان نجد الحكم ذاته يعتمد الامرين او السياستين معا .

وفي بعض محاولات التفسير ان اعتماد « السياستين » معا يستهدف استدراج العامل الإسرائيلي لكي يستمر فاعلا في « الساحة اللبنانية » فيشكل عنصر توازن مع « الخيار العربي » بما يمكن الحكم (والنظام) من الاستمرار بصيغته اياها المعترض عليها والمرفوضة ، والتي اثبتت انها عاجزة عن الدوام أكثر ما دامت حتى الآن .

وهكذا فان هذا المنطق يستهدف ، في جملة ما

يستهدفه ، توفير حمايات اخرى للامتيازات التي يقول الحكم انه غير مستعد لان يتحمل التبعات التاريخية لان يكون « اول من يتنازل عنها » .

وبموجب هذا المنطق يصبح التواطؤ مشروعا، بذريعة حماية الامتيازات وتبريرها ، وان اقتضى الحال ان يكون مرة مع « العامل الاسرائيلي » ومرة اخرى تحت لافتة « الخيار العربي » : مرة تكون حمايتها المبرر للعلاقة مع العدو الاسرائيلي ، ثم يكون رفض التنازل عنها ثمنا للانسحاب من العلاقة مع العدو الاسرائيلي !...

وبموجب هذا المنطق يصبح مشروعا ان يستمد الحكم قوته مرة من الاسرائيلي ، ومرة اخرى من العربي (السوري، الآن) ... بكل ما يشكله من اغراء للآخرين بأن العلاقة مع الاسرائيلي هي التي تعدل موقع اي طرف في لعبة الصراع الداخلي .

واخيرا فان من شأن اعتماد هذا المنطق ، ان يدفع باللبنانيين جميعا الى التورط في علاقة ، بهذه النسبة او تلك ، مع العدو الاسرائيلي ، حتى ليصبح الشعار ، وحدة المقاتل ضد اسرائيل يخسر موقعه في لعبة السياسة في لبنان، وحصته من نظامه الفريد وجبنته الشهية .

* * *

هل طال وقوف هذا الحوار عند محطة الحكم ؟

لا نعتقد ذلك نظرا لدور الحكم وموقعه المؤثر والاساسي

في لعبة الصراع على السلطة ، في لبنان ، بكل ابعادها عربيا ودوليا .

وعلى هذا لا يمكن الوصول الى تحديد دقيق لمسؤوليات الاطراف السياسية الاخرى قبل ان يتحدد ، وبالضبط ، دور الحكم ومسؤولياته .

عن « السفير »

١٩٨٥/٦/٢٨

— ٤ —

عن لبنان "الساحة" والحكم الوحيد : تغييب الدولة ليس العذر بل الجريمة !

ربما لأننا ما زلنا على ايماننا بضرورة وجود لبنان ، دولة ومشروع وطن لابنائه جميعا ، مع حقهم في الاختلاف والصراع حول نظامه السياسي ، فاننا لا نجد غير مدخل وحيد للحوار حول المسؤوليات والاوضاع القائمة هو : موقع الدولة ودورها ، في هذا كله ، وبالتالي موقع الحكم ودوره ، باعتباره المؤتمن والمرجع المفترض بالشرعية التي تعطيه حقوقا وحصانة ليست لغيره من القوى السياسية ، ومنها على سبيل المثال حقه المبدئي في تمثيل البلاد والشعب، وبكونه مركز القرار ومصدره في الشؤون المصيرية .

وليس في اختيار هذا المدخل محاولة لمنح تبرئة مسبقة لاي طرف من الاطراف الفاعلة والمتنازعة ، لا سيما المسلحة منها ، بل هو يستهدف تصحيح مسار النقاش واعادته الى سياقه الطبيعي، بحيث ينطلق من «العام » الى « الخاص »، ومن« الموضوعي » الى « الذاتي » ، ووضع ضوابط وتحديدات واضحة اهمها الاتفاق على « المسطرة » أو وحدة القياس الصالحة والمتفق عليها في تحديد المسؤوليات .

فاختيار هذا المدخل يتسق وينسجم مع الموقف المبدئي ، والطبيعي ، بأننا مثل اللبنانيين عموما ، مع الدولة،

« دولتنا جميعا » وضد غيابها أو تغييبها ، هذا من غير أن نسقط حقنا في الاعتراض على النظام السياسي .

اننا مع « الدولة » في لبنان ، مع الجمهورية اللبنانية.
وما كان قائما في لبنان حتى اليوم ليس جمهورية ، وفقا للتعريف المعتمد عالميا للجمهوريات بل خليط من الاقطاعية والامارة ذات المرتكز الطائفي ، وبعض تراث المتصرفية بوصفها « التقنين »الفعلي للنفوذ الاجنبي، والغربي تحديدا في لبنان . ومصدر هذه الهجانة في هويته القومية ، اذ جعله بروتوكول ١٨٦٤ كيانا تابعا بالاسم للامبراطوريات العثمانية لكنه ليس منها ، تعين متصرفه دول الامتياز فيكون من رعايا السلطان ولكنه مسيحي ، ويعتمده السلطان برغم انه غير ذي رأي فيه ، ثم يأتي ليحكم بلدا لا هو منه ولا تعنيه همومه ولا يفهم بحال علاقته بمحيطه ... فالكل بالنسبة اليه سواء !

هذا من غير أن ننسى ذلك التراث الغزير لحقبة الاحتلال الفرنسي ، والذي غيَّر في جغرافية لبنان مرة ، وفي تركيبته السياسية مرات ، وفقا لمصالح المحتل ، وللاخفاقات (أو النجاحات) التي حققها مشروعه لاستعمار سورية الطبيعية كاملة ... وكلنا يذكر ان نظام لبنان السياسي لم يستقر على هذه « الصيغة » الا بعدما تأكد لفرنسا انها خارجة من سوريا ، بالتأكيد ، وبالتالي من لبنان ، نتيجة لعنف الرفض الشعبي في سوريا من جهة ، ولهزيمة فرنسا ذاتها في الحرب العالمية الثانية واضطرارها الى لملمة جيوشها المنهزمة واعادة ترتيب بيتها ذاته !

ولنعد الى الموضوع : اننا مع الدولة في لبنان ، مع الجمهورية اللبنانية .

واذا كان الحكم الحالي قد عجز عن الحفاظ على ما كان متبقيا من الدولة فالحل لا يكون بشطب الدولة والاحتفاظ بالحكم ، بل يكون بالعكس من ذلك تماما .

واذا كان النظام السياسي قد شوه صورة الجمهورية وزوّرها علنا فالحل لا يكون بشطب الجمهورية واستبقاء النظام الفاسد المفسد ، المولود مسخا ، فأبوه هو الاجنبي وامه الطائفية وموروثات عهده الحماية الاجنبية في ظل السلطنة العثمانية ، بل يكون بالعكس من ذلك تماما .

اذن نعيد بناء الدولة لتكون جمهورية ، ارضها بعض الارض العربية وشعبها بعض الشعب العربي، والديموقراطية فيها شرط وجود لانها تشكل الضمانة ضد الخوف وضد الغبن لهذه « التنويعة » الغنية من الاقليات الدينية والطائفية والمذهبية التي تتعايش على مساحتها الضيقة ، اقتصادها حر لكن المدرسة فيها وطنية ، فالمنهج واحد ، والكتاب واحد ، والدولة هي التي ترعى لا الارساليات الاجنبية ولا البعثات التبشيرية ولا الجمعيات الخيرية المنبثقة عن تجمعات او تنظيمات طائفية .

من هنا فاننا نعارض حكم امين الجميل لاننا مع الدولة ومع الجمهورية .

وبالمقابل فلسنا بأية حال مع نبيه بري وحركة «امل» او وليد جنبلاط او الحزب التقدمي الاشتراكي ، حين

يحاول اي منهم ان يقيم « دولته » سواء في بيروت الغربية او في الشوف والاقليم او في بعض الجنوب .

تماما كما كنا ونبقى ضد « دولة » الكتائب او« القوات اللبنانية » في المنطقة بين كفرشيما وجسر البربارة الشهير.

... وضد « دولة » الشيخ سعيد شعبان وحركة « التوحيد » في طرابلس ، وكذلك ضد « دولة » علي عيد وجماعته ..

... وضد « دولة » تنظيم المردة في بعض الشطر الاخير ، اي المسيحي ، من الشمال .

...واخيرا فنحن ضد « دولة » امين الجميل في المتن الشمالي .

لسنا مع اي من هذه « الدويلات » ولا يمكن ان نكون، ولا نظن ان الكثرة الساحقة من اللبنانيين تؤيد قيام هذه الدويلات او ترضى بها ، او انها مستعدة لان تقاتل واحدة منها او بعضها لحساب الاخرى .

وليس الامر امر موقف من هذا الشخص او ذاك ، فنحن ايضا ضد مشروع دويلة ابراهيم قليلات او كمال شاتيلا او الجماعة الاسلامية ، او صائب سلام ، اوتقي الدين الصلح ، وصولا الى ياسر عرفات ، في بيروت الغربية ، وضد « الغيتو » في الشطر الشرقي ولو كان قائده طانيوس شاهين او شبلي الشميل او انطون سعاده ، او حتى ريمون اده الذي ينسى ولا ينسى .

نحن ضد الدويلات الطائفية ، كما ضد الدولة الواحدة الطائفية .

ونحن ضد الدويلات الحزبية وضد الحاكم الفرد الحزبي ، لاننا نعرف – باليقين – ان لبنان ، بتنويعته البشرية ، لا ينقاد لحكم حزب واحد ، أو فئة واحدة ، أو طائفة واحدة فكيف بفرد واحد ؟!

ونعرف أيضا ان حكم « فرد واحد » محسوب بالاصل على حزب واحد يشكل فئة محددة ومحدودة من أصل طائفة محددة ، سيغري الاحزاب الاخرى بأن تقيم دويلات لطوائفها الاخرى .

وكل ذلك سيكون على حساب الدولة في لبنان ، اذ سيتحول الى ما هو عليه الآن : مجرد « ساحة » لا دولة فيها ولا حكم ولا حكومة ولا شعب ... وهذه « الساحة » هي ارض تجمع وحشد لعدد لا يحصى من القوى والفاعليات المحلية والاقليمية والدولية ، يختلط فيها الطائفي بالعشائري والاجتماعي بالمذهبي والكياني بالقومي ، وتتداخل فيها بالتالي عناصر ما يسمى بـ « ازمة الشرق الاوسط » بالتداعيات المنطقية دوليا من حلف وارسو الى حلف الاطلسي والسنتو وما بينهما ، فاذا لا حل ولا أمل بحل لا في الحال ولا في الاستقبال .

وصحيح ان الحرب الاهلية ، اي حرب أهلية في أي مكان وزمان ، هي أرض جامعة وجاذبة لقوى الصراع الاقليمي والدولي ، وانها في لبنان بالذات ، القائم على توازن هش بين عوامل الصراع هذه ، لا بد أن تكون فيه أقوى منها

في اي مكان آخر ، لكن ذلك يتوقف – والى حد كبير – على كفاءة الحكم في ادارة الصراع ومن ثم في الافادة من قوانينه وتوازناته ذاتها لتوفير المخرج الملائم من الازمة .. أو في أبأس تقدير : لتخفيف الآلام والضحايا وأسباب الدمار ، انتظارا للحظة تسنح فيها فرصة للحل فيغتنمها وقد بقي من بلده وشعبه ما يستحق « مغامرة الانقاذ » العتيدة ، كل ذلك وسط جو من الاجماع أو شبه الاجماع الوطني على توصيف الحالة وتوصيف الحل المرتجى وكيف يكون وعلى حساب من من خصومه وليس من ابنائه وفئاته بأي حال .

والملفت اننا نعيش في ظل حكم يجمع في ذاته كل أسباب ومبررات استمرار الحرب الاهلية وتصاعدها وليس العكس .

واذا كان من غير المفيد ، ومن غير الضروري استعادة أو التذكير بالفرص التاريخية التي تسبب هذا الحكم في اضاعتها ، فلقد تظل ضرورية الاشارة الى ان هذا الحكم يقف اليوم ، فوق السدة الرئاسية ، وحيدا فريدا بلا غطاء شعبي من اي نوع ، هو الذي وصل باجماع قل نظيره خصوصا في الظروف التي اوصلته الى القمة في بلد لرئيسه من الصلاحيات ما لا يتمتع به امبراطور أو ملك مطلق أو خليفة انتزع السلطة بسيفه ثم ادعى انه ظل الله على الارض وحكم باسم صلة النسب الفريدة هذه !

من أول حكومة شكلها ، الى انخراطه في المفاوضات مع العدو الاسرائيلي ، الى اندفاعه الجموح نحو تلك العلاقة الذليلة مع الولايات المتحدة الاميركية ، وصولا الى اتفاق العار (١٧ أيار) وما تخلل تلك المسيرة البائسة من حروب

ضد المناطق والطوائف والقوى السياسية ، كان الحكم يصر على وحدانيته : هو الاجماع الوطني ، وهو المفاوض الوحيد للاصدقاء والاعداء وهو المغامر الوحيد ، وهو بديل الاحزاب جميعا ، بما في ذلك حزبه الابوي (الكتائب) .

وحتى حين اضطر الى تعديل مساره والانقلاب على نهجه ، فقد رفض هذا الحكم الاعتراف لاية قوة اخرى او اي شخص اخر بأي دور ... وهكذا صار « بطل الغاء اتفاق ١٧ ايار » ، الذي عقد بذاته حتى من قبل ان تبدأ المفاوضات ، اذ وضع اسمه عبر « وثيقة شارون » الشهيرة ، وصار « بطل الخيار السوري » والزائر الدائم لدمشق ، هو هو الذي هدد بقصفها ـ من واشنطن ـ ذات يوم .

وكان ضروريا ان ينسف « حكومة الوحدة الوطنية » التي راى انها فرضت عليه في لحظة ضعف ، واضطرار وهكذا فقد تسبب في تعطيلها عن الانجاز ، وطفق يفتعل اسباب الاختلاف والمشاكل مع اعضاء « حكومته » حتى ظل بيانها الوزاري (الهزيل اصلا قياسا الى التضحيات التي ادت الى تسليم الكتائب ومن معها به) ، حبرا على ورق... ثم ما كاد ، تحت الضغط المباشر من دمشق ، يخطو الخطوة الاولى واليتيمة في اتجاه تطبيق بعض ما تضمنه ذلك البيان (المراسيم الاشتراعية) ، حتى قامت ـ وبقدرة قادر ـ تلك « الانتفاضة » العجيبة في « القوات اللبنانية » ، ثم تم الانتفاض على الانتفاضة فحل ايلي حبيقة (المعتمد الاصيل للعلاقة مع اجهزة المخابرات ومع جيش العدو الاسرائيلي ، والمنفذ المباشر لمذابح صبرا وشاتيلا) محل سمير جعجع واعتبرت « توبة » القوات نهائيةوعفا الله عما مضىوالمسامح

كريم وقاتل الله الشيطان والوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس وهيا بنا جميعا الى دمشق للالتحاق بالخيار العربي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي القدير !

من حكومة « اللا احد » الى « حكومة كل الناس » ظل المسلك واحدا : هو وحده المفاوض والمقرر ، معلن الحرب ، ومعطي الامان ، المقاتل والمصالح ،أما الآخرون،اما مؤسسات الحكم ذاتها من برلمان الى حكومة ، الى مؤسسات الدولة جميعا ، مدنية وعسكرية ، الى قوى سياسية فاعلة(بالسلاح كما بالقدرة على تمثيل جمهورها الطبيعي ، ولو على اسس طائفية او مذهبية) ، فليس عليها الا الطاعة والالتحاق ، أو العصيان وتحمل تبعة التمرد .

وهكذا يجلس الحكم فوق القمة وحيدا : مجلس الوزراء مشلول ومعطل ، وبعض الوزراء اعطى نفسه حقوق المنتصر على الرئيس في حرب اهلية شنها الرئيس ضده ،مجلس النواب في اجازة مفتوحة ينتظر أن يتكرمعليه قادةالميليشيات بفتح المعابر ، وكل شيء بالثمن ، الجيش منقسم على نفسه بعضه يقاتل بعضه الآخر على خطوط التماس، وكل منطقة وطائفة تريد منه تلك الفئة التي تطمئن اليها على قاعدة الانتماء الطائفي والمذهبي ، والحدود مشرّعة لكل راغب في الدخول او قادر عليه (بهذا الشكل او بذاك) .

من بقي للرئيس ومعه ؟!

بعض اجهزة الحكم ذات الطابع البوليسي والمرتبطة اصلا بالرئاسة ، كمثل المخابرات والامن العام ، وعلى هذا

يتوزع المهمات السياسية العقيد سيمون قسيس والدكتور جميل نعمه .

ثم بعض المستشارين الذين تحملوا في فترة الإعداد لاتفاق ١٧ ايار مهمة القيام بـ « العمل القـذر » وأراد الرئيس ان يعوضهم فاستبقاهم الى جانبه مع علمه بأنهم غير مقبولين من مرجع « الخيار الجديد » والقائلين به .

اما خارج القصر فالعلاقات نشطة ومستمرة مع بعض المراجع الروحية ، يحاول الحكم أن يعطيها دورا سياسيا يجاوز قدراتها ليعوض انفضاض القوى السياسية من حوله، بكل ما يمكن أن تقود اليه هذه السياسة من مخاطر أبسطها تنامي المد الطائفي والمذهبي ، والخروج على قواعد اللعبة السياسية بتطبيقها اكثر فأكثر . ولقد شهدنا بعض الانعكاسات المؤذية لهذا النهج في التشكيلات والتعيينات ، اذ غدت المجالس الملية والمراجع الروحية صاحبة كلمة نافذة وصاحبة حق نقض (فيتو) لم يكن لها في يوم ، وبهذا استبعدت اكثر فأكثر الكفاءة والخبرة والمؤهلات ليعتمد « حسن التمثيل المذهبي » أو « التعصب الطائفي » كمسوغ أساسي للتعيين .

وقبل سنوات كان حزب الكتائب والروح الانعزالية السائدة والمعتمدة رسميا في مؤسسات الدولة تمنع تعيين الحزبي (أي القومي العربي ، واليساري عموما) ، وان تسامحت مع التافهين وضعاف النفوس والمتلونين مع الريح، أما اليوم فان الكيانية تدعم نفسها بأعدى أعداء الوطنية والقومية والفكر التقدمي تحت ذريعة ضمان العدالة في تأمين حقوق الطوائف والمذاهب في جبنة الحكم الشهية !

افلا يحق للناس ، هنا ، أن يتساءلوا : الم يكن دور الحكم في تحويل لبنان الى « ساحة » اكثر من دور الاطراف الخارجية جميعا ؟!

ثم ان الحكم هو ابرز مستفيد من تحويل لبنان الى مجرد « ساحة » ، اذ يتخذ منه العذر ليس فقط لعجزه وتقصيره ، بل ايضا لكي يقوم بعكس ما يفترض أو يطلب اليه أن يقوم به من حكم يمثل اللبنانيين كافة ومطمحهم المشترك الى وطن حقيقي يتساوون فيه بحقوق المواطنة وواجباتها ؟!

وعندما يتخفى الحكم أو يخفي نفسه ويغيّب مسؤولياته فانه يستطيع من ثم اتهام الآخرين بأنهم مجرد متحكمين ومغتصبين للسلطة والشرعية ، محولا النتيجة التي يتحمل مسؤولياتها بالكامل الى سبب ، ويلصق بالآخرين ما هو مسؤول عنه ومطالب به .

وعلى سبيل المثال فان مسؤولية الحكم (والدولة) عن مطار بيروت (الدولي !!) وامنه لا تنتهي بمجرد سحب قوة الجيش التي كانت فيه (مع رمزية دورها ، في السابق ، ومحدوديته) ، بل ان تلك المسؤولية (الشاملة من حيث المبدا) تتخذ بعدا أخطر اذ لا يعود السؤال : لماذا سحب الجيش ، من المطار ؟! بل هو سيصير حتما : من الذي تسبب في أن لا يبقى في البلاد ، عموما ، وللبلاد عموما ، جيش ، ومن هو المتسبب في تحويل الجيش في بيروت بالذات الى ميليشيا ، ثم من المسؤول حقيقة عن تمرده بكل النتائج التي نجمت عن ذلك التمرد (انتفاضة اللواء السادس

في ٦ شباط ١٩٨٤) ، وصولا الى وضع المطار كجزء لا يتجزأ من الوضع الامني السائد في بيروت الغربية ؟!

ومن المغالطات الشائعة أن يقال : ما العمل طالما ان ليس في لبنان حكم ولا حكومة ولا دولة ولا جيش الخ ...

وبغض النظر عن المحاولة السمجة التي تتضمنها مثل هذه المغالطة لتبرئة الحكم والحاكم ، فان الاخذ بها لا يعفيه من مسؤولياته ... فأول شروط الحل المرتجى ان يكون في لبنان حكم وحكومة ودولة ما ، كأداة للتوحيد ورمز له ، وبهذا يصبح ضروريا ايجاد حكم قادر ، وليس في اسقاط مسؤوليات هؤلاء والبحث عمن يتنطح لقبولها وممارستها في الشارع ، بالرغبة او بقوة الامر الواقع .

في السياق ذاته ، يمكن اعادة طرح مجموعةمن الاسئلة والتساؤلات التي قد تبدو قديمة عفا الزمن عليها وعلى اجوبتها ، لكن لا مفر من مواجهتها اذا كنا نريد سياقا صحيحا لحوار وطني سليم يستهدف الوصول الى حل وليس فبركة حل مرتجل بناء على«معطيات»اللحظةالراهنة.

من بين تلك الاسئلة :

● لماذا تتولى حركة « امل » ومعها الحزب التقدمي الاشتراكي مسؤوليات بيروت الغربية ، وامنها والسياسة ومسائلها الاقتصادية والاجتماعية والتربوية وصولا الى النظافة والاطفائية ؟!

ليس الامر المطروح ولا يجب أن يكون : هل نجحت « امل » والحزب التقدمي والى اي حد ، ولماذا لم ينجحا

اكثر ؟ فان مثل هذا السؤال « يؤبد » الحالة الموقتة ، ويجعل الوضع الراهن ، الذي يجتمع على الشكوى منه اللبنانيون جميعا ، بمن فيهم نبيه بري ووليد جنبلاط ، قدرا لا مفر منه ولا خيار حياله الا بالثورة عليه ، اي بتجديد الحرب الاهلية وهذه المرة بين ابناء الصف الواحد وأبناء القضية الواحدة ورفاق السلاح في الخندق الواحد ؟!

ولماذا ننسى او نتناسى اننا ما نزال حتى اليوم ـ نظريا وعمليا ـ رعايا دولة محددة اسمها لبنان ، نحمل جواز سفرها ذا الارزة ، ونتعامل بليرتها البائسة ، ونرفع علمها ونعترض على رفع علم غيرها ، ونقر بشرعية مؤسساتها العامة (بما في ذلك الجيش وحتى المخابرات والامن العام الخ) ؟!

● ولماذا تتولى حركة « أمل » في بعض الجنوب اضافة الى بيروت الغربية ، ما تتولاه من مسؤوليات تثقل كاهلها وتفرقها في سيل من المشاكل التي لا تملك ولا يمكن ان تملك حلا لها ، فتدور تتخبط لتؤكد قدرتها ومن خلال القدرة شرعية عملها ؟!

هل انقلبت « امل » على الدولة ، ام ان الدولة رحلت فسلمت مقاليدها الى من ارتضى مثل هذه المهمة القاتلة ، وكتدبير مؤقت في انتظار أن يصبح للدولة حكم قادر على اعادتها وفرض سيادتها وقانونها على كل الاراضي اللبنانية وكل المواطنين اللبنانيين ؟!

● ولماذا يتولى الحزب التقدمي الاشتراكي في الشوف وعاليه واقليم الخروب وصولا الى صيدا وتخوم جزين ما

يتولى من مسؤوليات ؟! وهل تم ذلك بفعل الرغبة وكحدث انقلابي أم كتعويض عن غياب الدولة وعن الحكم المركزي الذي انحسر بوصفه طرفا خاسرا في حرب وليس لان الاهالي اختاروا الانفصال و « تكنتنوا » باللغة السائدة حاليا ؟!

● ثم ... لماذا تولى حزب الكتائب ، ومعه «القوات اللبنانية » ، منذ سنوات بعيدة ، المسؤوليات جميعا ، المدنية والعسكرية ، السياسية والمعيشية ، الامنية والاجتماعية ، في كل تلك المنطقة الممتدة بين « كفرشيما » وحاجز «البربارة» الشهير .

اذا كان الامر قد تم لحركة « أمل »والحزب الاشتراكي في بيروت الغربية وبعض الجبل بالتمرد المسلح ، وعبر حرب كان الحكم طرفها الآخر والخاسر ، فذلك ما لم يكن في « الشرقية » ، بل ان الدولة هناك اخضعت اجهزتها جميعا – وبقرار واع من الحكم – للهيئات الشعبية الكتائبية، للمحاكم الكتائبية ، للشرطة الكتائبية ، كما اخضعت جيشها للقوات المسلحة الكتائبية (القوات اللبنانية) وحتى الاذاعة الرسمية لصوت الكتائب المتعددة اللغات ...

● الم يتسبب الحكم الذي تغاضى عن هذا الوضع، وحارب المعترضين عليه في المناطق الاخرى ، في اغراء الكل باعتماد نموذج « الشرقية » وتعميمه على مختلف الفئات والجهات ، بدلا من ان يكون همه الاول الغاء « الغيتو » المحسوب عليه ، والذي تحاصر ميليشياته المسلحة قصره ذاته اضافة الى وزارة الدفاع وقيادة الجيش وسائر مؤسسات الدولة والحكم وصولا الى مجلس النواب (المؤقت !!) ، والى الدوائر العقارية واحواض المرفأ التي

ما تزال تدفع الضريبة للميليشيات على اوراق رسمية ممهورة بختم الدولة وطابعها ؟!

● الم يتسبب مسلك الحكم ، ونكاد نقول :الم يحرض الحكم اللواء السادس في الجيش على التمرد والالتحاق بحركة « أمل » في بيروت الغربية ، والضباط والجنود الدروز على الالتحاق بثكنة حمانا ، ليبقى له من ثم جيش اللون الواحد (او ميليشياه الخاصة) كرديف للكتائب وعنصر توازن معها في مناطق هيمنتها ؟!

● ثم ... الم يتسبب تقاعس الحكم عن الاخذ بأبسط مطالب الاصلاح السياسي ، وعلى امتداد الفترة بين ايار سنة ١٩٤٨ وآذار سنة ١٩٨٥ ، في دفع المطالبين بالاصلاح الى اليأس المطلق وبرر لهم بهذه النسبة او تلك ان يسلكوا سبلا اخرى بينها أن يتولوا بأيديهم ما كان ولا يزال وسيبقى شرعا وعرفا من مسؤوليات الدولة والدولة وحدها ؟!

لقد اختار الحكم على سبيل المثال ، ان يتعامل ووليد جنبلاط ، المقاتل باسم الدروز ضده وأمير الجبل ، بدلا من وليد جنبلاط الوزير (ولو على مضض) في حكومته .

كذلك اختار ان يقطع الضاحية ومن ثم بيروت ، واستطرادا الجنوب ، لنبيه بري المقاتل باسم الشيعة ضده بدلا من نبيه بري في حكومته المقدمة على انها قيادة لبنان السياسية الجامعة .

ونصل الى صلب الموضوع :

* * *

ـ لماذا نجد انفسنا ضائعين وحائرين وعاجزين عن تصور الحل ، متى وكيف وبمن وبأية شروط يكون ؟!

والجواب : لاننا ، اساسا ، لا نعرف بالضبط اذا ما كان لبنان ، بعد ، دولة لها حكم وحكومة ، به او بهما معا يبدأ الحل ويستمر حتى الاكتمال .

هل نحن دولة او دول قيد التأسيس ، لكل قوة او فاعلية فيها (مسلحة بالسلاح أو بالمال او بعنصرية ما) ان تحدد اين تكون ، وشكل علاقاتها مع القوى الاخرى ،وعلى قاعدة « القوي بقواه » ؟!

ان استمرار تغييب الدولة (ممثلة بالحكم والحكومة فيها) يحيل اللبنانيين الى مجموعات من البشر تتوزع اصولهم وانتماءاتهم وولاءاتهم بحسب تعدد الاديان والطوائف والعشائر ، فيكون منطقيا من ثم أن يبحث كل عن مصدر لامانه هو ، وليس لاهله جميعا ، لاي دين او طائفة ، او مذهب انتموا ... فمتى افتقد الاطار الوطني الجامع صارت السلامة هي الرابطة ، وبديهي ان تتقدم الروابط الاكثر تخلفا لتجيب على التساؤلات الملحة والمضنية .

فالحكم ليس الشرطي ، وليس القاضي او العسكري فقط ، كما انه يتجاوز الرمز ليكون القائد والقيادة وليتحمل المسؤولية الكاملة عن ادارة الصراع السياسي في البلاد ، وايصال المواطنين الى كلمة سواء ، او الى صيغة تستجيب لمطامحهم ومطالبهم وتحقق التوازن بين فئاتهم معطية الوطن على حساب الكل ،لان الانتماء الى الوطن والشعور بالتساوي مع الآخرين فيه هو المصدر الحقيقي للاطمئنان والانصاف بما يزيل عوامل الخوف والغبن وما شابههما .

الحكم هو العدالة ، هو المساواة ، هو تلك العين أو البصيرة النافذة والقادرة على استشفاف المستقبل واعداد البلاد والمواطنين له .

الحكم هو المرجع ، وشرط المرجع النزاهة والترفع وصلابة العقيدة الوطنية والايمان بحق الجميع في العدالة والامان والرزق ، فاذا ما افتقد المرجع ، كما حالنا ، اليوم، نصب كل قادر نفسه مرجعا لفئة أو فئات تفتقد المرجع الصالح وحاول ان يعوضها الشعور بالامان باستنفار غريزة الدفاع عن الذات فيها .

والحكم او الحاكم الطائفي يبرر للآخرين أن يكونوا طائفيين ، ومن ثم للمذهبيين أن يجهروا بمذهبيتهم ...

وهكذا فان البداية والنهاية هي الاجابة على هذا السؤال :

هل في لبنان حكم ام لا ، لنعرف بالتالي ان كان ثمة دولة أم لا ؟!

والجواب بالسلب ليس عذرا ، فالمدخل الى حل المسألة اللبنانية يكون بقيام الحكم القادر والعادل والمؤهل لمواجهة ظرف عصيب كالذي نعيش ، فلنبدأ من نقطة البداية ، وفي ضوء معطياتها يمكن تحديد مسؤوليات الآخرين ووجوه الخلل في طروحاتهم أو في ممارساتهم على الارض .

عن « السفير »

١٩٨٥/٦/٣٠

- ٥ -

عن مسؤوليات "أمل" و"الاشتراكي" : حديث في السياسة لا في الأمنيات !

... ونصل الى الحديث عن مسؤولية حركة «امل» ونبيه بري ، ومسؤولية الحزب التقدمي الاشتراكي ووليد جنبلاط ، عن الوضع البائس الراهن في بيروت الغربية،وعما وقع ويقع في مناطق من الجبل وجنوب الصمود .

ولكي يتخذ هذا الحوار سياقه الطبيعي علينا ان نحدد ، ومنذ البداية ، وفق اي معيار او مقياس سيتم تحديد المسؤولية ، وبالتالي مناقشة مدى النجاح والاخفاق في ممارستها .

● ان البعض يحاسب « أمل » ،وكذلك«الاشتراكي»، وكأنهما ـ منفردين او مجتمعين ـ هما « الدولة » ،ويحاكم نبيه بري او وليد جنبلاط ،او كليهما ، وكأنهما « الحكم » ، اي رئاسة الدولة والقيادة الشرعية للبلاد .

وهو بهذا يعطي هذين التنظيمين اللذين اوصلتهما ظروف محددة الى صدارة العمل السياسي ، اكثر مما يستحقان او يطلبان ، والاهم اكثر مما يمارسان حقيقة ،

ومن ثم فلا بد ان تأتي احكامه جائرة وغير صحيحة ، مهما اجتهد في أن يكون منصفا ، فالتشخيص الخاطىء لا يمكن أن يؤدي الى علاج سليم .

● والبعض يحاسب « أمل » و « الاشتراكي » ـ منفردين أو مجتمعين ـ وكأنهما أصحاب مشروع انقلابي متكامل له برنامجه السياسي المحدد والشامل لامور الوطن والمواطن ، على صعيد النظام السياسي ، كما على الصعيد الاقتصادي ، وعلى صعيد المسألة الاجتماعية كما على صعيد التربية ، وعلى صعيد الثقافة كما على صعيد موجبات الانتماء القومي .

وهو بهذا أيضا يعطي هاتين الحركتين الجماهيرتين ما لم تدعيانه وما لا تسمح به طبيعتهما ، اضافةالى أن الظروف للبلاد لا تعطي فرصة لاي حزب بالذات ، او لاي طائفة بالذات (ناهيك بالمذهب) للاستيلاء على السلطة وفرض برنامجها الخاص (متى وجد !)

● وبعض ثالث يسقط على « أمل » و «الاشتراكي» تمنياته هو وتصوراته (حتى لا نقول احلامه وتهويماته) حول « سلطةالشعب » ، معززة بما علق في خياله من ملخصات مجتزأة عن ترجمات مشوهة لتجارب مختارة في مجتمعات بعيدة ، أو بما اختزنته ذاكرته من حكايات الجدات أو حكايات الف ليلة وليلة ، أو ما سمعه ففهمه عن أساطير تحكي عن « المدينة الفاضلة » أو عن « المستبد العادل » أو عن « الشاطر حسن » ، أو جيش الملائكة الذي يصل دائما في اللحظة الاخيرة فينقذ الاميرة المحاصرة بالفيلان والحيتان والتماسيح والمارد ذي العين الوحيدة ..

وهو بهذا يريد ان يصدق ان حربا اهلية جاوزت السنوات العشر من عمرها يمكن ان تكون مجرد كابوس ينتهي بالاستيقاظ (او بكبسة زر ، اي زر) ، أو يمكن أن تبقي في قوى البلاد السياسية من العافية ما يمكنها من اقامة سلطة الشعب ، وأي شعب (!!) اذا ما استذكرنا ان ارض لبنان الضيقة تتسع لسبع عشرة طائفة (هذا من دون الفلسطينيين) ؟!

●● بالمقابل فهناك من لا يرى في « أمل » و « الاشتراكي » غير تنظيمين طائفيين ، على رأس أولهما رجل مهووس بالسلطة ومحكوم بعقدة الزعامة ، وعلى رأس الثاني رجل مهووس بالدم ومحكوم بعقدة التاريخ ، وان كل ما صدر ويصدر عنهما باطل بباطل ، وانهما يمارسان قهر الطوائف الاخرى (وزعاماتها) ويعملان معاول الهدم في الدولة لانها تشكل عقبة دون مطامحهما في الهيمنة والتفرد بالسلطة والانتقام لماضي القهر (في حالة نبيه بري) أو لاستعادة الامجاد الغابرة (في حالة وليد جنبلاط) .

●● وهناك من لا يرى في حركة « أمل » ورئيسها نبيه بري غير « تابع » و « عميل » للنظام السوري يأتمر بأمره فلا يخرج عن ارادته او عليها ، في حين ينظر الى علاقة وليد جنبلاط والحزب التقدمي الاشتراكي بالنظام السوري على انها علاقة بحت انتهازية املاها الاضطرار الى دفع تهمة ممالأة العدو الاسرائيلي من جهة ، والحاجة الى حليف قوي لمواجهة المد الكتائبي الذي وصل الى ذروته مع الغزو الاسرائيلي فحاول توظيف تحالفه مع العدو للهيمنة على لبنان كله ، وعلى جبل لبنان والشوف اساسا بشكل خاص.

●● ثم ان هناك من يرى ان صعود هذين التنظيمين المعزز كل منهما بزخم استقطاب للمذهب (الشيعة في حالة « أمل » ، والدروز في حالة « الاشتراكي ») ، لا بد ان ينتهي بصفقة منفردة يعقدها أحدهما أو كلاهما مع الطائفة المارونية باعتبار انها « صاحبة امتياز » الكيان اللبناني فاذا مست مواقع سيطرتها او ازيلت من مواقع السلطة فقد الكيان مبرر وجوده وزالت « الجمهورية اللبنانية». وخلاصة هذا المنطق : ان السنة ستكون الطائفة الوحيدة المتضررة في « الصيغة » المستقبلية للنظام اللبناني ، فالموارنة سيحتفظون بموقعهم الممتاز وسيعطون الشيعة والدروز من حصة السنّة وهي أقل مما يجب ، أصلا ، فالبدار البدار الى الحركة والا راحت على السنّة ، فاليوم اليوم وليس غدا تكون وقفة الدفاع عن حقوق الطائفة ، والا كان الندم و « لات ساعة مندم » !!

●● وهناك منطق اخطر من هذا كله يروج له همسا ولا يطلق صراحة الا من البعيد ، وعبر ابواق تجتر التهييج الطائفي والمذهبي ، أو عبر اشارات خبيثة تبثها بعض الجهات الاجنبية المعادية والاميركية ـ الاسرائيلية، على وجه الخصوص ، وقوام هذا المنطق : ان ثمة صفقة عقدت أو هي قيد الابرام الآن ، بين الاقليات المذهبية الاسلامية (كالشيعة والعلويين والدروز) من جهة ، وبين العدو الاسرائيلي من جهة ثانية ، لمحاصرة الاكثرية السنّية في الوطن العربي وضربها ، مع التذكير بأن ايران ـ الخميني هي قطب الرحى في هذا الحلف الجهنمي الجديد الذي يستهدف حماية الكيان الاسرائيلي بحزام من دويلات الاقليات الطائفية والمذهبية .

ووفقا لهذا المنطق يصبح الشيعة مرشحين لان يقوموا بدور حرس حدود العدو الاسرائيلي ، في جنوب لبنان ، في حين يحمي الدروز خاصرته عبر كانتون أو دويلة تمتد من صيدا الى طريق الشام فحاصبيا في الجنوب الشرقي ، ويحاصر السنّة في شمالي لبنان بين الكانتون الماروني الممتد من شرقي بيروت الى بشري وبين الحزام العلوي من جهة الحدود السورية .

ومن أسف ان هذا المنطق المشبوه الذي « يخوّن » الناس ، بل و « يهوّدهم » أي يخرجهم من وطنيتهم وقوميتهم واسلامهم ، لمجرد انهم ينتمون الى هذا المذهب الاسلامي أو ذاك ، قد اعتمد رسميا من قبل العديد من الانظمة العربية ، ومن قبل بعض التنظيمات الفلسطينية الساعية الى صفقة مع الاميركيين وعبرهم مع العدو الاسرائيلي بأي ثمن حتى ولو كان الثمن بعض ما تبقى من القضية القومية ومن الهوية الفلسطينية .

بل ان اصداء هذا المنطق الذي يستهدف تجديد « الفتنة الكبرى » بين المسلمين قد ترددت حتى في جوانب مؤسسة قومية المظهر كجامعة الدول العربية ، مما اضطر أمينها العام الى محاولة التخفيف منه بقدر ما تتيحه الظروف ... والعين بصيرة واليد قصيرة وتونس «التغريبة» قد أخلت مكانها من زمان لتونس البورقيبة الذي لم يتورع عن ابلاغ ريغان انه « سيأمر » أمين عام جامعة الدول العربية (وهو تونسي ، كما تعلمون) أن يهتم بأمر رهائن الطائرة الاميركية ويعمل للافراج عنهم في أقرب وقت .

ما علينا ، لنعد الى الموضوع ...

والموضوع ليس مناقشة مثل هذه الاتهامات او التصورات أو التقديرات لدور حركة « أمل » ونبيه بري ، وكذلك وليد جنبلاط والحزب التقدمي الاشتراكي ، بل هو محاولة تحديد المعيار أو المقياس لتحديد مسؤولية هاتين الحركتين الجماهيريتين ، وقيادتهما ، وبالتالي مناقشة مدى النجاح والاخفاق في ممارستها .

وفي هذه « الدعوة للانقاذ بالحوار » فان المقاييس مختلفة تماما عن تلك التي تمليها التجنيات أو الهمسات المشبوهة كما التصورات الخاطئة ، بغض النظر عن مدى الظلم فيها .

وسلفا يمكن القول ان القياس سيتخطى كل ما يقال ويشاع ويملأ الاسماع عن « تجاوزات » ميليشيات « امل » و«الاشتراكي» وارتكاباتها وانتهاكاتها للبيوت والحرمات .

ليس لان ذلك صحيح أو غير صحيح ، بل لان ذلك من طبيعة الميليشيات ، أولا ، بل ومن طبيعة اية قوة ، نظامية ام غير نظامية، ترمى في الشارع للسيطرة عليه وضبط الامن فيه ، ثم يطول أمد انتدابها لهذه المهمة المفسدة بطبيعتها ، للجندي كما للمقاتل فكيف بالمتطوع ، ولابن الحي الاصلي فكيف بالغريب عنه (وقد تعني « الغربة » أن يكون ابن حي مجاور) ؟! ثم كيف اذا كان الشارع بعض بيروت الغنية بكنوز البيوت والمصارف والمؤسسات والمزدحمة بالسيارات الفارهة ووسائل المتعة والراحة ، والعائمة على بحر من اجهزة المخابرات متعددة الجنسيات ، والتي تعيش حالة انقسام عفا عليه الزمن ، وحالة انفصام تمده الحرب الاهلية القديمة والمستمرة بأسباب اضافية كل يوم ؟!

* * *

بالمقابل فان المقياس سيتخطى ، أيضا ، ذلك المنطق الغبي القائل بأن من ارتضى هيمنة حزب الكتائب ورفع صور بشير الجميل ليس من حقه أن يرفض الخطأ في ممارسات « أمل » و « الاشتراكي » ، وهو منطق يبرر اعتبار هاتين الحركتين الجماهيريتين « قوة احتلال »وافدة على العاصمة من خارجها،اذ يساويهما بذلك الحزب المتواطىء مع العدو الاسرائيلي على اذلال شعبه والمفرط بما تبقى من رموز الوطن من أجل السلطة ، ويهمل ــ اساسا ــ الجانب السياسي من الموضوع .

على هذا سيعتمد « المقياس » المبادىء السياسية الآتية :

** ١ ــ الى اي حد أفادت تجربة الحزب التقدمي الاشتراكي بعد حرب الجبل وتجربة حركة «أمل» بعد حروب بيروت والضاحية وصولا الى انتفاضة ٦ شباط ١٩٨٤ ، في اغناء البرنامج النضالي لشعب لبنان من اجل الاصلاح والتغيير ، اي من أجل العدالة والديموقراطية وتوكيد الانتماء القومي ؟!

على سبيل التذكير يمكن الاشارة الى ان الهدف المعلن لوليد جنبلاط ، منذ حرب الجبل كان : ضرب الهيمنة الكتائبية واسقاط حكم أمين الجميل ، تمهيدا لاقامة نظام سياسي جديد في لبنان يحل محل صيغة ١٩٤٣ البالية .

وعلى سبيل التذكير يمكن الاشارة الى ان الهدف المعلن لنبيه بري ، منذ حرب الضاحية وبعدها وصولا الى مؤتمر لوزان (في آذار ١٩٨٤) كان : الغاء الطائفية السياسية

كمدخل لالغاء صيغة ١٩٤٣ الظالمة ، وباسقاطها تسقط حكما الهيمنة الكتائبية (والمارونية اجمالا) بما في ذلك حكم أمين الجميل .

والسؤال الواجب طرحه على « امل » والحزب التقدمي الاشتراكي :

ــ اين نحن ، الآن ، من المهمات التي تعهدا بتنفيذها كعناوين اولية لمشروع برنامج سياسي وطني شامل ؟!

هل نحن اقرب الى تحقيق هذه المهمات مما كنا عليه يوم الاعلان الرسمي عن اسقاط ١٧ ايار (أوائل آذار ١٩٨٤) بوصفه ذروة التراجعات التي قدمها الحكم لافتداء نفسه بالقفز الى دمشق والالتفاف على حالة النهوض الشعبي العظيم التي كان يعيشها لبنان عشية ذلك المؤتمر البائس في لوزان ؟!

وفي التفاصيل :

● هل انتهت سياسة الهيمنة أم هي مستمرة ، وان تم تجميدها أحيانا لضرورات تكتيكية ، كل هذا مع تجاوز واقع امين الجميل ما يزال على قمة السلطة الشرعية في البلاد .

● هل تم الغاء الطائفية السياسية ، او هل تم لجمها كخطوة اولى ، أم انها استشرت بأكثر مما كانت عليه يوم رفع الشعار ــ المطلب ، وتعمقت وتجذرت وباضت وأفرخت المذهبية التي ذهبت بوهج بيروت والقها ودورها الذي لا يعوض وطنيا وقوميا ؟!

● واستطرادا ، هل يمكن الغاء الطائفية السياسية اصلا مع الحفاظ على دور طائفة محددة (الموارنة)وموقعها الممتاز في النظام اللبناني الفريد ؟!

❋ ❋ ٢ – لقد تولت « أمل » ومعها الحزب التقدمي الاشتراكي مسؤوليات بيروت بتبريرات سياسية محددة ، بينها : العمل لاسقاط اتفاق ١٧ ايار وتوكيد عروبة لبنان ، ومقاومة سياسة الهيمنة وحماية الحريات الديموقراطية ، وابرزها حق الآخرين – ولا سيما المختلفين مع الكتائب وعنتها – في الوجود وفي التعبير عن نفسها ، ثم النضال لتغيير النظام السياسي أو تطويره أو اصلاحه ، وهذا اضعف الايمان ...

ومن اسف ان اخطاء الممارسة:من تجاوزات وارتكابات، قد غطت على القضية السياسية ، فاذا المحاسبة تتم وتتشعب ودائما من منطلق بحت امني ، واذا الرد أو « الدفوع » – أو لوائح الدفاع ، بتعبير المحامين – تبدأ وتنتهي محاصرة ومحصورة في تبرير تلك الاخطاء بمنطق بحت أمني هو الآخر ...

●● « لقد اعتديتم على حريات الناس وحرمات بيوتهم » ، يقول الشاكون .

●● ويرد المخول بالرد باسم«الحركة»او«الحزب»:

« كان لا بد من ذلك لحماية أمن المواطنين وامن التنظيم » !!

● لقد تصرفتم كما كان يتصرف الجيش المتهم بالفئوية وميليشيات القوات اللبنانية فيأيام عزها ...»

●● ويجيء الرد خاليا هذه المرة أيضا من شبهة الموقف السياسي :

والاعتداء على بيوتنا ومكاتبنا ؟! لقد هوجمنا فكان لا بد من رد الهجوم وتأديب المهاجمين حتى يفهموا ان«حيطنا مش واطي » كما يتوهمون ... لقد تولينا هذه المسؤولية كارهين ، ربما ، لكننا سنثبت اننا « قدها وقدود » !!

وهكذا تختفي تماما الطروحات السياسية ، وهي أساس الموضوع ، ويختفي المتهم الاول بالتسبب في الوضع الشاذ الذي حمّل « أمل » والحزب الاشتراكي ما لا قبل لهما به من مسؤوليات وتبعات تنوء بحملها الجبال الرواسي!

❋ ❋ ٣ – يتصل بذلك وينبع منه تناقص دور « أمل » والحزب التقدمي الاشتراكي في العمل السياسي العام ، كون التنظيمين – بكادراتهما الاساسية – باتا مستغرقين ومستنزفين بتفاصيل المشاكل اليومية ووقائعها الكثيرة والمنهكة .

واذا كان وليد جنبلاط قد نجح في المحافظة على نبرة المعارضة الكاسحة للحكم ، بل وللنظام السياسي ، واستمر يذكر – لمناسبة ولغير مناسبة – أن « لا حل مع رئيس كتائبي » ... وحافظ على هامش من المسافة مع ما يجري في بيروت الغربية ، برغم المسؤولية المباشرة التي يتولاها الحزب التقدمي الاشتراكي فيها ، فان نبيه بري المقيم في بيروت (والمحاصر فيها) والمغرق في التفاصيل (والبعض يتهمه بعشق التفاصيل والاستمتاع بالفرق فيها) قد تحول في نظر البعض عن الاصل الى الفرع حتى لبدا وكأن قضيته أمن بيروت أو الجنوب وليس مستقبل لبنان .

وعند المتصلين بنبيه بري كثير من الكلام يردون به على ما يوجه الى « الاستاذ » من اتهامات بينها قصر النظر او القصور في طرح المسألة الاصلية .

● فهم يقولون ان وليد جنبلاط ، وارث الزعامة ودارها ودورها المسلم به داخل الطائفة الدرزية ، وداخل لبنان ، ثم في المنطقة العربية ككل ولدى القوى الدولية المختلفة ، يملك هامشا من حرية الحركة والمناورة لا يملكه ابن الحاج ابراهيم بري الخارج من شق الارض بتبنين التي كانت بين « ممتلكات » الاقطاع في الجنوب وليست مركزا له ، والتي كان أهلها من الاتباع والرعية لا من القادة .

● وهم يقولون ان نبيه بري كان عليه ، وما يزال عليه ، ان يخوض معارك يومية داخل التنظيم وخارجه ، داخل الطائفة لشيعية وخارجها ، ثم على المستوى العربي وصولا الى المستوى الدولي ، للاعتراف بالطائفة أولا ، و « الحركة » ثانيا ، وبدوره وموقعه الشخصي ثالثا، وهذا يستهلك طاقته وقدرته على التمييز بين ما هو اساسي وما هو فرعي ، اضافة الى ما تضطره اليه عملية انتزاع الاعتراف من مساومات لا بد أن تتم — في جزء منها — على حساب الموقف او المواقف المبدئية .

● وهم يقولون ان وليد جنبلاط كان يكفيه ان يخوض معركة واحدة « للدخول » الى بيروت ، وانتزاع الاعتراف به طرفا مقررا فيها ، اما نبيه بري فعليه ان يخوض معركة يومية للبقاء في بيروت والحفاظ على موقعه المتميز فيها ، بحكم المسؤولية التي ارتضى أن يحملها ، ثم بحكم تأثير هذا الموقع على مستقبل العمل السياسي في جنوب ما بعد

التحرير وادوار القوى المختلفة فيه وعلى راسها حركة « أمل » ونبيه بري شخصيا ... مع استذكار الاستحقاقات « السياسية » الباهظة في ذلك الجزء من البلاد الذي التهمت النار ارضه وناسه قبل الغزو وثم خلاله وما تزال تتهدد ما تبقى منه وتطالبه بأن يدفع المزيد لكي يستطيع الاطمئنان النسبي الى المستقبل القريب .

ومن المفارقات ان هذا الجنوب الذي كان في فترة القاعدة الوحيدة للكفاح المسلح ضد الكيان الصهيوني، وتحت شعار العمل لتحرير فلسطين ، ثم غدا في فترة الغزو المسرح الوحيد للقتال الحقيقي واليومي ضد جيش الاحتلال وتهشيم هيبته وقدراته ، تحت شعار « تحرير الارض والانسان في لبنان » .. قد ترك يواجه قدره وحيدا ... فلا دولته، ولا الدول العربية الاخرى (مع استثناءات محدودة ومعروفة) ولا الدول الكبرى ذات الشأن مهتمة بما سيكون عليه ، بعد جلاء المحتل ، مما يجعله على الدوام مستضعفا ومرشحا لان يكون — في المستقبل — رهينة بيد الاسرائيلي يبتز به لبنان والعرب للقبول بشروطه التي عجز عن فرضها بالغزو المسلح قبل ثلاث سنوات .

● ويضيف المتصلون بنبيه بري فيقولون :

— من هنا فان الجنوب ورقة ضغط على نبيه بري وحركة « أمل » بمقدار ما هو ورقة قوة ، من خلال النموذج الفذ الذي قدمه شعبنا في الجنوب عبر مقاومته الباسلة للاحتلال الاسرائيلي ، والتي شكلت تحولا نوعيا في الصراع العربي — الاسرائيلي ستكون له نتائج حاسمة في المراحل المقبلة من هذا الصراع المفتوح .

وهكذا فان بعض الضربات والهجمات التي تستهدف انهاك حركة « امل » وما تمثله ، في بيروت ، ومعها رمزها القيادي نبيه بري ، انما هي مجرد مقدمة او توطئة للمعركة الاخرى ، الاخطر والاكبر ، في الجنوب .

فاذا كانت معارك بيروت ، والاشتباكات فيها تدور بهدف التأثير على مواقع الطوائف والقوى السياسية في لعبة النظام ومستقبل الصيغة والحكم ، فان «حرب الجنوب» المستمرة بعد انما تستهدف هوية لبنان ودوره في معارك النضال القومي ، واساسا في مواجهة المشروع الامبراطوري الاسرائيلي الجاري العمل لتحقيقه تحت رايات « السلام الاميركي » وبتواطؤ العديد من قيادات المنطقة وتحريضهم المباشر .

● ثم يصل هؤلاء المتصلون بنبيه بري الى الاستنتاج المحدد فيقولون :

— وفي حين ان وليد جنبلاط لا يخضع لضغوطات هذه التطورات ولا يتأثر وضعه السياسي بانعكاساتها ، الا بمقدار ، فان نبيه بري مضطر لاعطاء الابعاد الاقليمية المزيد من العناية والاهتمام مما يحد من قدرته على تركيز الجهد في المعركة ضد الحكم ، ويخفف من اندفاعه في اتجاه تغيير النظام حتى لا يستنفر مزيدا من العداوات والخصومات المؤذية ، ولا تتقاطع المصالح على راسه او على دور الطائفة التي انتزع موقع القيادة الاولى في تمثيلها .

* * *

اين حدود المسؤوليات ، في ضوء هذا كله ؟

واين يقع التحالف بين « امل » و « الاشتراكي » ،من هذا كله ، وهو التحالف الذي يحتاج دوما الى توكيد وتجديد الالتزام به ، واساسا بسبب ضمور البرنامج السياسي المحدد الذي يرتكز اليه .

فوليد جنبلاط « باق » في الجبل ، ووجوده في بيروت « مركز امامي متقدم » لحماية دار الزعامة وموقعها الاصلي .

اما نبيه بري فموجود في بيروت وفيها وعبرها يقاتل لكي يدخل فيبقى في الجنوب ، اي ان بيروت هي « القاعدة الخلفية » وخسارتها تحسم المعركة في الجنوب اما لمصلحة « امل » ونبيه بري ومن وما يمثلان ، واما على حساب كل من وما يمثلانه في الداخل والخارج .

وليد جنبلاط المتخفف من العبء الاسرائيلي الضاغط قادر على مواصلة معركته ضد الحكم ، والنظام ، في حين ان نبيه بري مضطر الى تقديم موجبات المعركة الجنوبية على المعركة مع الحكم والنظام ، وربما على حساب ما تقتضيه الثانية ، في بعض الحالات .

ووليد جنبلاط ، قادر على اعتبار الوجود في بيروت مسألة ثانوية ، وقادر من ثم على « التهديد » بالانسحاب منها وتركها لمصيرها ، في حين ان نبيه بري مضطر لان يخوض معركة بيروت ، وبأقصى الشراسة حين تفرض عليه ، لان خسارته فيها تنهيه خارجها أيضا ، وخياره بالتالي :انتصر فأبقى او اخسر فأزول وتهزم معي قوى التأثير التي تلخص وجودها في شخصي قبل حركة « امل » .

على ان الطرفين محكومان بالتحالف لاسباب تتعدى

الشخصين والتنظيمين . وتتعدى كذلك معطيات اللعبة السياسية المحلية ، ولذلك يبدوان وكأنهما ممنوعان من الاختلاف او من ترك الخلاف يهدد هذا التحالف الاضطراري والمفيد كونه يحد من المناخات المذهبية المحيطة بكل من التنظيمين ، كما من تقلبات الرجلين المختلفي المزاج والهوايات . ويضفي على التوجهات عموما قدرا من الاحساس بالمسؤولية الشاملة ، ويجعلهما بالتالي عنصر استقطاب لاطراف العمل الوطني والتقدمي، وملاذا للرافضين الانصهار في بوتقة مذهب بالذات ... فتحالف المذهبين يولد هامشا للعلمانيين ، والله أعلم !

* * *

لم نصل الى النتائج بعد ، وقد طال الحديث .

فلا بد اذن من وقفة ثانية أمام مسؤوليات هذين التنظيمين ، وقيادتهما ، وبالذات أمام حركة « امل » بوصفها عنوانا لحالة صعود لفئة كانت دوما على الهامش فاذا هي في القلب من حركة الصراع ، بكل ما يعنيه ذلك من اخلال بقواعد اللعبة ، محليا واقليميا .

عن « السفير »

١٩٨٥/٦/٣٠.

- ٦ -

عن التحالف الناقص والجبهة الغائبة والنتائج الطائفية لتراجعات العمل القومي والوطني

لم تكن مصادفة ان العلاقة العملية بين « امل » والحزب التقدمي الاشتراكي ، والتي بلغت في بعض الحالات مستوى « رابطة الدم » ، لم تتحول الى تحالف سياسي بأفق وطني شامل ، وعلى قاعدة برنامج واضح ومعلن يحدد المهام والاولويات واسس التلاقي والتعارض مع القوى السياسية المختلفة ، وصولا الى موقف من الحكم والنظام و « الصيغة » العتيدة والمفتقدة ، بعد .

ولم تكن مصادفة ، بالتالي ، ان تبقى العلاقات بين هاتين الحركتين الجماهيريتين ، من جهة ، وبين سائر التنظيمات والقوى ، احزابا وتجمعات وشخصيات ، معلقة وهيولية وعائمة ومؤقتة دائما ، يعني انها عرضة للتبدل كل يوم ، في ضوء مجريات الامور ، وردود الفعل الآنية على تصرف أو بيان أو تصريح أو خطاب في مهرجان .

فطبيعة «أمل» كحركة جماهيرية،على حد رأي قيادتها، تستعصي على الانضباط وراء برنامج سياسي محدد ، من شأنه أن يفرز الناس وفق طبقاتهم ومصالحهم وتلاوينهم

الثقافية وتوجهاتهم الفكرية ، بينما « الحركة » تستهدف توحيد قاعدتها الشعبية العريضة ، ولو على الحد الادنى ، لتحقيق مصالح « الطائفة » المحرومة ، وتحصيل حقوقها المهدورة ، وايصالها الى الموقع الذي تستحق في النظام ودست الحكم .

اما الحزب التقدمي الاشتراكي ، وتحت قيادة وليد جنبلاط تحديدا ، فقد انجز مهمة توحيد قاعدته الشعبية، مستكملا ما كان كمال جنبلاط قد قطع على طريقه شوطا طويلا ، فبات في مقدوره « أن يحكي في السياسة » مع القوى الاخرى ، ومن موقع القائد والزعيم والرئيس دائما ، وبفارق في القوة والوزن ، يجعله وحده صاحب حق النقض (الفيتو) ، يقبل ما يناسبه أو ما يريده ويرفض ما عداه ، وما على الآخرين الا الموافقة والتبرير و « مواصلة النضال لبناء علاقات جبهوية سليمة » ، أو « لسحب الحزب ـ الطائفة ـ القائد اكثر فأكثر الى ساحة العمل الوطني والتقدمي » .. هذا دون أن ننسى ان الدروز ، كطائفة ، لا يشكون ضمورا في الموقع او في الدور او هدرا في الحقوق و(الكرامة) كما في حالة « الشيعة » ، في نظام الكوتا والحصص الموزعة على أساس طائفي ومذهبي، وان كانت الطائفتان تتلاقيان في التمني والعمل على « خرق السقف » وفتح باب التغيير بحيث يصبح من حق اي مواطن ، بمن في ذلك الدرزي أو الشيعي ، أن يكون رئيسا للدولة أو قائدا للجيش أو مدعيا عاما للتمييز أو مديرا للمخابرات أو الامن العام الخ ...

« أمل » تريد ، باسم « الطائفة » خرق السقف ، ليأخذ « الشيعة » ما حرموا منه مما يستحقون فعلا بحكم

كثرتهم العددية وامكاناتهم المادية والثقافية ، والحزب التقدمي، الاشتراكي يريد ذلك باسم « الدروز » من اجل الطموح ، اي من اجل المستقبل ، مع رفض البحث في ما بين يدي أبناء الطائفة من خيرات النظام ومواقع السلطة والمناصب .

ربما لهذا التقلص« السياسي»من العلاقة بينالحركتين الجماهيريتين،وان فرضت التطورات السياسيةوالعسكرية، وواقع التحالف القائم بين كل منهما وبين دمشق ، ثم حقائق الجغرافيا ، توسيع الاطار او الجانب العملي في هذه العلاقة التي تعدت ، في حالات معينة ، ما كانت تطلبه او تتصوره قياداتهما فكيف بالخصوم ؟!

ومع غياب العامل «السياسي» بما هو قوة جذب للتنظيمات الاخرى ، وقاعدة لبرنامج سياسي يجمع كل اصحاب المصلحة في التغيير ، انحسر الشعور بالمسؤولية الشاملة وعن الوطن كله ، بشماله والجنوب ، بقاعهوالجبل، اضافة الى العاصمة المهيضة الجناح بالتقسيم وخطوط التماس ، لينحصر في اطار المصالح المباشرة « للطائفة » كما يراها ويعبر عنها « تنظيمها القائد » .

صارت علاقة بين « طائفتين » تعبر عنهما حركتان جماهيريتان ، أكثر مما هي علاقة تحالف بين تنظيمين سياسيين تلاقيا على رؤية مشتركة للحاضر وتصور مشترك للمستقبل وأسلوب عمل لانجاز مهمة التغيير ، في الوطن كله ، وبقوى الشعب كله ، ومن أجله كله ، بطوائفه المختلفة ، الظالمة ، والمظلومة ، الحارمة والمحرومة ، المميزة نفسها بموروثات عهود الحماية والاحتلال والقهر

الاستعماري ، او المسقطة من الحساب كنتيجة لتلك الموروثات عينها ...

في البداية كان ثمة ما يغطي هذه العلاقة ويمنحها مضمونا نضاليا ، فعبر مواجهة مسيرة الحكم في اتجاه التفاوض (فالصلح بشكل ما) مع العدو الاسرائيلي،وضرب انتماء لبنان القومي والتزامه بموجبات الصراع العربي – الاسرائيلي ، كما عبر مواجهة سياسة الهيمنة الكتائبية على البلاد والتصدي لمحاولة تسخير الدولة ومؤسساتها،والجيش اولا ، لهذا الغرض ... عبر ذلك كله، تلاقت حركة«امل» والحزب التقدمي الاشتراكي مع العديد من القوى السياسية، الرافضة للاحتلال والمناهضة لسياسة الهيمنة ، بما اضفى على اللقاء والحركة المنسقة (بهذا القدر او ذاك) طابعا وطنيا عاما ، تبهت معه الهوية المباشرة لاطرافه .

وبمقدار ما تأكد الطابع القومي لمعركة اسقاط اتفاق ١٧ ايار ، فقد فرض الصراع دخول أطراف عربية فاعلة في غمارها ، على رأسها سوريا ومعها الجماهيرية العربية الليبية و « الانتفاضة » في فتح ومعها أكثرية الفصائل الفلسطينية المؤمنة بعد بجدوى القتال ضد اسرائيل وضرورته ، وأسهم هذا كله في « تعريب » أجواء حركة « أمل » وتنقية المناخ من حولها ، وهو في الاصل كياني بشهادة اسمها (أفواج المقاومة اللبنانية) وتوجهاتها الاصلية كما في «المنطلقات» .

اما بالنسبة للحزب التقدمي الاشتراكي ، القديم الصلة بالحركة القومية وتياراتها ورموزها المختلفة ، من جمال عبد الناصر الوحدة العربية ، الى المقاومة الفلسطينية فالى حافظ الاسد ودوره في المنطقة عموما وفي لبنان على

وجه الخصوص ، فقد أفاد من مجمل تحالفاته لتركيز المعركة ضد الحكم ، ومن خلفه ضد الكتائب و « المارونية السياسية » بوصفها القابلة والحاضنة لهذا النظام السياسي الذي فصِّل على مقاسها ومن أجلها ، كما تقول ادبياتها ، حتى من قبل قيام « الجبهة اللبنانية » ومن قبل تشغيل « مركز الدراسات » في الكسليك او في «بيت المستقبل » .

مع انتهاء المعركة ضد اتفاق ١٧ ايار ، كان لا بد من اعادة صياغة البرنامج السياسي لهذا الحشد من القوى السياسية الذي تلاقى بغير تخطيط ربما ، وبالاضطرار احيانا (لا سيما في حالة « أمل » والحزب الشيوعي،مثلا) .

كذلك كان لا بد من وقفة للمراجعة والتأمل واعداد النفس لمهمات المرحلة المقبلة ، داخليا وعربيا ، مع اعطاء الاهمية المطلوبة للموضوع المفتوح والمتروك للريح : الوجود ومن ثم السلاح الفلسطيني في لبنان .

كان الكل متعجلا ومشغولا ومستغرقا في مقتضيات المعركة ، فلم يتنبه احد الى أن صيغة مؤتمر جنيف ،بمعنى دلالات تحديد الاعضاء فيه ومن ثم في مؤتمر لوزان،ستحكم علاقات القوى وحركة الصراع السياسي في لبنان حتى أمد بعيد .

وحتى الذين تنبهوا فنبهوا لم يجدوا آذانا صاغية عند رموز قوى التغيير ، وهكذا حصر تمثيل شعب لبنان بالقيادات ذاتها التي لا تفتأ تمثله ، برغم مظاهر المعارضة والاعتراض والرفض ، منذ ما قبل الاستقلال على قاعدة صيغة ١٩٤٣ ، التي اجتمع على ادانتها واعتبارها ساقطة

في وقت واحد « المجددون » في ثلاث طوائف اساسية ،على الاقل ، وان لاسباب مختلفة : بشير الجميل ومعه«القوات اللبنانية » باسم الموارنة ، ووليد جنبلاط ومعه الحزب التقدمي الاشتراكي باسم الدروز ، ثم نبيه بري ومعهحركة « أمل » القادمة من خارج النادي السياسي ، باسم « الشيعة » .

وكان طبيعيا ، من ثم ، أن ينشأ حلف موضوعي بين أطراف « الصيغة » ورموزها من كميل شمعون الى صائب سلام ومن بيار الجميل الى رشيد عبد الحميد كرامي ،ومن عادل عسيران الى سليمان فرنجيه ، ضد احتمالاتالتغيير التي يمثلها بالاصالة والحاجة نبيه بري ، وبالرغبة وليد جنبلاط ، وان كان مقعده في الصف الآخر محفوظا .

في ضوء هذا التطور يمكن ان نقرأ مجددا اسباب « انفراط » جبهة الخلاص الوطني ، التي كانت تضم الرئيسين سليمان فرنجية ورشيد كرامي ووليد جنبلاط (ومعه ، ولو بوجود رمزي ، احزاب العمل الوطني والتقدمي) وتقيم علاقة تحالف مع نبيه بري وحركة « أمل » .

لقد انشطرت تلك الجبهة ، يومذاك ، مرتين : الاولى حين خرج منها سليمان فرنجية ملتحقا بسائر الموارنة ، ليقابله اقتراب صائب سلام من سائر المسلمين ، وقد كان بعيدا عنهم حتى يومها ، والمرة الثانية حين فرض على كل طائفة ان تتلمس حدود الربح والخسارة في الصيغةالجديدة فراى نبيه بري نفسه وحيدا في مطلب الغاء الطائفية السياسية ، وان حرص وليد جنبلاط على اظهار استمراره في التعاطف معه ، كما حرص ممثل سوريا (نائب رئيس

الجمهورية عبد الحليم خدام) على اسباغ حمايته علىالرجل والمطلب ، فحال دون محاصرة الاول وعزله وعجز عن فرض الاخذ بالمطلب ، الذي فهم الكل انه يفتح باب الثورة ضد النظام على مصراعيه .

ربما عند ذلك ادرك من يعنيهم الامر خطأ حصر التمثيل الشعبي بتلك القيادات « التاريخية » ، التقليدية والمحافظة واليمينية والمرتكزة الى الطائفية بالضرورة ، وتحسروا بعد فوات الاوان على غياب الكاثوليك والارثوذكس والارمن واللاتين وسائر الطوائف المسيحية التي اجبرت ،مرةأخرى، على اعتبار المارونية السياسية « ممثلها الشرعي الوحيد »، وكذلك على غياب رموز التغيير ، سواء داخل الطوائف الاخرى أو خارجها في أحزاب العمل الوطني والقومي والتقدمي .

وهكذا فلقد عاد الذين ذهبوا لاعادة بناء لبنان ، في جنيف ثم في لوزان ، طائفيين كما لم يكونوا من قبل ، أو أكثر مما كانوا في أي يوم ، ولطائفيتهم مشروعية كانت قد اهتزت حتى أوشكت على الانهيار ، عشية توجيه الدعوةالى المؤتمر الاول للحوار الوطني .

بهذا المعنىفان أمين الجميل لم يربح فقط اعادة انتخابه ، مرة أخرى رئيسا للجمهورية وللبنانيين،واستعادة اعتباره وشرعيته ، بل عاد وقد أعاد الاعتبار للنظامالطائفي الذي يمثله ، واساسا للمارونية السياسية ، وبالتبعية للسنّة السياسية ، والشيعة السياسية والدرزية السياسية .

وكان على اللبنانيين ان يبدأوا ، من الصفر تقريبا ، معركتهم ضد النظام الطائفي الذي سارع الى تدعيم نفسه بعد لوزان .

ففي المنطق الطائفي ، أو بمنطق النظام الطائفي ، لا يهم أن تخسر الاحزاب الممثلة للطوائف ، فأسهل الامور والحالة هذه أن يضحى بالاحزاب لكي تبقى الطوائف ومصالحها الاساسية بعيدة عن الخطر ... ودفع حزب الكتائب فعلا ، بعض الثمن ، كما دفعه بعض رموز النظام من الطوائف الاخرى ، من أجل أن يبقى النظام ويستمر .

* * *

ليس من الموضوعية في شيء أن يغفل تأثير العامل العربي على التطورات التي شهدها لبنان منذ انفجار المعركة الوطنية ـ القومية ضد اتفاق ١٧ ايار وحتى اليوم ،وبالتالي على قوى الصراع الاساسية وآفاق توجهاتها ومضامين حركتها .

فمؤكد ان بعض المحنة التي يعاني منها اللبنانيون (والعرب عموما) يعود بأسبابه الى التراجع المريع الذي منيت به حركة القومية العربية التي شارفت ذات يوم الافق المتوهج للثورة ، ثم انكفأت فتحصنت في بعض المطامح والشعارات والذكريات ، وقلة من المناهج التي تحكم مسلك عدد محدود من الانظمة السياسية القائمة وكذلك بعض الاحزاب والتنظيمات التي تعاند وتكابر فترفض اعتبار « القومية » من تراث الماضي ...

واذا كانت هذه المحنة قاسية بانعكاساتها على العرب جميعا ، وفي مختلف اقطارهم ، فانها في لبنان قاتلة ، لان رد الفعل الفوري على التراجع القومي يعبر عن نفسه فورا في تزايد حدة الشعور الطائفي ، ومن ثم الانقسام الطائفي.

والاخطر ان التراجع القومي يغري ، مباشرة، بعض الطوائف والفئات برفع الحظر عن التعامل مع العدو الصهيوني ، مبررا هذا الانحراف بهزيمة العرب وعجزهم عن مواجهة العدو : « اذا كان العرب مجتمعين قد فشلوا واندحروا فماذا يمكن لبلد ضعيف وصغير كلبنان أن يفعل في معركة ضد اقوى قوة في الشرق الاوسط ، بل ضد القوة الخامسة في العالم ، كما يصنف خبراء الاستراتيجيا اسرائيل » ؟!!

ما يعنينا من هذا كله ان بعض محنة العمل الوطني في لبنان ، باحزابه وتنظيماته جميعا ، يعود الى تراجع الحركة القومية .

ومؤكد انه لو كانت أحزاب العمل الوطني أكثر عافية، واقوى نفوذا ، واوضح رؤية لحركة الصراع السياسي ومقتضياته ، وأعظم استعدادا وتنظيما ، لما كان المجال انفتح فسيحا أمام حركات تمثل الطوائف والمذاهب ، بل لكانت حركة « امل » ذاتها قد غدت ـ وبتأثير المناخ العام ـ اقرب الى الحزب السياسي الممثل لفئة المحرومين ، عموما ، اكثر منها حركة تمثل طموح طائفة بعينها (الشيعة) الى اثبات وجودها ونيل حصتها من هذا النظام الطائفي .

وفي ما يخص الحزب التقدمي الاشتراكي فتاريخه ذاته

يقدم الدليل على صحة هذا الاستنتاج ، فهو قام بالاصل وفي أوائل الخمسينات ، كحزب ذي برنامج اصلاحي ، غير طائفي قطعا ، ولم تلحق به شبهة تمثيل طائفة بالذات (الدروز) الا مع انفجار الحرب الاهلية بمناخاتها الطائفية المسمومة ، في الداخل ، وبالآثار المدمرة للصراع بين أطراف كان يجمعها ويوحد بين تطلعاتها ـ ذات يوم ـ اطار العمل القومي في مواجهة عدو محدد هو اسرائيل معززة ومدعمة بتأييد الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية .

وبالمقابل فلا يمكن اهمال حقيقة بارزة في هذا السياق هي : ان حالة النهوض التي شهدها حزب الكتائب يمكن التأريخ لها باستذكار المحطات البارزة لتراجعات الحركة القومية ، وأساسا في مواجهة مهمات نضالها المركزية (الوحدة ، تحرير فلسطين، بناء مجتمع الكفاية والعدل ، التحرر الكامل الخ) .

مع تراجع العمل القومي العام ، اندفع ما هو « خاص » و « مميز » الى السطح .

ومع الانتصارات التي حققتها اسرائيل استعادت الطائفية بعض اعتبارها المفقود ، اذ عادت الملجأ والملاذ للخائب املهم في قوميتهم وفي وحدة امتهم التي يمكن ان توفر لهم ضمانات الغد الافضل وتعصمهم من كل خطر .

ولقد افترض البعض ، لفترة ، ان حركة المقاومة الفلسطينية التي استقبلها لبنان وفتح لها القلب والذراعين والابواب جميعا بوصفها الامتداد الطبيعي لقيادة العمل القومي ، ستوفر له مناخا سليما يعصم العمل السياسي فيه

من مزالق الطائفية ، ومخاطرها القاتلة ، ولكنه فجع بها تنزلق هي الى المستنقع الطائفي وتغرق معه فيه ، ملحقة بقضيتها وقضيته أشد الاذى .

ذلك على اي حال موضوع آخر سنعود اليه بالتفصيل .

ما يعنينا ان نضيفه ، هنا ، ولاختتام الكلام في مسؤولية « أمل » والحزب التقدمي الاشتراكي ، بعض الملاحظات السريعة ابرزها :

● ان محاسبة هذين التنظيمين واجبة ، ولكن بمعيار سياسي عنوانه القصور أو التقصير في صياغة برنامج وطني شامل يكون قاعدة لقاء وتنسيق وصولا الى ذلك التحالف الحقيقي في المعركة لتحرير الارض والانسان في لبنان .

وحتى المحاسبة على الدور الامني لهذين التنظيمين ، في بيروت الغربية خاصة ، ثم في الانحاء والجهات التي يتحملان ـ طوعا أو بقوة الامر الواقع ـ مسؤوليتها ـ يجب ان يكون منطلقها سياسيا : بمعنى كم انعكس التسيب والاضطراب والاشتباك سلبا على مسيرة النضال من اجل الاهداف الوطنية .

● ان المحاسبة بمعيار أمني بحت ظالمة للتنظيمين ، اما المحاسبة الاخرى فقد تظهرهما ظالمين ، ظالمين لذاتهما كما للناس .

والمحاسبة عن بيروت الغربية وحدها ، أو عن الشوف وحده، أو عن الجنوب وحده ، قاصرة ، وتؤكد الخطأ ذاته الذي وقعا فيه .

اما الحساب الحقيقي والمطلوب فهو عن ناتج تجربتهما في ما يخص مستقبل لبنان ذاته . ومستقبل العمل السياسي فيـه .

من هنا ضرورة ان تفحص المجريات وتناقش بمنظور وطني شامل ، بمعنى ان ما يتم في الشوف أو في الجنوب ، اضافة الى بيروت سيعكس آثاره ـ بالسلب والايجاب ـ على المستقبل ، مستقبل كل الناس ، وفي مختلف انحاء لبنان ، بما فيها تلك الانحاء التي لا تتواجد فيها « أمل » او الحزب التقدمي الاشتراكي .

... والا فبأي حق كنا نلوم حزب الكتائب ونهاجمه ونوجـه اليه أقسى الاتهامـات ونحن نراه يجتزىء بعض الوطن ، فيعزله عن سائر انحائه ، ويتحكم بأهاليه ويفرض عليهم منطقه ورؤيته ومنهجه الطائفي ؟!

● وخطأ التنظيمين انهما « توقفا » بالحركـة والفعل وحتى بالدعوة ، عند خطوط التماس ، فلم يخترقاه وليس بـالضرورة بـالسلاح بـل بالبرنامج السياسي المستقطب للجمهور الآخر ، والموحد لكل اللبنانيين .

والخطأ الآخر الفادح انهما في مجمل حركتهما قـد توقفا عند حدود المـذهب او الطائفة ، المصالح او امـاكن الانتشار ، وحدود المذاهب والطوائف ليست هي حـدود الوطن ومصالحه ولا يمكن أن تكون .

فعندما تصبح الطائفة حزبا يخسر الوطن والوطنيون .

اما حين يخرج الناس من طوائفهم الى الاحزاب ، وبالذات

تلك المفتوحة الباب والصدر لآفاق النضال الوطني والقومي والتقدمي ولمهماته الجليلة ، فذلك مكسب للوطن وقضيته . .

فـالخروج من « اسار » الطائفيـة تحرر وانطلاق يتيـح استنشاق الهواء النقي واكتشاف لون الورد ، اما الدخول اليها فانغلاق يؤدي الى اختناق المواطن والوطن .

وبالقطع فان اي حزب سياسي يظل اعجز مـن ان يعبر عن طائفة ... فالطائفة بعض الناس ، ولكنهم فيهـا مثلهم خارجها : مصالح متناقضة وآراء متعددة ومتنافرة ، واهواء واغراض .

وفي حين تخاطب الطائفية عواطف الناس ومكـامن العصبية فيهم بـل وحتى الغرائز ، لا سيما في الحروب الاهلية ، كغريزة الدفاع عن النفس والنوع وغريزة البقاء ، فان الاحزاب تخاطب في الناس ارقى ما فيهم : عقلهم وفكرهم والمصالح وطموحهم المشروع الى مستقبل افضل .

● وتبقى ملاحظة اخيرة :

لا نظن ان ثمة من يكـابر في ان « أمـل » والحزب التقدمي الاشتراكي يتحملان مسؤولية مباشرة عن الكثير من وجوه الخطأ في الممارسة ، ان بالنسبة لبيروت الغربية أو الجهات الاخرى .

ومؤكـد ان قيادات هاتين الحركتين الجماهيريتـين تدركان ذلك وتقران به ، وتطلبان العون للتصحيح والانقاذ .

ومؤكد ان الحل لا يكون بأن يتخلى هذان التنظيمـان عن مسؤوليتهما وان يخرج نبيه بري وحركة « أمـل » من

بيروت لاقامة معسكر كشفي في بعض الاراضي البكر ، او « يهج » وليد جنبلاط تاركا الحزب التقدمي الاشتراكي ومن وما يمثل للقادر على اخذه .

وفي اي حساب فان ثمة حلا وحيدا ممكنا وقابلا للحياة هو قيام جبهة وطنية حقيقية تضم اطراف العمل الوطني جميعا ، على قاعدة برنامج وطني شامل يحدد المهام والاولويات واهداف النضال وسبل تحقيقها ، وعلى قاعدة تحالف ثابت ومكين وواضح الابعاد مع سوريا .

وبالطبع فان مهمة جليلة كهذه تستهدف انقاذ الوطن واعادة صياغة نظامه السياسي وتوكيد هويته القومية وطريقه الى غده الافضل ، تستحق جهدا جبارا ، وتتطلب ان يشارك الكل في تحمل التبعات لتذليل العقبات المانعة لقيامها ، وهي كثيرة .

ولا يجوز ، والحالة هذه ، ان يكون ثمة قاعدون ، ومستنكفون ، ومنتظرون ، يقتعدون كراسي بعض المقاهي او الاندية في بيروت ، او فندق شيراتون في دمشق ، ثم يؤشرون بعلامات « صح » و « غلط » على عمل الآخرين .

فالحروب الاهلية لا تنبت الورود ، بل تقتلها .

وحده المحب للوطن والحياة واجياله الآتية هو الذي يعتبر ان بين واجبات الانتصار على مفجري الحرب والمنتفعين بها ، أن يرعى الورود ويحميها لتكون سمة من سمات غده المرتجى .

هل قلنا كل شيء ؟!

ليس هذا ما نقصده ، فمهمتنا اثارة الحوار وتوسيع دائرته والعمل على اغنائه ، بوصفه طريقا للانقاذ ، ولغيرنا أن يقول ما عنده ، بل ان واجبه ان يرفع الصوت، بالاعتراض او بالتأييد لا فرق .

عن « السفير »

١٩٨٥/٧/١

- ٧ -

السلاح أم الوجود الفلسطيني :
مراجعة سريعة لتجربة الماضي من أجل ثورة المستقبل

في نيسان ١٩٦٨ خرج لبنان كله ، في تظاهرة قل نظيرها ، للمشاركة في تشييع جثمان خليل الجمل ، وهو فتى بيروتي كان قد التحق مع « فتح » واستشهد في حادث تدريب عادي في احدى قواعدها في الاردن . وصل النعش بيروت محمولا على الاكف ، كل قرية أو مدينة مر بها حملت النعش حتى حدود القرية الاخرى ، وكانت مشاركة بلدة الكحالة ملفتة تماما ، اذ اقفلت الدكاكين ، وقرعت الاجراس حزنا ، ورش النعش بالزهر والارزّ والعطر .

وفي آب ١٩٨٢ خرجت قيادة المقاومة الفلسطينية من لبنان ، بحرا الى اليونان ومنها الى تونس ، وسط تظاهرة وداع نادرة المثال احتشد فيها المسلمون باكين هزيمة العرب الجديدة ، ولم يشارك من المسيحيين الا من اقتضاهم المنصب الرسمي واجب المشاركة .

ووجد من يقول ان المقاومة الفلسطينية دخلت لبنان من بابه العريض ، بوصفها احدى طلائع الثورة العربية ، الوحدوية والتحررية ، بالضرورة ، وخرجت من باب جانبي ونتيجة لخسارتها الطابع القومي المفترض فيها ، وهكذا لم

يتبقّ لها غير تعاطف المسلمين ، ولاسباب تتصل بالقضية أكثر مما تتصل برموز القيادة السياسية للعمل الوطني الفلسطيني في المرحلة الراهنة .

بل وجد من يقول ، متهكما ، ان ياسر عرفات لم يصعد الى السفينة الا بعد ان اطمأن الى ان « لبنان الوطني » قد سبقه الى الرحيل ، فلم يتبقّ منه بعده الا مثلما تبقّى من قضيته ذاتها اي : الذكريات !

ذلك ان لبنان قد استقبل المقاومة الفلسطينية ، فاتحا القلب والذراعين وأبواب المدن والقرى والبيوت جميعا ، بقوة الحركة القومية ، وقيادة الامة معقودة اللواء لفارس الثورة الوحدوية في العصر الحديث ، جمال عبد الناصر ، كما بقوة الوطنية ورسوخ الانتماء القومي في نفوس أبنائه جميعا ، من مسلمين ومسيحيين ، دون ان نلغي من الحساب قوى الانعزال فيه ، والتي تشمل هي الاخرى مسلمين ومسيحيين !

وكان ضروريا الانتظار بعض الوقت ليتأكد بقوة الواقع المعنى الرمزي للدخول والخروج .

فلقد كان اتفاق القاهرة ــ قاهرة عبد الناصر والحركة القومية ــ هو باب الدخول الرسمي للكفاح المسلح الفلسطيني الى لبنان ، مستندا الى تأييد شعب لبنان بقواه السياسية الفاعلة وجماهيره الواسعة المتصدية بصدور شبابها لرصاص المعترضين داخل الدولة وخارجها ، كما اثبتت الاحداث التي توالت بين تظاهرة ٢٣ نيسان (١٩٦٩) الشهيرة ، وبين عقد الاتفاق في القاهرة وبرعاية جمال عبد الناصر شخصيا في تشرين الاول من العام نفسه .

وبالقدر نفسه فان « اتفاق عمان » الذي أعقب رحيل المقاومة الفلسطينية عن لبنان جاء بمثابة اعلان رسمي عن انتهاء عصر الكفاح المسلح كطريق لتحرير الارض المحتلة .

كانت القاهرة ، بقيادة عبد الناصر ، « باب الدخول» والعمل الوطني في لبنان هو الحاضنة و « البحر » ، وكانت عمان الملك حسين هي « باب الخروج » النهائي من الثورة ومن العمل المسلح ، والمضي قدما في تلك المقامرة البائسة من اجل الوصول الى القدس عبر واشنطن هذه المرة .

وليس مما يبهج على أي حال ان يستعرض المرء نماذج الباقين على ولائهم أو تأييدهم لقيادة ياسر عرفات ، من اللبنانيين ، خصوصا اذا ما تذكرنا ان الرجل «حكم» بعض لبنان ــ أكثرية شعبه وارضه ، على اي حال ــ لمدة تناهز السبع سنوات ، وان يقارن كم يكلف هذا «التأييد»عرفات، وكم يكلفنا نحن في لبنان ، بمن فينا بضع مئات الالوف من اخوتنا الفلسطينيين المقيمين بين ظهرانينا منذ اقامةاسرائيل على أرضهم .

بتعبير آخر فان عرفات الذي دخل لبنان باسم كل العرب وبموافقة وتأييد واحتضان أكثرية اللبنانيين ، على اختلاف طوائفهم ، محاطا بهالة تقدير يستمدها من قداسة قضيته ، ، فقد خرج منه وليس معه من العرب الا بعض انظمتهم التي لم تشتهر بعدائها لاسرائيل ولا بمعارضة ــ ولو مؤدبة ــ للسياسة الاميركية ، ومن اللبنانيين الا من ارتبط معه عمليا ، مباشرة أو عبر تلك « المؤسسات » الفلسطينية واللبنانية التي كانت تفرخ بمعدل واحدة كل ساعة .

هذا معاستثناء اكيد لكل الذين ما زالوا على ولائهم للقضية المقدسة ولشعار الكفاح المسلح كأداة للتحرير ، والذين شيعوا المقاتلين الفلسطينيين تشييعهم لاغلى آمال جيل او جيلين من العرب ، في لبنان وخارجه ، وحفظوا للقيادة الرسمية كرامة الرمز فقدموها على مواقفهم السياسية منها .

برغم هذا ، او ربما بسبب هذا ، لم يجد ياسر عرفات ما يقوله في وداع بيروت ، التي تحملت الحصار بشجاعة قل نظيرها ، واحتضنته أهلها كما احتضنوا «القضية » حتى يومه الاخير فيه ، غير تحميلها وزر انسحابه ، حين قال ما مفاده انه يخرج بناء لطلب المسلمين (وليس كنتيجة للاتفاق المعلن مع فيليب حبيب) !!

* * *

ليس همنا نبش الذكريات المؤلمة ولا التشهير بشخص ياسر عرفات أو أسلوبه في التعامل مع لبنان وبيروت التي تحولت على امتداد سنوات الى عاصمة«للدولةالفلسطينية»، وهذا من مفاخرها القومية على أي حال ، وان كان « أبو اياد » قد راى صورة اخرى فقال ما معناه : «نعم ، لقد اختطفنا بيروت ، واحتفظنا بأهلها رهائن ، كما في حالة الطائرات المخطوفة ، وذلك من أجل الضغط على الراي العام العالمي ، والغرب اساسا بقيادة اميركا ، لعلهميقدمون لنا شيئا تفيد منه قضية شعبنا » ...

ما يعنينا هو انعكاس ذلك الماضي ، الذي ترفض بعض القيادات الفلسطينية ، وليس عرفات وحده ، ان نطوي

صفحته ، على الحاضر ثم على مستقبل الوجود الفلسطيني في لبنان ، وعلى مجمل العلاقات بين الشعبين اللذين امتزجت دماؤهما واحلامهما وطموحاتهما في الخندق الواحد على امتداد ١٥ سنة صعبة وحافلة وغنية بدروسها والتجارب .

وهذا الوجود مهدد الآن ، وسيظل مهددا ما لم تتبدل مرتكزاته العامة ، في ضوء ما طرأ من تحولات على مسيرة القيادة الرسمية لمنظمة التحرير (ممثلة بعرفات ومن معه)، اولا ، ثم على ما طرأ من تبدلات وتغييرات سياسية على « الساحة اللبنانية » عامة ، والجنوب اساسا وبالتبعية بيروت الغربية وضواحيها ، خلال فترة الاجتياح الاسرائيلي، ثم عشية الانسحاب الذي لما يكتمل ، كل ذلك في ضوء معطيات الوضع العربي الراهن الذي غادر الثورة والوحدة والتحرير منذ أمد طويل .

وبغير ما رغبة في العودة الى تفاصيل «حرب الاشقاء» في المخيمات ومن حولها ، اسبابها والمسؤوليات ، من بداها ولماذا وكيف واين ، فمن الضروري اخذ دلالاتها بالحسبان ونحن نتعرض لموضوع الوجود الفلسطيني ومرتكزاته — السياسية والقانونية والشعبية — في المستقبل ،خصوصا وان « اتفاق دمشق » الذي انهى الاشتباك المسلح قد حقق تعطيل « الصاعق » ولم يلغ اسباب او امكانات التفجير .

● اولى الحقائق التي يجب ان تستقر في الوجدان الفلسطيني ،متصلة بلبنان واهله، ان الوجود الفلسطيني هو الاساس ، وهو ما يجب المحافظة عليه والاهتمام به .

ان في لبنان اكثر من ثلاثمائة الف انسان فلسطيني،

يعيشون ويعملون فيه ، ويجب ان يتوفر المناخ الصحي لبقائهم واستمرار علاقاتهم الحميمة والطبيعية مع المحيط اللبناني ، وكذلك استمرار فرص الحياة الكريمة ، ان في ما خص العمل أو التنقل او السفر او تنظيم شؤون حياتهم والاهم : تنظيم بقائهم فلسطينيين اكرهوا على الخروج من ارضهم ذات يوم ، ومن حقهم ان يظلوا يحلمون ويعملون — بالوسائل المتاحة — للعودة اليها .

● يتصل بهذه الحقيقة مباشرة ان الوجود الفلسطيني في لبنان ، اهم ، بما لا يقاس ، من السلاح الفلسطيني ، خصوصا وان هذا السلاح فقد وهجه الثوري المميز ، وفقد الكثير من مبررات حشده وحمله ، في ضوء الحقائق القاسية للاجتياح الاسرائيلي صيف ١٩٨٢ .

وبصراحة : فان هذا السلاح خسر قضيته في الجنوب، تحديدا ، وحتى من قبل ان تبدأ « عملية الجليل » التي « احترمت » القيادة الرسمية لمنظمة التحرير حدودها (٤٠ — ٤٥ كلم) فبادرت ومنذ الطلقة الاولى الى سحب قياداتها العسكرية المسؤولة عن اهل الجنوب (بمن فيهم ابناء المخيمات العديدة الموزعة بين صيدا وصور وعلى الطريق بينهما) وكذا عن البقية الباقية من « القوات » التي كانت كتلتها الاساسية قد انتقلت قبل ذلك الى بيروت لتحتشد في جيش « الـ ١٧ » الشهير بآلياتها ومدفعيتها و« قوتها الضاربة » او لتنضوي تحت لواء الشرطة العسكرية ، او في الحرس الجمهوري الذي كان يوفر لعرفات كل مظاهر « الرئيس » بما في ذلك « طابور الشرف » خصوصا لكبار الزوار من الرسميين !

وبصراحة ايضا : فان هذا السلاح كان يخسر من

مبررات وجوده ، يوميا ، وبخط مـواز لاندفـاع القيادة
الرسمية للمنظمة في طريق البحث عن « حل » او «تسوية»
برعاية الاميركيين وعن طريقهم ، بوصفهم يملكـون أوراق
اللعبة !

بالطبع يمكن لهذه القيادة ان تبرر مسلكها بـ « الزمن
العربي الرديء » وبتزايد المصاعب امام الكفاح المسلح في
الداخل ، وبالصفقات والمساومات التي كان يتبارى فـي
عقدها او في السعي اليها العديد من الانظمة العربية،وصولا
الى « رحلة العار » ، رحلة السادات الى القدس المحتلـة
(في خريف ١٩٧٧) ومن بعدهـا اتفاقات كامب ديفيـد
وملحقاتها الخ .

ويمكن لهذه القيادة ان تبرر بترداد ما كانت تردده في
بيروت : « اذا كان الامر امر بيع وشراء ، فهذه قضيتنـا
ونحن اولى ، ولن نترك العرب يبيعوننا مرة اخرى ... »

على ان ما لا يمكن قبوله اليوم ، في لبنان ، هو انيطلب
الذين تخلوا عن اعتماد السلاح والكفاح المسلح من اللبنانيين
ان يستمروا في قبول الفلسطينيين مسلحين ، « لاسبـاب
تكتيكية » تتصل بتحسين شروط التفاوض مع العدو !

ان الثائر او الفدائي الفلسطيني الذاهب الى الشهادة
فوق تراب فلسطين له حقوق على كل عرب « القشرة » او
« الحدود » مع الارض المحتلة ، بمن في ذلك اللبنانيون ،
اما الذاهب الى المفاوضات والتسويات و « الصلح » بهذه
الصيغة او تلك ، فليس له شيء من حقوق المحارب ، هذا
اذا لم يصبح هو هدف الحرب ... فكيف اذا كان سلاحه

في بيروت مقطوع الصلة بالثورة والتحرير ، ودوره الوحيد
ان يذكر بوجود «القيادة» وقدرتها على الحركة والتأثير على
الاحداث ولو بالتخريب ؟!

● ثالث الحقائق : ان هذه التحولات التي طرأت
على حركة المقاومة الفلسطينية ، ممثلة بقياداتها الرسمية
دائما ، قد اسقطت عصر التميز الذي استحقه الفلسطيني
بفدائيته وقتاله ضد العدو الاسرائيلي ، وكان الاجتياح ،
ثم خروج المقاومة من بيروت وضمن الشروط والظـروف
التي حكمت خروجها ، نقطة النهاية في عصر الامتياز والتميز
الذي امتد لسنوات .

والواقع ان المواطن اللبناني كان قد منح الفلسطيني
هذا الامتياز أو « الموقع الممتاز » ، طوعا ، وباعتباره فدائيا
ورمزا للثورة العربية ، ومحررا للمحتل من الارض ، وليس
لمجرد انه يتحدر من ابوين فلسطينيين .

لكن العقل الكياني ، او القطري او الاقليمي للقيادة
الرسمية لمنظمة التحرير ، كان محكوما بحول سياسي خطير،
فهو لم يكن قوميا في اي يوم ، بل انه كان معاديا للقومية ،
ووضع « الفلسطينيين » في وجه العروبة ، واعتمد «سياسة
التوريط » ليس من اجل التثوير بل بمنطق « حسنا ،
فليصب الكل مثل ما اصابني ، وما هم ان تسقط مـدن
واقطار عربية أخرى ، فهذه القدس قد سقطت ، وكذلك
يافا وعكا والناصرة الخ » ؟؟!

وهذا الكلام لا يقال اليوم ومن موقع الشماتة ، معاذ
الله ، أو من باب اللوم المتأخر ، في ضوء النتائج ، ولكنه قيل

وكتب مع بدايات صعود الكفاح المسلح الفلسطيني ، وكان للمفكر منح الصلح دور بارز في هذا المجال ، ومثله العديد من الكتاب والمفكرين والصحافيين العرب في بيروت وفي القاهرة وخارجهما .

والكيانية توام للطائفية ، وهي اسم آخر للمرض ذاته كما تدل تجربتنا في لبنان .

والكيانية الفلسطينية ، مثل الكيانية اللبنانية ، (ونموذجها الفج الكتائب) ، ومن الطبيعة ذاتها وهي الطبيعة المولدة لمشاعر مرَضية بينها التفرد والميل الى الاحتكار والتميز وابتداع الاسباب لممارسة الاستعلاء على الآخرين ، وصولا الى افتراض القدرة الخارقة (كما سوبرمان) .

واذا كان الابتعاد عن الثورة قد اسقط السبب القومي لتمييز الفلسطيني ، فان الانجراف بالكيانية افقده علاقته بالثورة في صورتها الاكمل ، فالثورة ان تكون كل الناس وان تقوم بهم ومعهم ومن اجلهم بما لم يقم به الغير على ان يظل « البطل » الناس ، الشعب ، الامة لا الفرد ، وليس ان تكون فوق الناس وبديلا عنهم و « البطل الوحيد » في قوم من المتخاذلين والجبناء !

على ان ثمة استدراكا يفرض نفسه هنا ، بالضرورة ، وخلاصته :

« ليس مطلوبا ولا مقبولا ان يفرض على الفلسطيني او ان يرتضي ان يكون ادنى من اللبناني . المطلوب ان يتخلى عن امتيازاته فيساويه . لن يكون هو ابدا ولا يجوز ان

يكون ، بل يجب ان يظل فلسطينيا بهويته وقضيته وهمومه وحقه في العمل لاستعادة وطنه ، ولكن ليس دون اللبناني في الحقوق الطبيعية ، في ما عدا الهوية » .

● يتصل بهذه الحقيقة : ان المواطن اللبناني ، لا سيما الجنوبي ، هو الآن مهدد بخطر الشعور بالتميز والاستعلاء على الآخرين ، فعبر مقاومته الباسلة لجيش الاحتلال ، وعبر احساسه بأنه قد حقق نصرا ما على القوة الاسرائيلية التي كانت تدعي انها لا تهزم ، وانها قادرة على الحاق الهزيمة بجيوش العرب مجتمعين ، ثم عبر المرارة التي استشعرها ويستشعرها وهو يلاقي تخلي العرب (بأنظمتهم) عنه ، وعدم الاعتراف به مقاتلا في اشرف معاركهم القومية ... عبر ذلك كله نما لديه شعور بالتميز ، وبأنه « سوبرمان » وبأنه قد اتى ما لم يأته الاولون والآخرون ، وانه عوَّض الغياب الفلسطيني عن المعركة الام حينما دقت ساعتها ، ورأى الكل يهرول تاركا الجنوب لمصيره وحيدا ، عاجزا ، مسلوب الارادة ! !

● ويتصل بهذه الحقيقة ايضا ، ان المواطن اللبناني تجرح في الفترة السابقة على الاجتياح الاسرائيلي مرارات هائلة ، وكان بوسعه ان يرى ، وبوضوح ، ان خطأ الفلسطيني في الممارسة اليومية ، سواء في بيروت او في الجنوب حيث حصلت كوارث حقيقية كان يتكامل مع خطأ القيادة الفلسطينية السياسي في ادارتها للصراع مع العدو الاسرائيلي ... فالتجاوز صار الابن الشرعي للانحراف عن موجبات التحرير ، ولم يعد مجرد مسلك شخصي مؤذ ، بل هو غدا ـ بشقيه ـ منهجا كان لا بد ان يؤذي قضية فلسطين وشعبها وأهداف نضاله المجيد .

في ضوء هذه الحقيقة يمكن فهم الرفض الشعبي العام لعودة السلاح الفلسطيني الى الجنوب ، او لاستمرار وجوده في بيروت .

فليس الامر نتيجة رعب من احتمال عودة العدو الاسرائيلي ، بكل ما يعنيه ، الى مناطق سبق ان طهرها اهلها بدمائهم الزكية ، وبكل ما ملكت ايمانهم ، وان كان مثل هذا الهاجس او الكابوس ، يقض مضاجع الجنوبيين (واللبنانيين) جميعا .

الرفض ينبع اساسا من حقيقة ان هذا السلاح الفلسطيني ، الكثير الكثير والفعال ما هو مكشوف منه او مكدس في المستودعات والانفاق ، لم يستعمل كما يجب وبالكفاءة المطلوبة حين عزّت الحاجة الى المقاتلين بالسلاح .

اما حيث وفي الحالات التي لم يكن لاستخدام هذا السلاح موجب فقد استخدم اكثر مما ينبغي وضد من لا يفترض ان يحكم السلاح علاقتهم بالقضية واهلها .

ومرة قال الرئيس سليم الحص وهو يرى تذمر بعض الناس من قعقعة المدافع المضادة للطائرات وهي تطلق رشقاتها الهادرة على مقاتلات عدوة مغيرة : « لا تسيئوا فهم الناس ، انهم لا يشكون لان المدافع لا تنطق بعد صمت ، ولكن لان المدافع لا تصيب اهدافها » .

● ويتصل بالحقيقة ذاتها ، ايضا وايضا ، ان الجنوبيين واجهوا ويواجهون مجموعة من التساؤلات التي لا يجدون اجوبة مقنعة لها .

● ● بين تلك التساؤولات : لقد كانت البداية الثورية للعمل الفلسطيني المسلح في لبنان معنا وبنا ، في بيوتنا وقرانا ودساكرنا وحواضرنا ، وعلى حساب اشياء كثيرة عزيزة وغالية ، وهذا ما يشرفنا ونفاخر به على مر الاجيال ، ولكن . . . لماذا تحوّلنا ، مع النهاية البائسة لهذه التجربة ، الى غير ما كنا عليه ؟! في البداية كنا قوميين حتى العظم ، بل كنا نموذج الوحدويين العرب والمضحين من اجل القضية بهناءة عيشنا وارواحنا ذاتها . فلماذا وكيف حوّلونا في النهاية الى مجرد مذهبيين معادين للشعب الفلسطيني وقضيته التي تربينا وتعلمنا عبر حقائق الحياة انها قضيتنا بالقدر ذاته ؟!

● ● وبينها ايضا :لماذا انكرت علينا قوميتنا حتى ونحن نقاتل العدو الاسرائيلي ، كما لم يقاتله احد في مثل ظروفنا وامكاناتنا المادية والعملية البائسة ؟!

لماذا كانت المنظمات الفلسطينية ، واساسا القيادة الرسمية لمنظمة التحرير ، تتسابق على اصدار البيانات في ادعاء عمليات يعرف الكل اننا من قام بها ، سواء كأفراد او كعناصر منتمية الى تنظيمات واحزاب تحتل فيها الاتجاهات الاسلامية و « امل » بالذات موقع الصدارة ، ثم « حزب الله » ، لكن بينها ايضا الحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي ومنظمة العمل الشيوعي وحزب البعث والاتحاد الاشتراكي والتنظيم الشعبي الناصري ، وبغير ان نلغي دور المقاتل الفلسطيني (على محدوديته) وسواء مباشرة او بالواسطة ؟!

● الحقيقة السابعة : ان ثمة صورة معينة لبيروت

في العقل الفلسطيني لا يريد ان يتخلى عنها او يعترف بانها قد زالت تماما ولن تعود ، ويرفض ان يسلم كما كانت لخيره كما لخير اخيه ، في لبنان .

لقد كانت بيروت ولفترة « عاصمة »الدولة الفلسطينية ومركز الحكم . صحيح انه بلا دولة ، فعليا ، وعلى ارضه، ولكن له « عاصمة » . صحيح انها مستعارة او مختطفة ، ولكنها على كل حال تعوضه ما لم يكن عنده في اي يوم وما كان يتمنى ان يكون له على الدوام .

والمؤسف ان صورة بيروت هذه تعشش في وجدان الجميع وليس « العرفاتيين » وحدهم .

بيروت ـ العاصمة ـ الجميلة ،بيروت المركز السياسي العظيم والمركز الاعلامي المدوي ، بيروت المتروكة طوعا او بقوة الامر الواقع لهم يمارسون فيها السلطة كما لم يمارسوها ابدا وكما مورست عليهم باستمرار ، بيروت مطبعة العرب وجريدتهم ومصرفهم وقلب حركة الصراع على المنطقة ، الكل فيها يعملون ، يتحركون ، ينشطون ، يتصلون ويتواصلون ...

بيروت « البدل عن ضائع » او عن « مفتقد » هي بذاتها المطلب والموضوع . ليس بكونها المعبر والممر الى الجنوب فالى فلسطين ، بل بذاتها ، بناسها المسلمين قيادهم للقيادة الفلسطينية باعتبارها المسؤولة عن القضية، من قرارهم السياسي الى الافران ...

بيروت ، هذه ، صعب فقدها او اصعب منه الاعتراف

بأن العودة اليها متعذرة ، واعادتها الى ما كانت عليه مستحيلة .

لكن مثل هذا الاعتراف يتطلب اكثر من الشجاعة،انه يتطلب اعادة نظر جذرية في صيغة العمل الوطني الفلسطيني ومنهاجه ووسائل تحقيقه ، في مرحلة ما بعد الاجتياح الاسرائيلي للبنان ، بكل نتائجه المريعة .

واعادة النظر هذه تصدر فقط عن قيادة تاريخية قادرة على اخذ القرارات المصيرية ، مهما كانت مؤلمة وخطيرة ، وتحمل المسؤولية عن اتخاذها انطلاقا من كونها القادرة والمؤهلة على ايصال شعبها الى غده الافضل .

وليس من الضروري او الحتمي دائما ان يكون الغد الافضل على حساب الحاضر ولكن من الجريمة ان يترك خطأ الحاضر يتفاقم بحيث يلتهم الغد والقضية .

* * *

ما القصد من هذا الكلام ، ولماذا التركيز على الفلسطينيين ، الآن وهم بالنسبة لنا كما للعالم اجمع في موقع الضحية ؟ !

والجواب بسيط : ان قضية فلسطين كانت وتبقى قضيتنا جميعا ، كعرب ، وكجيل تربّى على الفكر القومي وعلى الاحساس بالمسؤولية الشاملة عن كل الارض العربية، واساسا عن المحتل منها او المستعمر او المقهورة ارادة شعبه بجور حاكمه او نظامه .

وبالتحديد فان تحرير فلسطين هو الذي يعنينــا ، وليس المفاوضات مع الاميركيين ولا التنازلات والتراجعات المتوالية وصولا الى اعلان القبول بالقرار ٢٤٢ وما ماثله او تفرع عنه مما يلغي القضية ومبرر البندقية .

كذلك لا يعنينا في كثير أو قليل ، اتفاق عمان، ومشاريع الفدرالية والكونفدرالية وسائر أشكال التوحد مع الملك حسين .

وبالمقابل لا تعنينا في شيء تلك المزايدات التي ترفع الصوت بالاعتراض على سياسات عرفات ثم لا تقدم ما ينبغي على اية قيادة ترى في نفسها الكفاءة والشجاعة أن تقدمه : أي المنهج البديل الذي يحمي النضال الفلسطيني في غده ، اذا كان متعذرا ايصال اهدافه في الحال او في مستقبل قريب .

ولا تعنينا بأية حال ، تلك السياسة الرعناء والمدمرة التي تقوم على اعتبار لبنان مجرد « ساحة » اذا تم الرحيل منها الى غيرها ، لاسباب قاهرة ، فلا يهم ماذا يحدث لها بعد ذلك ... وهي وليدة منهج الاحتراف الذي كان لا بد أن تنتهي اليه الكيانية .

وللمناسبة فان هذه الكيانية الفلسطينية انجبت شوفينية قاتلة جعلت الفلسطينيين يتوهون بين حقيقة انهم بعض امتهم العربية ، وبين انهم « امة » اخرى ، من قومية اخرى ، لا تربطهم بسائر العرب غير علاقات من طبيعة انتهازية ، فالكل يغش الكل ، ويتحايل عليه ، بل يتآمر عليه ، ليصل الى غرضه بلا رادع من وحدة المصلحة او

وحدة القضية او وحدة المصير ، خصوصا وان العدو واحد وان اغفل هذه الحقيقة بعض قصار النظر او بعض المتوهمين أو ...

والشوفينية الفلسطينية تسببت في تبرير شوفينيات اخرى في مختلف ارجاء الوطن العربي ، فهي كانت محصنة بوهج الثورة وقداسة القضية .

وشيئا فشيئا ، ومع التراجع في حركة القومية العربية التي اعتبرت قيادة حركة المقاومة الفلسطينية نفسها البديل عنها ، وعملت ما في وسعها لتسريع انتفائها وتبعثر مكوناتها، اطلت الكيانية والشوفينية في كل ارض عربية ، مبررة ذاتها بالخصوصيات واسباب التمايز في المصالح ، او بالعودة لاستنطاق التاريخ واستحضار قوميات واعراق وارومات منقرضة .

وهكذا حين تم الانفصال الكامل بين اجزاء الامة ، فلم يعد احد مهتما بأحد غيره ، بل ان البعض اخذ يفرح ويسعد بمصائب غيره لتوهمه انه سيجني مردودا طيبا ، نتيجة غياب الآخر ، ان على مستوى السياسة والزعامات او على مستوى الاقتصاد والخيرات ، او على مستوى المكانة الدولية واعتباره قطب المفاوضات ومرجعها .

وفي ما يخص لبنان فلقد تصرفت القيادة الرسمية لمنظمة التحرير بمنطق « آخذه انا او اخربه على غيري ».. كأن تخريبه يخدم قضيتها ، أو كأن ذلك سينعكس خيرا وسلاما على وجود الفلسطينيين في لبنان ومصالحهم فيه .

ومن أسف ان هذا المنطق وجد من يأخذ به حتى في

الاوساط الفلسطينية المناهضة لقيادة عرفات متناسيا أو قافزا من فوق حقيقة مفادها ان التخريب ، وفي هذه الظروف بالذات ، ينصب اولا واخيرا على المشروع الوطني في لبنان، ويتسبب في انتكاسة حالة النهوض الشعبي التي ولدتها مقاومة الاحتلال الاسرائيلي واتفاق ١٧ ايار وسياسة الهيمنة الكتائبية .

وبدا في لحظة وكأن الكل قد تجاهلوا حقيقة ان حماية القضية الفلسطينية ، وحماية الوجود الفلسطيني، وحماية الهوية الفلسطينية، والحقوق الطبيعية لجموع الفلسطينيين في لبنان ، لا يمكن ان تتأمن الا في ظل انتصار المشروع الوطني ونجاحه في اقامة نظام وطني وحكم وطني يلتزم بموجبات هوية لبنان العربية وانتمائه القومي .

ومن أسف ايضا ان بعض الاوساط الفلسطينية المناهضة لعرفات قد تجاهلت حقيقة أخرى : وهي ان المواطن اللبناني بات يضيق ذرعا بأي سلاح كان وبيد اي طرف كان ، حتى مع استمراره في التمييز بين الاطراف وعلى اسس وطنية وقومية ، وهكذا فقد الحث على طرح موضوع السلاح الفلسطيني ومهماته القديمة (!!) وكأن الزمان ما زال هو الزمان ، والدفاع عن هذا السلاح هو عنوان القضية الوطنية في لبنان .

في اي حال ، نأمل ان يكون « اتفاق دمشق » مدخلا لمعالجة عميقة وجدية ، لموضوع الوجود الفلسطيني في لبنان، وهي معالجة يجب ان تتجاوز الشق الامني من الموضوع لتنصب على الجانب السياسي منه .

والمسرح خال في انتظار قيادة فلسطينية تاريخية قادرة

على مصارحة شعبها بأن مرحلة ما من مراحل نضاله قد انتهت بغير ان تحقق أهداف ذلك النضال وان مرحلة من طبيعة أخرى تماما هي الآتية ، وعليه أن يعدّ نفسه جيدا لمهماتها .

ولعل عنوان هذه المرحلة سيكون : ان الثورة تكون في الداخل اولا ، وبشعب الداخل ، ويكون من في الخارج روافد وعناصر مساعدة وليس العكس .

وهذا موضوع كبير متروك للنقاش على اي حال .

والكل ينتظر ان يسمع من الفلسطينيين ، من مثقفيهم وعمالهم وكوادرهم ، من مناضليهم ومن قياداتهم التي لم يلوثها الانحراف ولم تجرفها الكيانية ولم يبهرها بريق السلطة المتوهمة ، وهم كثر داخل فلسطين المحتلة وخارجها .

ينتظر ان يسمع منهم ليس فقط ماذا يريدون من لبنان وفيه ، بل اولا واساسا كيف سيصلون بالثورة الى قلب فلسطين .

والثورة، في فلسطين كما في سائر انحاء الوطن العربي، تكون عربية وحدوية اشتراكية وديموقراطية او لا تكون .

ملاحظة اخيرة : لا تعني هذه الكلمات ولا تقصد ان تبرىء جهة او احدا من مسؤولية الدم الذي أريق في « حرب الاشقاء » في المخيمات ومن حولها ، ولم تقفز من فوق هذه « الكريهة » بدافع الخوف او تجنب مواجهة الحقيقة ،ولكنها قصدت أن تركز على الموضوع الاصلي ، المفتوح من قبل ومن بعد ، وهو موضوع مستقبل العمل الوطني الفلسطيني، وبالتبعية مستقبل الوجود الفلسطيني في لبنان .

كما قصدت ان تمهد لمناقشة جدية اخرى موضوعها: ضرورة اخراج او خروج العنصر الفلسطيني من الحرب الاهلية في لبنان ، حماية للمسألة الوطنية الفلسطينية كما للمسألة الفلسطينية في لبنان .

وتلك مواضيع سنعود اليها متى هدات الخواطر والمشاعر ، ومتى صمت رصاص الاشتباكات غير المبررة بين رفاق السلاح المفتقد اكثر فأكثر الى المبرر الوطني .

* * *

والآن يجيء دور غيرنا في الاسهام في هذه « الدعوة الى الانقاذ ... بالحوار » .

ونحن في انتظار المساهمين والمساهمات .

اي اننا في انتظار كل من يريد ان يحمي حقه بالديموقراطية وسائر الحريات بقول رايه واعلان موقفه ، وليس بالصمت انتظارا لما سيكون .

وقديما قيل : يكون ما نريد ، او نكون ما يراد لنا ان نكون .

وبرغم كل شيء فما زلنا نأمل ونحاول ان يكون لنا الغد الذي نريد والذي نستحق .

ما زلنا نأمل ان تنبثق الوردة من قلب الحريق ،عطرة، بهية ، مغتسلة بقطرات الندى .

عن « السفير »

١٩٨٥/٧/٢